64973

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

المراسلات
حي الورود - شارع حمد الجاسر ٤٦٢١٢٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٥، ٦ س ٢٦ ذوا القعدة والحجة ١٤١١هـ - أيار/حزيران (مايو/يونيه) ١٩٩١م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
المكتبة
KING FAISAL CENTER FOR RESEARCH AND ISLAMIC STUDIES

حضرموت: بلادها وسكانها

لعالم حضرموت ومؤرخها عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف (١٣٠٠/١٣٧٥هـ)

- ١ -

أَتْحَفَنِي الصَّدِيقُ الحبيب الأستاذ هادُون بن أحمد العطاس بكتابٍ يتعلَّقُ بتاريخ جُزْء عزيز من وطننا العربي من الجزيرة العربية نفسها، يوشك أن يكون مجهولاً أَوْ مَنْسِيًّا، مع ما لِكَثِير من أهله من الصِّلات القوية بمختلف الأقطار في أنحاء المعمورة، ومالهم من نشاطٍ مُتَمَيِّزٍ في السعي وراءَ اكتساب الرِّزق بأذكى الطرق وأنزهها وأشرفها، حتى حازوا بأمانتهم وصدقهم ثقة غيرهم، وتميَّز عدد منهم في مختلف النشاطات الأخرى كالسياحة والهجرة، وبرَّز آخرون في المجالات الثقافية، فعرف منهم علماء وأدباء، وشعراء وباحثون ومؤلفون في مختلف العلوم قديماً وحديثاً، ممن كان لهم في التعريف ببلادهم مالم يَتَهَيَّأْ له من الانتشار ما يُيَسِّرُ الاطلاعَ عليه لكل راغب في الاستفادة منه في معرفة جميع أحوال ذالك الجزء من الوطن العربي.

من هنا كان لما أتحفني به الأستاذ هَادُوْن - وقد تحدثت عنه في «العرب» في هذا الجزء الأثر - العميق في نفسي، لأنه أحدث في القلب شجَناً وَتأَثُّرًا، لا لكون مؤلف ذالك الكتاب غريباً عنَّا وعن بلادنا، وأنه كان يعمل في (دائرة البحوث في وزارة المستعمرات البريطانية) التي جثم كابوسها على تلك البقعة الحبيبة من بلادنا حِقْبَةً من الزمن، فالحكمة ضالَّةُ المؤمن، والْحَقُّ يتطلبه العاقل ويقبله من كل أحد،

ولكنني أحسَسْتُ بكثير من الخجل حين أدركت أن هذا الباحثَ الغريبَ الذي لا تربطه ببلادنا رابطة من روابط الحبّ أو عاطفة من عواطف الصلة والإخاء، يعرف من أحوال تلك البلاد أكثر مما يعرفه كثير من المهتمِّين بالبحث والدراسة في تاريخ الأمة العربية كلها، ممن يجب أن تكون صلتهم بها أعمق، وعنايتهم بمعرفة أحوالها أشدُّ، ومعرفتهم بتاريخها أوسع، وسعيُهم لتقوية أواصر الأخوَّة والارتباط بها أقوى وأشمل. ولقد حفزني هذا إلى محاولة اتِّجاه مجلة «العرب» ـ قدر استطاعة القائمين عليها للإسهام بجهدها، على ضعفه وقلَّة جدواه، فتقدم لقرائها ما تتمكَّنُ مِنْ تقديمه من معلوماتٍ تتعلق بتاريخ تلك البلاد، وجغرافيتها، وتراجم مشاهيرها، مِمَّا يُمِدُّها به أولئك القراء من ثمرات قَرَائِحِهم، فَهُمْ ذوو الفَضْل على مجلتهم قُرَّاءً وكُتَّاباً:

كَالْبَحْرِ يُمْطِرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ

ولقد سبق أن قدَّم لي الأستاذ الكريم عبدالله بن محمد الْحِبْشِي نسخةً مصورة لمؤلَّف عالم حضرموت ومؤرخها في عصرنا السيد عبدالرحمن بن عُبَيدالله السَّقَّاف المتوفى سنة ١٣٧٥هـ وصفهُ الأستاذ عبدالله بأنه (من الكتب القيمة النادرة في موضوع جغرافية حضرموت) فَرَأَيْتُ في تقديم هذا الكتاب على صفحات المجلة ما قد يكون من البواعث للاهتمام بما قد يتعرض له من أبحاث، أو يعرضه من معلومات، لِيَتَّسِعَ الْمَجَالُ أمامَ الباحثين.

وَيَبْدُو أَنَّ مُؤَلَّف السَّقَّاف هذا هُوَ خُلَاصَةٌ مما كتب عن تلك البلاد، فقد انتهى من تأليفه سنة ١٣٦٧هـ قبل وفاته بثماني سنوات، وقال: بأنه ألّفه باقتراح من (بلخير) ولعله الأستاذ عبدالله عمر بَلْخَيْر، وقَدَّمَهُ لسعود بن عبدالعزيز حين كان وَلِيًّا للعهد قبل أن يتولَّى الملك، وكان (بلخير) مستشاراً له، ولقد خلا الكتاب مما شاب كثيراً من مؤلفات بعض أحبابنا الحضارِمَةِ مِمَّا يتعلّق بطغيان العواطف في تقدير العلماء والسادة بدرجة تقلل الثقة بكثير من تلك المؤلفات من الوجهة التأريخية البحتة.

ويبدو أنه لخصه من كتابه «إدام الْقُوْت، في ذكر بلدان حضرموت» فكثيراً

ما يختم بعض العبارات بقوله: (وهذا مفصل في أصله) أو (وقد أوردنا في الأصل) وهو يعني مالم يرد ذكره.

السيد السَّقَّاف مؤلف الكتاب: تُعَدُّ أسرة السقاف من أشهر الأسر الحضرمية، وأكبرها، وأوسعها انتشاراً في البلاد العربية، في المدينتين الكريمتين وفي القاهرة، فَضْلاً عن بلاد اليمن، وهي تُنْمَى إلى السيد سقَّاف بن محمد بن عمر الصَّافي العلوي النَّسب، واشتهر منها عدد من أهل العلم والأدب والوجهاء والأثرياء ومن فضليات النّساء، حيث عُرِفَتْ سيدة جليلة من هذا البيت الكريم ممن يقيم في القاهرة برعايتها للأدب، فكان لها منتدي يرتاده المثقفون، ومن مشاهِير هذه الأسرة السيد عبدالله بن محمد بن عمر السقَّاف المتوفى سنة ١٣٨٧هـ من العلماء البارزين، ومن مؤلفاته: «تاريخ الشعراء الحضرميين» طبع سنة ١٣٥٣هـ ـ في خمسة أجزاء، و«تاريخ حضرموت السياسي» وغيره، ومنهم علماء وشعراء آخرون لا يتسع المجال لذكرهم، ومن مشاهير متأخري هذه الأسرة السيد عمر السقاف الذي كان وزيرًا لخارجية هذه البلاد حتى توفي، والأستاذ أحمد زين السَّقَّاف الذي استقر في الكويت منذ قبل نصف قرن من الزمان، مشارِكاً في إنماء الحركة العلمية الثقافية في تلك البلاد في مجالاتٍ مختلفة، في التعليم، وفي إنشاء الصحافة ـ حيث أنشأ مجلة «كاظمة» في آخر الستينات من القرن الماضي، وفي تنظيم حركة الأدب بالمشاركة بتأسيس رابطة الأدباء، وفي غير ذالك من المجالات الحيوية، وهو من كبار أدباء العصر وشعرائه. وهناك كثيرون من مشاهير هذا البيت ليس المجال مجال الحديث عنهم.

أما مؤلف هذا الكتاب فعليه ينطبق نَعْتُ السقاف الكبير في العهد الأخير، لما بلغه من الشهرة داخل بلاده وخارجها في الأقطار العربية، لما اشتهر به من علم وفضل. ففضلاً عما لأسْرتِه في حضرموت من المكانة وعلو المنزلة في نفوس أهل تلك البلاد، بلغ مرتبة من العلم أهَّلَتْهُ بينهم بأن يحل أرفع المقامات فَعُرِفَ بِعَالِمِ حضرموت، ومفتي الديار الحضرمية. وكان ذا نفوذ قَويٍّ في الشؤون العامة في تلك البلاد، وصلة قوية بِحُكَّام أقاليمها، وإسهام بارز في السعي لتوحيد أجزائها واستقلالها، ورفع كابوس الاحتلال البريطاني الذي كان جاثِمًا عليها، كما كان

قوي الصلة بإمام اليمن يحيى بن حميد الدِّين، بحيث كان يرجع إليه في معالجة بعض القضايا العامة المتعلقة بالخلافات التي تقع بين حكام تلك البلاد ـ كما يتضح من إشارات وردت في كتابه.

وقد ولد السيد عبدالرحمن بن عُبَيدالله بن محسن بن علوي بن سقَّاف في بلدة سَيْئُون ـ من حضرموت ـ وفيها نشأ، وتوفي، على اختلاف في تاريخ ولادته، فالأستاذ الزركلي يحدده في «الأعلام» بعام ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) ويشير إلى رأي آخر هو سنة ١٢٩١هـ ولكنه لا يأخذ به مُعَلِّلاً بأن مظهر الرجل عند وفاته لايدل على أنه بلغ من العمر ٨٤ عاماً فقد توفي سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) وقد عرفه الأستاذ الزركلي واجتمع به في صفر سنة ١٣٦٩هـ في جدة، وأطلعه على بعض مؤلفاته فطالعها واستفاد منها، ووصفه بأنه مؤرخ بلدانيٌّ، من شيوخ العلم بالأدب والأخبار، وفقه الشيعة والسنة، له شعر حسن، وأنه كان مفتي الديار الحضرمية. وقد اجتمع به المستشرق البريطاني المعتني بالدراسات الحضرمية (سرجنت R.B. SERJEANT) فوصفه ـ في مقاله عن (المؤرخين وكتابة التاريخ الحضرمي) المعرب في كتاب «حول مصادر التاريخ الحضرمي» ـ ٩١ ـ فقال عنه: معروف أساساً كحجة في الشريعة، وذو ذكاءٍ حادّ، ولقد استمتعت بمجالِسه عدة مرات، لقد كَسَب احترام حضرموت، وهو لاشَكَّ عالِـمٌ فَذٌّ، وقد درَّبَ أبناءه على ذالك. ويشير (سرجنت) إلى موقف من مواقف السيّد السَّقَّاف جدير بالذكر، هو موقفه في النزاع الذي حدث بين السادة العلويين وبين الإرشاديين في آخر النصف الأول من القرن الماضي في البلاد (الأندونيسية) فيقول: لقد شارك في النزاع العلوي ـ الإرشادي، في (أندونيسيا) وبحوزتي خطبة له قالها في أحد الجوامع في (بتافيا) عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٨م) وفي العام التالي حاول أن يصلح بين الطرفين، وأخبرني أن الرسائل المتبادلة ضُمَّتْ إلى مخطوطاته التاريخية «بضائع التابوت» ثم يضيف (سرجنت): لقد احترمه الكثيرون خصوصاً عندما يَتَّخِذُ مَوْقِفاً مُخَالِفاً لِمَوْقف العلويِّين المتزمتين. انتهى. ويتجلَّى ماكان يتحلَّى به السقَّافُ من اعتدال في مواقفه ما لقيه من تقدير وإجلال بين طبقات مثقفي عصره، كما يبدو ذالك واضحاً في احترامه واعتداده بآراء العلماء المحققين من مختلف المذاهب، ولكن

هذا المستشرق لم يفته غمزه بقوله: والرأي الحضرمي عنه أنه ساذج، وغير مُفْرِطٍ في النقد كمؤرخ، لكنه عالم، له صيته، ولابُدَّ أن يقدم إسْهَاماً هَامًّا لِصِيَاغة التاريخ الحضرمي. ولعله يعني بهذا الغمز أن السيد السقَّاف ـ فيما يبدو من أبحاثه التاريخية لا يكلف نفسه عناء مناقشة ما يورده من نقول تغلب على كثير منها السَّذَاجة، ولاسيَّما حين ينقل عمن يعتقد فيهم الصلاح والتقوى، ومهما يكن فإنَّ فيما قدمه للباحثين عن تاريخ بلاده أوضح دليل على ما يَتَمَتَّعُ به من سعة الإطلاع، وشدّة الغيرة والحرص على الاهتمام بهذا الجانب، وهو ـ بدون شك ـ مما لا غناء لكل معنيٍّ بدراسة التاريخ العربي بصفة عامَّةٍ عن الرجوع إليه.

ومع أن السيد السَّقَّاف لم يتلقَّ العلم ـ فيما علمتُ عنه ـ خارج الجزيرة إلَّا أنَّ المرء حين يطالع أحد مؤلفاته ـ ككتابه عن المتنبي ـ يعجب من سعة اطلاعه، وقوة استحضاره للشواهد والنصوص عند الحاجة، وسرعة بديهته.

ولاشكّ أنَّ دراسته الأولى كانت وفق الطريقة المتبعة في تلك البلاد، وفي غيرها من البلدان الإسلامية من حيث الاتجاه للدراسات الدينيَّة، وبلاده في عهده عُرِفَتْ بنوع من المحافظة، والميل إلى ما يشبه الانقطاع أو الانعزال للعبادة والتجرد الروحي، ويظهر أنه تأثر في أول مراحل حياته الدراسية بمن تلقى عليهم العلم، واستفاد منهم بدرجة أحلته منزلة رفيعة بينهم، حتى بلغ أعلى منصب ديني حيث عرف بمفتي حضرموت، ويلمح الباحث أثَرَ هذا من خلال مؤلفاته التي ذكر منها الأستاذ عبدالله بن محمد الحبشي في كتابه «مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن»:

١ ــ «نسيم حاجر، في مذهب الإمام المهاجر» لعل المقصود بـ(المهاجر) جد السادة الحضرميين الذي هاجر إلى حضرموت، فقد ألف عنه السيد علوي بن طاهر الحدَّاد (١٢٩٠/١٣٨٠هـ) مفتي حضرموت كتاباً دعاه «إثمد المهاجر» حاول إثبات أنه شافِعي المذهب، بينما يرى السيد صالح بن علي الحامدي المتوفى سنة ١٣٨٧هـ أنه إمَاميٌّ المذهب، قال (سرجنت) ـ بعد ذكر هذا ـ: وقد أضاف السيد ابن عبيدالله ملحقاً يقال إنه نشر فيه ما يؤيد رأي السيد صالح.

٢ ــ «حاشية على فتح الجواد».

٣ ــ «حاشية على تحفة المحتاج».

٤ ــ «صوب الركام، في تحقيق الأحكام».

٥ ــ «السيف الحاد القاطع لأعناق الإلحاد» قال عنه الأستاذ الحبشي: ألفه في الرد على كتاب «توحيد الأديان» وطبع في عدن سنة ١٣٦٩هـ. ويبدو أنه ألف هذه الكتب في عهد مبكر من حياته. أما آثاره الأدبية فمنها:

١ ــ «الإماميات» قصائد في مدح الامام يحيى، طبعت في القاهرة سنة ١٣٤٥هـ.

٢ ــ «بلابل التغريد، في ما أفدناه في أيام التجريد» قال عنه الأستاذ الزركلي: هو أشبه بكتب الأمالي، في ثلاثة أجزاء انتهى. على أنه ورد في ذكره في «العود الهندي» ـ ٣٧٦ ـ بما نصه: (وقد ذكرنا في تفسير الفاتحة في كتابنا «بلابل التغريد» ما تَنْشَرح به صدور المؤمنين). مما يفهم منه أنه في التفسير، ولكن كتب الأمالي قد تحوي تفسير بعض الآيات.

٣ ــ «ديوان شعر» طبع في مصر سنة ١٩٥٩م ـ في ٥٥٢ صفحة، ذكره الزركلي وغيره.

٤ ــ «الرحلة إلى دَوْعن» أرجوزة طبعت في عدن سنة ١٩٤٨م على ماذكر الحبْشي.

٥ ــ رحلة تحوي بعض المعلومات التاريخية، طبعت في القاهرة سنة ١٣٤٥هـ على ماذكر (سرجنت). وأخشى أن تكون التي قبلها.

٦ ــ «العود الهندي، من أمالي في ديوان الكندي» كذا ورد الاسم فيما أظنه مسودّة المؤلف، وسماه الأستاذ الحبشي: «العود الهندي، عن مجالس في ديوان الكندي» يعني المتنبي وقال الحبشي: في ثلاثة مجلدات، ولكنه أتحفني بنسخة مصورة منه تقع في ٥١٦ صفحة جاء فيها بعد المقدمة: (تنبيه: كُنْتُ بيَّضتُ هذه الأمالي حسبما ذكرت في الخطبة، ثم بعثت بها إلى مصر لتطبع بمعرفة الفاضلين الشيخين أحمد باغفار وعلي باكثير فلم يتيسَّر الطبع، ولم يرجع الكتاب، فَاحْتَجْتُ إلى استئناف الغاية، مع إعادة النظر في المراجع إذْ كانت حاضرة بخلافها عند

الأول، فجاء وفيه نقص وفضل، ومعه رَوِيَّةٌ ونضل، فليعلم ذالك وبالله التوفيق). وقال في المقدمة: (وقد بيضتها لولدي حسن بارك الله فيه، وفي إخوانه وأبيه، رجاء أن تكون له فاتحة تهذيب، ولائحة تأديب، وسميرا وجليسا، وخليطا وأنِيسا). وانتهى من التأليف مساء ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٥٢هـ وقد قسم الكتاب إلى ستة عشر مجلساً وخاتمة. ويُعَدُّ من أحفل كتب الأدب بالفوائد والفرائد من الأشعار والأخبار مما يدل على ما يتصف به مؤلفه من سعة الاطلاع، مع رحابة الصدر في إيراد ما قد يتحاشى البعض من إيراده من النكت والنوادر، وقد يسوق بعد ما يورد من الشواهد طرائف من الشعر أو القصص الحديثة.

٧ ــ «النجم المضيُّ في نقد كتاب عبقرية الشريف الرَّضِيّ» انتقد به بعض ماجاء في «عبقرية الرضي» للدكتور زكي مبارك في جزء لطيف، ويسمى «مفتاح الثقافة» على ماذكر الأستاذ الزركلي.

أما مؤلفاته المتعلقة بتاريخ البلاد الحضرمية ووصف قراها وموانئها وأوديتها وما يتعلق بذالك فمنها:

١ ــ «إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت» قال عنه الزركلي: في مجلد ضخم، وقال الحبشي: خط بمنزل المؤلف بمدينة سيئون. وقد اطلع عليه الزركلي فنقل عنه في ترجمة عوض القعيطي في «الأعلام». ولا أستبعد أن يكون هو الأصل الذي يحيل إليه في الكتاب الذي بين يدي القارئ مقدمته، حيث نجد النصَّ الذي أورده الزركلي في ترجمة القعيطي منه في كتابنا، إلَّا أنه في الكلام على (حجر) لا (الشحر) كما في «الأعلام».

٢ ــ «بضائع التابوت في نتف من تاريخ حضرموت» قال الزركلي: ذكر أنه زار اليمن، وكان ضيفاً على الإمام يحيى حميد الدين، فأُتِيْحَ له الاطلاع على خزانة كتبه، فكان كلما وقف على شيء يتعلق بحضرموت، أَوْ يَسْتَظْرِفُهُ، نَقَلَهُ وأَلْقَى ما كتب في سلَّة المهملات، ويُسَمِّيها (التابوت) ثم جمعها في كتابه هذا، وهو في ثلاثة مجلدات جعله كالشرح لقصيدة من شعره سِيْنِيَّةٍ، عارضَ بها شوقي في معارضته للبحتريِّ، وأتى فيه بعلم غَزير في تاريخ حضرموت وبيوتها، وحكامها وأعلامها، إلى استطرادات في فنون مختلفة، من أدب وحديث ونقد، إلى وثائق

سياسية ومعاهدات وملحوظات. وقال عنه الحبشي: خط بمنزل المؤلف في سيئون. وذكر (سرجنت) أنه في المكتبة السلطانية في المكلاّ مع مخطوطات أخرى، وأشار الزركلي إلى أن فهرس هذا الكتاب طبع في ٦٤ صفحة.

٣ ــ وذكر (سرجنت) أنه جمع معجماً جغرافياً تاريخياً لحضرموت، ولم يذكره الزركلي ولا الحبشي، ولا أستبعد أن يكون هذا المعجم هو كتابنا هذا، وهو خلاصة مما ألفه ابن عبيدالله عن تاريخ حضرموت وجغرافية بلادها.

توفي السيد السَّقَّاف في بلدته سيئون سنة ١٣٧٥ (١٩٥٦م) على ماذكر الأستاذ الزركلي وقال: وفي (البرقيات) يوم وفاته أنه عاش ٨٤ سنة، ثم يضيف: وكان مظهره دون ذالك وفي «نيل الحسْنَيَيْن» ـ ١٣٨ ـ أنه مات عن ٧٥ سنة، وأخذت بهذه الرواية، و«مراجع تاريخ اليمن» ـ ٢٤٥/ ٢٦١ ـ انتهى. على أن (سرجنت) قال ما تعريبه يحتمل أن يكون توفي سنة ١٩٥٥م وقد ترجمه (فان درمولن) ونشرت صورته في «المستمع». ولاشك أن الزركلي والحبشي أوثق وأعرف بتاريخ الرجل و«المستمع» هي المجلة التي يُصدرها القسم العربي في إذاعة لندن، ولاشك أنه كتب الكثير عن ترجمة السيد السقاف. ولكن ليس بين يديَّ الآن سوى ما أوردت خلاصته.

ولقد عرفت من أبناء السيد السقاف ـ أثناء إقامتي في مكة في أول النصف الثاني من القرن الماضي ـ ابنه الأستاذ السيد حسن، أديباً شاعراً، لطيف المعشر، فكِهًا، مُحِبًّا للبحث وكثرة المطالعة، ثم علمت بأنه سافر إلى الحبشة، وأنه توفي بعد ذاك.

الكتَّابُ: كان في حاجة إلى بذل عناية لضبط كثير من الأسماء التي وردتْ فيه بدون إتقان بكتابتها، بل قد يكون قد وقع تحريف في بعضها من الناسخ، مثل (ريسوت) حيث كتب الاسم (ريبوت) وكثير من أسماء المواضع والقبائل مما لم يرد فيما بين يديَّ من المراجع، أمَّا المؤلفات الكثيرة التي رجع إليها المؤلف فلم أعرف أسماءها قبله فضلاً عن الاطلاع عليها، ولهذا وردت أسماء وعبارات ونصوص كثيرة يكتنفها الغموض، ولاشكَّ في أن الإخوة المثقفين الحضرميين يعرفون عن بلادهم ما لا يعرفه غيرهم، وأنَّ منهم من يُسَرُّ بالمشاركة في إفادة القُرَّاءِ تجاه

ما يعرض لهم من إشكال، أو حين يتطلعون إلى مزيد استفادة من المعرفة بأحوال هذا الجزء من وطنهم، ومن هنا كان عرضُ الكتاب كما هُوَ ـ بإضافة بعض الحواشي الموجزة ـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَمَّا بعْدَ حَمْدِ الله لكماله، والصلاة والسلام على نبيه وأصحابه وآلِهِ، فهذا ما انتهى به السَّيْر، في اقتراح (بَلْخَيْر) وما ظننته كَذَا، فقدْ لَقَّاني أَذَى، إذْ لم يكنْ له مِثالٌ يُحْتَذَى. لقد خِلْتُهُ أَدْنَى من الْقَاب، فإذا هُوَ أَنْآى من الْعُقَاب، فالحاصلُ كَثِيرٌ ممن خَنَقَ دقَّاقَةَ الرقاب، وبما أَنَّ مثله يُديمُ الذكرَى في الأَعْقاب، ويُخَلِّدُها طول الأَحْقاب، فقد أَهْدَيْتُهُ لمن أخذَ على الكرام الأَنْقَاب، وغَنِيَ عن الأَوْصافِ والْألقاب، طلَّاع ثَنَايا الشَّرْفِ والمجد، ووليِّ عهد الحجاز ونجد، من أَنْطَقَ يَرَاع الإشادَةِ بما تسمع إِنْشَادَه:

يَقُولُوْنَ: سُوْقُ الْعِلْمِ بَعْدَ قِيَامِهَا ... أُصِيبَتْ على طُوْلِ الْـمَدَى بِقُعُوْدِ
فَقُلْتُ لَهُمْ: قَدْ أَدْرَكَ الله أَهْلَهَا ... وَخَـوَّلَهُمْ مِنْ جُـوْدِهِ بِـ(ـسُعُـوْدِ)
فَقَـالَ لِأَيَّـامِ (الـرَّشِيْـدِ) ونَجْلِه ... وأَيَّـامِ أَبْنَاءِ (الْعَنَـابِسِ): عُوْدِي
فَبُشْرَى رِيَاضَ الْعِلْمِ مِنْهُ فَهذِهِ ... مَخَـايِـلُهُ في بَـارِقٍ وَرُعُـوْدِ

عبدالرحمن بن عبيدالله

حضرمـــوت

قال الهمدانيُّ[1]: هي جُزْءُ الْيَمَنِ الأَصْغَر، نسبتْ إلى حَضْرَمَوْتَ بْنِ حِمْيَرَ الأَصْغَرِ، فَغَلَبَت عليه اسمُ ساكنها، كما قيل خَيْوان ونَجْران والمعنى بلد حَضْرَمَوْت، وبلد خَيْوان، ووادي نجران، لأنَّ هاؤلاء رجالٌ نسبت إليهم هذه المواضع انتهى. وقيل في تسميتها غير ذالك.

ويحدُّها شمالاً صحراءُ الأَحْقاف، وجنوباً بَحْرُ عُمَان، وشرقاً سلطَنَةُ مَسْقَط، وغرباً ولايةُ اليمن، وهذا أوسع الحدود عند ياقوت من الجهات الثلاث أما من

جهة الشمال فلا، لأنه كالصَّريح في إخراج صحراء الأحقاف عند حَدِّها، والكثير على أنها منها، لاسيما وأنَّ الخطَّ الذي يمتدُّ من سلطنة مَسْقط إلى الجهة الغربية يشتملها، بل يشمل أكثرَ منها، فلئن خرجت عن كلام ياقوت من ناحيةٍ فقد دخلت فيه من الناحية الأخرى.

وفي تواريخ حضرموت: أنَّ حَدَّهَا من جهة الساحل عين بَامَعْبَدٍ، وبروم، والشِّحْرُ ونواحيها إلى أرض المَهْرة، ومن جردان ونواحيها الغربية إلى أرض المهرة أيضاً شرقاً، وعلى هذا فلا تدخل فيها ظَفَارُ الحبوظي وجزم كثيرون بدخولها في حَدِّها وتفصيل ذالك في الأصل. وقال الطيب بامَخْرَمَةَ في كتابه «نسبة البلدان» قال القاضي مسعود: هي من قَبْرِ هود إلى القطن، وعرضها من الشمال الصَّيْعر، وبنو عكير والشماخ وتميم، إلى ريف البصرة وعُمان، وعرضها من الجنوب الغيلُ الأَعْلى والغيل الأسفل إلى حدِّ سيبان والحموم والهرة انتهى. وفي هذا الكلام خلط كثير، لأنه يُضَيِّقُها من الحدود الثلاثة ومن الشمال بإيهامه خروج أرض الصَّيْعَرِ عنها، ويوسعها من هذا الحدِّ بقوله: إلى ريف البصرة، وليس الأمر كذالك، وللحضارمة اصطلاح أخير مصغر في حدِّها فيجعلونها من الصعاد، وهو مكان يقرب من شبَام في غربيه إلى قبر نبي الله هود عليه السلام، لكن المعتبر في الأيمان والنذور والوصايا الأوسع كما قررته في الأصل، وفي مادتي (عبد) و(عبدل) من «التاج» أنَّ اسْمَ حضرموت الأول هو عبدل، وقال بعضهم: إن حضرموت كانت تسمى وبَارًا، ثم سميت وادي الأحقاف، ثم سميت حضرموت، ولاحظت حِمْيَر[1] الأَصْغَرَ عن وَبَارٍ، وأن ذِكْرَ الأَحْقَافِ بالتنزيل متقدِّم عن وبار، فلا شك أنَّ في هذا الترتيب وَهْماً. واسم حضرموت في التوراة كما نقله ياقوت عن ابن الكلبي[2] (حاضر ميت) وكان يقال لها وادي سكاك أيضاً، وأنشد ياقوت لبعض شعراء الحضارم:

جَابَ التَّنَائِفَ مِنْ وَادِي سُكَاكَ إِلَى وَادِي الْأَرَاكِ إِلَى بَطْحَاءِ أَجْيَادِ

ياقوت: وسكاك هو موضع بحضرموت[3]، وقال بعضهم: إنَّ من أسمائِها بِرْكُ الْغِمَاد، وبها كان يضرب المثل في البعد، وقد قال الْمقداد للنبي ﷺ: فوالذي

بعثك بالْحَقِّ لو سِرْتَ بنا إلى بِرْكِ الغماد لجالدنا معك مَنْ دُوْنه، وقد يَتَأَيَّدُ هذا بأنَّ المقداد حضرمي، وقال الشَّمَرْدَلُ بن شَرِيْكٍ يصف الرياح:

بَلَغْنَ أَقْصَى الرَّمْلِ مِنْ يَبْرِيْنَا وَحَضْرَمَوْتَ وَبَلَغْنَ الصِّيْنَا

وقال قيس:

ولو أَنَّ وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ وَدَارِيْ بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا

وبعضهم يرويه (أقصى حضرموت) وهو أنسب: وقيل: إن بِرْكَ الغِمَاد هو وادٍ مخصوص منها فقط وهو وادِي بَرَهُوت، قال ابن دُرَيْد:

وإذَا تَنَكَّرَتِ الْبِلَادُ فَأَوْلِهَا كَنَفَ الْبِعَادْ
وَاجْعَلْ مَقَامَكَ أَوْ مَقَرَّ كَ جَانِبَيْ بِرْكِ الْغِمَاد[٣]

وكما كانت حَضْرَمَوْتُ مَضْرِبَ الْمَثَلِ في الْبُعْدِ فكذالك كانت مَضْرِبَ المثل في أمور كثيرة منها كما في الأصل الْجَمَالُ، وحسبك شاهداً عليه ماجاء في كتابه ﷺ لوائل بن حُجْرٍ مِنْ وصف أَقْيَال حَضرموت بِالْمَشَابِيْب ومعناه كما في «التاج» وغيره: الرُّءُوْس الزّهر الألوان كأنَّما أُوْقِدَتْ وجوهُهُمْ بالنارِ، لِحُسْنِهَا وإشْراقِها[٤]، ومعلوم أنَّ وَفْدَ كِنْدَة استجْهَرَ الناسَ بجماله، وحُسْنِ شارته، وأن عليهم من الحبرات... وذكر المُبرِّدُ أَنَّ الأشعثَ بن قيس من النفر الذين فَرَعُوا النَّاسَ طولاً وجمالاً، وكان من مُقَبِّلِي الظَّعْن، وقال أبو دَهْبَلٍ:

أَعَرَفْتَ رَسْماً بِالنُّجَيْـ ـرِ عَفَا لِزَيْنَبَ أَوْ لِسَارَه
لِعَزِيْزَةٍ مِنْ حَضْرَمَوْ تَ عَلَى مُحَيَّاهَا النَّضَارَهْ

وروى الجاحظ أنَّ حضرميةً كانت من آيات الله جمالاً تجردَتْ أمام زوجها وقالت: ماترى في خلق الرحمن من تفاوت؟ فقال لها: أَرَى فُطُوْراً فاسْتَحْيَتْ.

ومنها حُسْنُ النَّسْجِ ففي حديث الهِجْرَة: أنَّ عَلِيًّا تَسَجَّى ببرد النبي ﷺ الحضرميِّ الأخضر، وأخرج ابنُ سعد بسنده إلى عروة ابن الزبير أن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفد ورداؤه حَضْرَمِيٌّ طوله أربعة أذرع، وعرضه

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
المكتبة
KING FAISAL CENTER FOR RESEARCH AND ISLAMIC STUDIES
١٤١١

ذراعان وشبر، فهو عند الخلفاء قد خَلَّقُوهُ وطوّوه بثوبٍ يلبسونه يوم الإضحى والفطر، وقال النابغة الجعديُّ في مَشُوْبَته:

يُدِيْرُ عَلَيْنَا كَأْسَهُ وَشِوَاءَهُ مَنَاصِفُهُ، والْحَضْرَمِيَّ الْمُحَبَّرَا

والمَناصِفُ هم الخدَمُ وقال جرير:

وَطَوى الطِّرَادُ مَعَ الْقِيَادِ بُطُوْنَهَا طَيَّ التِّجَارِ بِحَضْرَمَوْتَ بُرُوْدَا

وقال حَبيب:

كَشَقِيْقَةِ الْبُرْدِ الْمَسَهَّمِ وَشْيُهُ فِي أَرْضِ مَهْرةً أو بِلَادِ تَزِيد

وَتَزِيدُ - زِنَةُ جَمِيْلٍ - كما هو في «التاج» ابن حَيْدان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وهم الذين تُنْسَبُ إليهم الْبرودُ التَّزْيِدِيَّة، وكانت حضرموت تفيض بالأكْسية إلى صنعاء فما دونها من بلاد اليمن وغيرها، وكان بِصنعاءَ دَلَّالُوْنَ مخصوصون بِالْبَزِّ الحضرمي، يرجع نسبهم إلى آل السقَّاف بِسَيْؤُوْنَ، ولما انقطع الْبَزُّ الحضرميُّ منذ نحوٍ من نصف قرن ساءَتْ أحوالهم.

وكان الحضارمةُ في عهد الشيخ عبدالله بَاعَلْوان يجلِبُون الخيلَ من حضرموت إلى ظفار كما يعرف من الحكاية (١٥٦) من «الجوهر الشفاف» للخطيب.

ومنها جودة الإبل، قال الْبَعِيْثُ الحنفي يمدح ناقة:

مُفَرَّجَةٌ مَنْفُوحَةٌ حَضْرَمِيَّةٌ مُسَانَدَةٌ بَيْنَ الْمَهَارَى انْتَقَيْتُهَا

وقال ذُو الرُّمَّة:

حَرَاجِيجُ قُوْدٌ ذُمِّرَتْ في نِتَاجِهَا بِنَاحِيَةِ الشِّحْرِ الْغُرَيْرِ وَشَدْقَم[٥]

ويدخل فيه كُلّ ما جاء في مدح الإبل المَهْرِيَّةِ بما لا يضبطه الحصر، لِأَنَّ مَهْرَةَ داخلةٌ في حَدِّ حَضْرَموت، على كثير من الأقوال.

ومنها فَرَاهَةُ الْحُمُرِ فقد جاء في «صفة جزيرة العرب» للهمدانيِّ: إن أحسن الحمير الحضرمية[٦].

64973

ومنها جودة الْـخَمْرِ فقد جاء في مادة (بَنَى) من «التاج» قوله:

سَبَتْـهُ مُعْصِرٌ مِنْ حَضْـرَمَـوْتٍ بَـنَـاةُ اللَّحْـمِ جَمَّـاءُ الْعِـظَامِ

ومنها جُدُلُ النُّوْق، فقد جاء في آخر مادة (ثنى) من «التاج» لشاعر قوله:

تُـلَاعِب مَثْنَى حَضْـرَمِـيٍّ كَـأَنَّـهُ تَعَمُّجُ شَيْطَانٍ بِذِي خِرْوَعٍ قَفْرِ

ومنْها جودَةُ النِّعَال، والأَدِلَّةُ على هذا لا تدخل تحت العد ومنها قولُ كُثَيِّر:

رَأَيْتُ ثِيَابَ الْعَصْبِ مُخْتَلِطَ السَّدَى بِنَا، وَبِهِمْ، والْحَضْرَمِـيَّ الْـمُخَصَّرَا

وقول مروان:

كَمَا قَاسَ نَعْلًا حَضْرَمِـيٌّ فقَدَّهَا عَلَى أُخْتِهَا لَـمْ يَأْنِ أَنْ يَتَجَرَّدَا

وقول حَبيب:

حُذِيَتْ حِذَاءَ الْـحَضْرَمِيَّةِ أُرْهِفَتْ وأَجَـابَهَـا التَّخْصِـيْرُ والتَّلْسِـيْنُ

وكما يُضْرب المثلُ بالسيوف اليمانية فإنَّ أهلَ اليمن يضربون المثل بالخناجر الحضرمية، ويتنافسون في اقتنائها،ويتمدحون بها في أشعارهم، وروى الهمداني[٧] عن أبي الحسن الْـخُزاعيِّ وكان يسكن بأرض نجدٍ العليا أنه أصاب الناسَ أزمةٌ شديدةٌ فأقبلوا من نجد إلى مكة وكان فيهم شاعر يقال له الحزارة العامريُّ فأنشَدَ شعراً يذكر فيه ماكان من رحمة الله عندهم، فقال التهاميون لشاعرهم أبي الجياش: قُلْ مِثْلَهُ فأنشد شعراً منه:

سُقِيَتْ حَضْرَمَوْتُ مِنْهَا مَعَ الْأَحْقا فِ رِيًّـا وَعُـلَّتِ الْأَسْـعَـاءُ
طُبِّقَتْ بِـالسُّيُـولِ أَبْـيَنُ حَتَّى لَحْجِهَـا فهْيَ وَالـسَّـمَاءُ سَـوَاءُ

القسم الأول في مرافىء حضرموت ومادانها من أقصاها إلى أقصاها

عَيْنُ بَامَعْبد:

هي قريةٌ صغيرةٌ، واقعة في حدِّ حضرموت الجنوبي الغربي ويأتي في منيع[٨]. . ناسا من آل بامعبد، لايزالون إلى اليوم، فيفهم منه أنَّ العَيْن منسوبة إلى جدهم،

وفي ترجمة الشيخ الكبير عبدالله بن علوي بن الفقيه المقدم، أنه مَرَّ في طريقه من الحجاز إلى حضرموت بعين بامَعْبد، فاستقبله شيخها الكبير محمد بن عبدالله بَامعبد، وأجله واحترمه، وكانت وفاة الشيخ عبدالله بن علوي في سنة ٧٣١ عن إحدى وتسعين عاماً، وفي صفحة ٦٢ من «النور السافر» للشيخ عبدالقادر بن الشيخ العيدروس أن الشيخ بامعبد انتفع بالشيخ سعيد بن عيسى العمودي المتوفى سنة ٦٧١ ، فيمكن أن يكونَ هو صاحب الشيخ عبدالله بن علوي، ويحتمل أن يكون أبوه، أما رجوع الشيخ عبدالله بن علوي من الحجاز إلى حضرموت فقد كان في سنة ٦٨٠.

بَالْحَـــاف:

هو من وراء العين إلى جهة الشَّرق، وهو لآل أحمد بن هادي آل عزان، والسلطان فيهم عبدالله بن محسن الواحدي، وهو من جملة الموقعين على الوثيقة التي أمضى له عليها أعيانُ تلك الجهات وسلاطينها بالسمع والطاعة، على نصر الحق في الْـمَنْشَطِ والْـمَكْرَهِ، كما أن من جملة الموقعين عليها السلطان محمد بن جعبل العوذلي، والسلطان حسين بن أحمد الرصاص، ومشايخ المصعبين والياسر والحسنة، ومناصب السادة آل المحضار بمرخة و. . .[٨] ورؤساء آل بامسدوس بالدين، ولَوْلا أنني شاورت سيدي الإمام يحيى في النهوض بهم فنهاني ـ أدام الله مجده ـ عن الاعتماد عليهم لكان لذالك بناء عظيم، ولكنه أعلى الله شأْنهُ كان أعرف بأحوالهم، وماكنت لِأُقْدمَ على أَمْرٍ وبيعته في عنقي بدون إشارته، وإن كان تدبير ذالك بمسعى ساكن الجنانِ المغفور له السيد محمد ابن أمير المؤمنين، يريد به نصرتي على آل حضرموت، ولكن كان رأْيُ مولانا الإمام يحيى أصوب، فلله الحمد على السلامة.

ومن آل بالحاف جماعة كثيرة نجعتْ إلى الشِّحْر ، وفي الحكاية ٦٨ من «الجوهر» أن آل بالحاف تلقوا السيد علوي بن علوي بن أحمد بن الفقيه المقدم بالسماع، وفي أخبار سنة ٨١٣ أن أحمد بن فارس أخذ قرية آل بالحاف، وأخرجهم منها، فخرجوا إلى الشيخ علي بن عمر ، فأرسل بَعْضَ الفقراء فلم يجبه، فسار هو بنفسه

في رجب، فردها عليهم ورجع هو، أعني الشيخ علي بن عمر في شعبان. انتهى. من «تاريخ باشراحيل» وقد انعقدت بين سلطان بالحاف محسن بن صالح الواحدي و(الانقليز) معاهدة بتاريخ ١٣ نوفمبر سنة ١٩٠٥م على يد (مايسون) والي عدن، وبشهودها عبدالله بن حسين الواحدي وأحمد بن صالح بن ناصر الواحدي، وهادي بن صالح الواحدي، وحسين بن صالح الواحدي، نحو المعاهدات التي بين القعيطي و(الانقليز) ثم انعقدتْ بأثرها على القرب معاهدة بتاريخ ٢٢ نوفمبر من السنة المذكورة، جاء في المادة الثالثة منها: إنه متَى قَذَفَتْ مياهُ البحر ببضاعة أو بمركب فإنْ عُرِفَ مَالِكُهُ في طرف شهر فليس للسلطان الواحدي إلا ثلث الموجود، وإن لم يعرفْ في ظرف شهر فكله انتهى. وهذا يدل على أنهم كانوا على نوع من القرصنة كآل كَثِيْر في رَيْدَةِ ابْنِ حمدات، حسبما يأتي فيها. وفي أواخر الحرب الأولى وردني بريدٌ مخصوص بكتاب من السيد أبو بكر بن سالم بن أحمد بن علي بن عمر المحضار محرراً في ١٧ الحجة سنة ١٣٣٥هـ يقول لي فيه: إن آل طالب بن هادي يريدون أن يحالفوا آل كثير، فإذَا كانوا راغبين أفيدونا، ولكن آل كثير قد ركنوا إلى الدَّعَةِ، وقصرتْ هِمَمُهُمْ فلم نجد عندهم حركة بشيء، ولم يكن ذالك موافقاً لهوانا، إذ قد غمصنا في صداقة مع الدولة القعيطية لا يمكن معها أَنْ نُؤَلِّبَ ٱلْأَعْداءَ عليها، وإنْ كانت صداقتها لا تسمن ولا تغني من جوع، لا معنا فقط بل مع سائر حلفائها وأصدقائها لأن السيد حسين ابن حامد إنما ينفق من بضائع المجاملة والمعانقة التي لا تنفد، بدون أية نتيجة، ومَنْ بَعْدَهُ من الوزراء شَرٌّ منه، فهي دولة غنية، مترامية الأكناف، ولكن بلا رجال أكفاء مخلصين.

بيـر علـي:

هي إحدى موانيء البحر الشِّحْرِيِّ، في شرقي بالحاف، وهي لآل طالب بن هادي الواحدي، والسلطان فيهم ناصر بن طالب، وقد زار حضرموت قريباً، وكان يزورني بعد الظهر في أكثر الأيام، وكانت حكومة عدن تحاول اتِّحادَهُ مع آل أحمد بن هادي، وجعلهم دولةً واحدةً، فأما آل أحمد بن هادي فَرَضُوا وأما هو فَأَبَى، ولكنه توفي فَجْأَةً بعدن، في ١٤ أبريل من سنة ١٩٤٠م، ولا أعرف الآن

ما يوافقها بالضبط من التاريخ الهجري، ومن تلك السنة و ٢٨ ديسمبر توفي أيضاً بعدن فَجْأةً نَقيبُ الوسطة الشيخ أبو بكر، بِعقِبِ مقابلته لوالي عدن في الحادي عشر من الشهر المذكور، وكذالك كُلُّ من لَـمْ يوافق حكومة عدن على هواها يموت فجأة لأنَّ للهِ جُنُوداً من العسل !!

حصـن الغـراب:

هو في بير علي، وكان أحد مرافيء حضرموت، وهو مبنيٌّ بالحجارة المنحوتة، يبلغ بعض أحجاره أربعة أذرع وستة أذرع، على قِمَّةِ جبل، يحيط به البحر من الجهات الثلاث، على عمق غزير، يمكن لكبريات البواخر أن ترسو بقربه، وليس له طريق من البر إلا من جهة شماله فقط، وهو حصن منيع، باقية آثاره، وحواليه كتابات المسند، يظهر أنها تعريف به وبأهله، هكذا وصفه لي السلطان ناصر بن طالب، وقد ذكره ابن الحائك الْهَمْدَاني بقوله[٩]: وفي المنتصف من هذا الساحل شرقاً بين عُمَانَ وعَدَن رَيْسُوت. وهو موئل كالقلعة، بل قلعة مبنية على جبل، يحيط بها البحر إلا من جانب واحد، وبها سكن من الأزد من بني جُدَيْد. حتى طردتهم بنو خنزريت القمر، فتفرقوا في بلاد المهرة، ويقال: إن ساكن رَيْسُوت القدماء هم البياسرة ونزلت عليه بنو جُدَيْدٍ من الأزد فترأست فيهم انتهى. باختصار، والقَمَرُزِنَةُ قَمَر السماء، وذكره ياقوت في موضعه، وفي التعريف باليمن وهو ناقل عن ابن الحائك وما ذَكَرَاهُ ينطبق في الكَيْف على حصن الغراب. وأما ماذكراه من الأين والموقع فلا ينطبق إلا على رَيْسوت القريبة من ظفار، وهي التي يفرق بين طريقها وبين الطريق المسلوك إلى ظفار نحو ميل، وهي التي تلاقت فيها عساكر الملك المظفر الرسولي، ثم تقدموا منها إلى موضع من أعمال ظفار يقال له عوقد، حيث كانت الواقعة الهائلة التي دارتْ فيها الدائرة على سالم بن إدريس الحبوظي، واستولى بعدها عسكر المظفر على ظفار، وعلى سائر بلاد حضرموت، وكانت تلك الوقعة في يوم السبت ٢٧ رجب من سنة ٦٧٨ وياقوت مخطيءٌ في نقله هذا عن ابن الحائك إذ لا يمكن أن يذكر ظفار إذ كانت وفاته بسجن صنعاء في سنة ٣٣٤ كما في «بغية الوعاة» للسيوطي[١٠] وإنما أُنْشِئَتْ ظفار بعد ذالك بزمان.

أما مرباط فلها ذكر كثير في «صفة جزيرة العرب»[١١] ومنه في هذا الموضع: أن أهل ريسوت تفرقوا في البلاد بعدما بيتهم بنو خنزريت فسكنوا موضعاً من الغبب يقال له حاسك ومرباط، ومن هنا نشأ وهم ياقوت، وذكر مرباط هنا يُمَهِّدُ العذرَ له لكن الغبب بأسرها من المهرة.

ومنها أعني «صفة جزيرة العرب»[١٢] أن شطوط بحر العرب مثل سَفَوَان وكاظِمة وأغباب مَهْرةَ وسُفْليِّ حضرموت والأحقاف، وتيه أبين، وفلاة الفرسَان وبني مجيد انتهى. وحيق بني مجيد ذكر في «صفة جزيرة العرب»[١٢] وهو عدن وفي «القاموس» أنَّ غب القمر موضع بين الشحر وظفار. وقال الطيب بَامَخْرَمة: وغِبُّ القمر هو المعروف اليوم بعشة القمر، وهو موضع خطر، إذا سقَطَتْ إليه السفن قلَّ أنْ تسلم انتهى. وقال الهمداني[١٣]: ورؤوس البحر يعني بحر العرب المتعالمة بالخطر والصعوبة الفرتك، ورأس الجمجمة، وباب المندب، ثم ذكر غيرها مما لا حاجة بنا إليه، وسيعادُ بَعْضُ ماهنا قبيل القسم الثاني فلا مؤاخذة. ورأيت في «الشهاب الراصد» أن ضابطاً (انقليزياً) نقل بعض النقوش التي في حصن الغراب وعرضها على العلماء العارفين فإذا فيها أن سميفع اشوى وأولاده نقشوا هذا التذكار في حصن مريجت (؟) (غراب) لما وصلوا أسوارهم، ومَهَّدُوا دروبهم، وتحصنوا فيه، بعد أن فتحوا اليمن، وغلبوا أَهْلَها، وفتحوا طريق التجارة في أرضِ حِمْيَرَ، وقتلوا مَلِكَهَا وأقيالَهُ الحِمْيَرِيِّيْنَ. وشبيه أَنْ يكون هذا المقتول هُوَ ذُوْ نُوَاسٍ الْحِمْيَرِيُّ فإنه الذي قتله الأحباش[١٤] انتهى. وسمعت أن هذا الضابط الذي نقل النقوش يقال له (والستاد) وهو صادق في قوله: إنَّ الأحباش قتلوا ذَا نُوَاسٍ لأنهم إنْ لم يقتلوه مباشرةً فقد ألقى بنفسه في البحر، لما انهزم من أرياط وأبرهة الحبشيين، وذُو نُوَاسٍ هذا هو الذي أَجْبَرَ أهلَ نَجْرَانَ على التَّهَوُّدِ، وخَدَّ لَهُمُ الْأُخْدُوْدَ فكان في غزوة الأحباش له انتصارٌ للمسيحية، وأَخْذٌ بالثأر، أما مدة الأحباش باليمن فقد كانت قصيرة حسبما هو مفصل بالأصل.

وقد دخلَتْ بيرُ علي تحت الحماية (الانقليزية) على يد والي عدن لذالك العهد (هرغ) وسلاطينها محسن بن صالح، وصالح بن أحمد بن صالح، وعبدالله بن أحمد بن صالح، وناصر بن حسين بن محسن، وأبو بكر بن حسين بن محسن،

وصالح بن عبدالله بن صالح بن محسن، وعلي بن عبدالله بن صالح بن محسن وناصر بن طالب بن هادي بتاريخ ٢٠ أبريل سنة ١٨٨٨ .

عـــزان:

هو في شمال بالحاف، على مسافة ثلاثة أيام منها للجمال، وهو حصن آل أحمد ابن هادي، وقد جرتْ لهم خطراتٌ، وتقلبت بهم الأحوال حسبما فُصِّل بالأصل، وفي غربي عزان على مسافة ساعتين بالتقريب تكون حوطة الفقيه علي.

حوطـة الفقيـه:

هي بلاد تجاريةٌ معمورة ، في غربيها على بعد تسع ساعات للجمال يكون موقع حبان ومنها إلى يبعث في شرقيها مرحلتان بسير الأثقال، والحوطة المذكورة منسوبة للشيخ الجليل علي بن محمد بن عمر بن راشد بن خالد بن مالك المالكي نسبا، الشافعي مذهباً، وبها كانت وفاته أوائل سنة ٨٣٢ وعليه قبة كبيرة[١٥] إلى جانب جامعه الذي كانت عمارته في سنة ٧٧١، وقال الطيب بامخرمة في مادة الرجبي : إن باليمن بقرب قرية محفن المعروف بحصن المخارم الكنديين قرية يقال لها الرجبة، أنشأها الفقيه العالم الصالح الورع نور الدين علي بن جمال الدين محمد بن عمر المالكي قدم والده من أَبْيَن ، ثم أقام بالمصنعة وهي حبان، فأولد الولد الصالح علي المذكور ، والفقيه شرف الدين إسماعيل، والفقيه إسرائيل، والفقيه أبا بكر، وكانت هذه الرجبة مَوَاتاً طلبها من أهـل تلك الجهة، وبنى بها جامعاً حسناً، وفطر فيها آباراً، وأولد فيها أولاده الفقهاء ، يطعمون الطعام، توفي الفقيه علي بالمحرم سنة ٨٣٢ كذا ذكره القاضي مسعود هذا آخر كلام الطيب وهو موافق لما تقدم.

روضة بني إسرائيل:

هي واقعةٌ في شمال حوطة الفقيه علي، منسوبة إلى أخيه إسرائيل بن محمد، وهم بيت علم وصلاح، ولهم مؤلفات وفتاويات كثيرة في فقه الإمام الشافعي، منهم الشيخ الشهير محمد بن عبدالقادر ، مؤلف «غريب القرآن» وغيره ذكره

صاحب «المشرع» في ص (١٩٨ ج ٢) وقد صدر لإسماعيل المذكور في كلام بالمخرمة أخي إسرائيل هذا مرسوم سلطاني بولاية القضاء ، من باب بروم إلى باب أَبْين وما بينهما من القرى، مثل دثينة، وأحور وميفعة والعين وغيرها. وكان ذالك المرسوم بتاريخ ١٠ محرم سنة ٨١٥ وكانت وفاة إسماعيل هذا بمدينة حبان في ٧ ربيع الثاني سنة ٨٣٥هـ .

مَيْفَعَـــةُ:

هي أرضٌ واسعة، فيها قرى وآبار كثيرة، وهي في شرق عزان، بينها وبينه مسافة نحو ساعتين، وفي عطفها جماعة من أعقاب السيد فدعق بن محمد بن عبدالله بن مبارك بن عبدالله المشهور بوطب، ولِأَلِ باقطمي اعتقاد في شريفةٍ مقبورةٍ هناك، يقال لها علوية، وما أظنها إلا من آل فدعق المذكورين، ومن شرطهم أن لا يكون القائم بمنصبها إلا بنتٌ بكرٌ من أسرتها، ولا يمكن لها أن تتزوج، وعلى منصبتها اليوم شريفة يقال لها سيدة، تبرز للرجال، وتحادثهم، ولها جاهٌ واسع، لدى آل باقطمي وغيرهم، وهي تكرم الضِّيْفَان، وفي ميفعة كانت وفاة الشيخ عبدالله الصالح المغربي، وكان من خبره أن الشيخ أَبا مَدْيَنَ أرسل بخرقةِ التصوف[١٦] للفقيه محمد بن علي بن محمد، بمعية الشيخ عبدالرحمن بن محمد الحضرمي، فأدركته الوفاة بمكة المشرفة، فعهد للشيخ عبدالله الصالح المغربي بإيصالها للفقيه المقدم، فألبسه إياها، وغضب لذالك علي بامروان، وقال له: أَذْهَبْتَ نورَك بعد أن رَجَوْتُ أَنْ تكونَ كَابْنِ فورك، فتفقرت، فقال له الأستاذ الفقيه المقدم: الفقر فَخْري. ثم سار الشيخ الصالح لإلباس الشيخ سعيد بن عيسى العمودي عن إشارة الشيخ أبي مَدْيَن، ثم توجه إلى ميفعة، وفي طريقه إليها ألبس صاحبَ عورة الشيخ باعمر عن نفسه لا عن الشيخ أبي مَدْيَن، ولما صعد إلى ميفعة اتصل بباحمران وذكر الشلِّيُّ وغيره أن الفقيه المقدم سار إلى ميفعة لعيادة الشيخ عبدالله الصالح، وكان بلغه توعكه، وهناك اجتمع به وبتلاميذه، وشهدوا وفاته ودفنه بميفعة، ولم يذكروا تاريخ موته، غير أنه كان قبل موت الفقيه الذي كانت وفاته سنة ٦٥٣. ومن العجب أن العلامة السيد علي بن حسن العطاس يقول في «سفينة البضائع»: إن الفقيه المقدم والشيخ سعيد بن عيسى العمودي

والشيخ عبدالله بن عمر صاحب الدلو، والشيخ باحمران اجتمعوا بشيخهم الشيخ عبدالله الصالح المقبور ببلد كنينة، بلد الشق البحري، قريب من حَجْر، وهي الجهة التي يقال لها ميفع انتهى ففيه أوهام وكَأَنَّ النظرَ انتقل عليه من ميفعة إلى ميفع ثم ماكان الشيخ الصالح بشيخ للمقدم ولا للعمودي، وإنما هو سفير مُحْضِرٌ في إيصال الخرقة لهما، وفي ميفعة باحمران آخر غير الأول هو من تلاميذ السيد عبدالله باعلوي.

وكان في ميفعة جماعة من علماء الإباضية حسبما يعرف من شعر الإمام إبراهيم ابن قيس الآتي في ذكر شبام.

أما سلطنة ميفعة وحبان فقد كانت في القرن التاسع للدولة الطاهرية، وأما في القرن العاشر فسلطنة حبان للواحدي، ومنهم عبدالواحد بن صلاح بن عبدالله ابن عبدالواحد بن صلاح بن روضان، وهو ممدوح الشيخ محمد بن عبدالقادر بن أحمد الإسرائيلي توفي عبدالواحد المذكور في سنة ٩٩١، وسلطنة ميفعة لابن سدّة، وكثيراً ماجاء ذكرهم في ديوان الشيخ عمر بن عبدالله بامَخْرَمة، فمن ذالك قوله يهيج بَدْرَ بُوطُوَيرق عليه:

فالمره زاهله للعقد ماعـاد عدِّهْ
ماتيَّا إلا حصانَكْ قُلْ لعبدك يشدّهْ
حَجْر في شهرنا والعولقي وابن سَدَّهْ

وهو وآل عبد المانع وآل ابن عبدالواحد سلاطين الظاهر، يرجعون إلى بني أُمية في النسب، وفي حوادث سنة ٩١٥ من «تاريخ شنبل» أن عبدالودود بن سَدّة صَالَ على بيحان، فأفسد ضمرا فيها، ثم لاقاه آل بيحان مع رجوعه فقتلوا من عسكره أكثر من عشرين، وأخذوا عليه عبيداً وعتاداً وأسلحةً، ومنه في أخبار سنة ٩١٧ توفي السلطان العادل عبدالودود بن سدّة.

وينهر إلى ميفعة كلٌّ من جبال عمقين، ووادي العطف، وكان بينها وبين وادي حبان جبل يمنع من وصول مائه إليها، ولكن إحدى الدول السابقة فتحت فيه نفقاً يخترقه، فصار ماءُ حبان يفيض فيه إلى ميفعة، كذا أخبرني بعضهم عن مشاهدةٍ،

وأنها لإِمَارَةُ ملكٍ ضحم ، وسلطان عظيم ، وما بين عطف ميفعة المسمى عطف بالرشيد وميفعة آثارُ مدينةٍ قديمة، يقال لها الْهَجْرُ ، كان يقال: إنها ثاني بلد ذالك الصقع بعد مدينة شَبْوَةَ ، لاتزال آثارها ماثلة، وأساطينها قائمة، وعليها كتابات كثيرة بالمسند، وحجاراتها منجورة، وضخامتها تدل على أنه كانت عندهم آلات غريبة للنقل، لِأَنَّ نقلَ تلك الحجارة الضخمة لا يسهل للجمال ولا للرجال.

وقبائل ميفعة هم آل باقطمي حسبما أخبرني بعضهم بألف وخمس مئة رام ، والله أعلم بحقيقة الحال ، وماسبق من خَرْقِ الجبل ليس بالكبير في جانب ما ذكره ياقوت في مادة مندب من أن بعض الملوك أراد أن يُهْلِك عَدُوَّهُ فندب الرجال للمندب، وكان جبلاً يحجز البحر ، ويمنعه أن ينبسط بأرض اليمن، فقدُّوه فنفذ البحر إلى أرض اليمن، وغلب على بلدان وقرى كثيرة، وأهلك أُمَمًا، وصار منه بحر اليمن، الحائل بين أرض [اليمن و] الحبشة الآخذ إلى عَيْذَابَ والْقُصَيْر، إلى مقابل قُوْص ، من بلد الصعيد، وعلى ساحله أَيْلَةُ وجُدَّة والْقُلْزُم ، وغير ذالك من البلاد والله أعلم هذا آخر كلام ياقوت، وفيه بُعْدٌ ، لأن هذا البحر المسمى البحر الأحمر قَدِيْمٌ جِدًّا ، لأنَّ المسافة ما بين رأس دمار الواقع في أفريقيا والجبل الْمُسَمَّى المنهلي المنسوب للشيخ سعيد وفيه قلعة، تقرب من ثلاثين ميلاً تمخرها كبريات السفن بلا توقف فما هو إِنْ صَحَّ إِلَّا أَمْرٌ عظيمٌ لم يصل إليه الغربيون الآن، ولا إلى قريب منه، وظاهر كلام ياقوت أنه لذالك سمي المندب، وسمعت بعض أهل اليمن يقول: إنما سمي المندب لواقعة بتهامة كثرت القتلى فيها فانتشرت الندبةُ فيه، وفي كل ماوراءه من بلدان، فلذلك قيل باب المندب والله أعلم.

ميفـــع:

هو ساحل يبعد عن البحر بنحو ساعة ونصف في شرقي بير علي، وغربي بروم، عليه أرض واسعَة، وفيه مياه غزيرة تدفع إليه من حَجْر ، وفي أخبار الشيخ عبدالله بن محمد بامخرمة المتوفى سنة ٩٧٢ ، أن له مدائح في سلطان ميفع سند بن محمد الوداد الثعيري، وقال السيد سالم بن أحمد المحضار : وفي سنة ١٣١٤هـ

استولى الجمعدار غالب بن عوض القُعيطي على وادي ميفع، أخذه بالشراء الصحيح من آل بامزاحم، وآل باحفيظ وآل بامعبد، ولما علم بذالك آل عبدالواحد رفعوا عليه دعوى في عدن، وطال النزاع ولكنه انتهى بفوز القعيطي، وفي سنة ١٣١٥هـ بنى المصانع والحصون بميفع، وساق ٱلْأَكَرَةَ والعمَّالَ من الْـمُكَلاَّ، وحصَّنها بالعساكر، وهي بالحقيقة أرض آل عبدالواحد، ولكن القعيطي غلبهم عليها مع ضعفهم، هذا حاصل كلامه باختصار وتلطف، وقوله غالبهم القعيطي، لا يخالف ماقبله من قوله: أخذه بالشراء الصحيح، لأن الشراء واقع على مُلْكِ اليد، والغلبةُ واقعةٌ على الإمارة، وقلما تؤخذُ إلاَّ غَصْباً قال المتنبي:

فَالْمَوْتُ أَعْذَرُ لِـيْ وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِـي والْبَرُّ أَوْسَعُ والدُّنْيَا لِـمَنْ غَلَبَـا

وقال:

مَنْ أَطاقَ الْتِمَاسَ شَيْءٍ غِـلاَباً واغْتِصَـابـاً لَـمْ يَلْتَمِسْـهُ سُؤَالاً

وقال:

إِذَا لَـمْ تُجِزْهُمْ دَارُ قَوْمٍ مَوَدَّةً أَجازَ الْقَنَا وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ

وقال:

ومَنْ تَكُنِ ٱلْأُسْدُ الضَّوَارِي جُدُوْدَهُ يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً ومَطْعَمُهُ غَصْبَا

وأصل المعنى فيما أحفظ ما أنشده مروان يوم وثب على الملك بعد معاوية بن يزيد وهو:

إِنِّي أَرَى فِتْنَـةً تَغْلِـي مَرَاجِلُهَـا وَالْـمُلْكُ بَعْدَ أَبِـي لَيْلَى لِمَنْ غَلَبَا

وأرض مَيفع صالحةٌ للزراعة بكثرة مائها وحسن تربتها، فهي مظنة ارتفاع مائل، إلا أنها موبوءة، قلَّ من أقام بها إلا زارته الْـحُمَّى ثم لم تفارقه حتى تورده شَعُوبَ، ولكن ما أظنه يصعب مع تقدم الطب في الأيام الأخيرة أن يُعَالَجَ هَوَاؤُها حتى يَصِحَّ، فتنبعث نيةُ السلطان لعمارتها، حتى يتوفر على الخزينة رِبْحٌ عظيم، ومالٌ

كثير، تنتعش به البلاد، وينتفع به العباد، إنْ لم يَؤُلِ ٱلأَمْرُ إلى مثل قول الرصافي:

هــو مـلك مشــرقِـيُّ الضَّرْع، غَــرْبِـيُّ الْـمَــلَايِــيْن.

وفي اخبار سنة ٩١٦ من «تاريخ بَاشَراحيل» أن ابنَ سَدَّة أغار على ميفع، وَنَهَب عبيداً وبهائم، ثم لاقاه ابنُ دَغَّارٍ إلى نحو عين بَامَعْبَد، فانهزم ابنُ دَغَّارٍ انهزاماً فاحِشاً، فأُسِرَ، وقتل من قومه نحو خمسة عشر وأُسِرَ الباقون.

حَـجْــر:

ذكر في «التَّاج» وأَصْلِهِ: حَجْرِ ذِي رُعَيْنٍ، من حِمْيَرَ، وَحَجْرُ ٱلأَزْدِ قال: وباليمن موضع يقال له حَجْرٌ على مسافة عشرة أيام من زَبِيْدَ، وهو المذكور في قول مُهَلْهل:

وَلَوْلَا الرِّيْحُ أَسْمَعَ مَنْ بِحَجْرٍ صَلِيْـل الْبَيْضِ تُقْرَعُ بِـالذُّكُـوْرِ

وكانت الواقعةُ بالذَّنَائِبِ، وهي على مقربة منْ زَبِيْدَ، ولا أَدْرِي أَحَجْرٌ هٰذه بِضَـمِّ الحاءِ أم بفتحها، ولكن ياقوت يقول: قال أبو سعد: حُجْر بالضم اسم موضع باليمن، إليه ينسب أحمد بن علي الهُذَلِيُّ الحجري، وأطال في حَجْرِ اليمامة، وهي غير التي نحن بِسَبِيْلها، وقال الطيبُ بالمخرمة: وحَجْرُ بفتح ثم سكون، قال القاضي مسعود: هذا الاسم مشترك بين موضعين أحدهما حَجْرُ عَلْوانَ، وهو وادٍ باليمن، فيه قرى وحصون، طيِّبُ الماء والهواء والتربة، والثاني حَجْر ابْنِ دَغَّارٍ الكِنْدِيِّ، وهو كثير الماء والنخيل، له غِيَالٌ لا تنقطع، وهي وَخِيْمَةٌ جدًّا بِضِدِّ الأولى انتهى، وهو صقع واسع، كثير المياه والنخيل، ومن مدنه كنينة، ومحمدة، ويون، ومن نواحيه الخصبة المكان المسمى بالصدارة، فيه نحو مئة عين نضاخة، ولايزال آل أحمد بن هادي الواحدي يَدَّعُونَ لهم حقوقاً فيه، فلم تُسْمَعْ لهم دعوى، وفي غربي حجر جبال فيها المكان المعروف بِصيق العجر، وهو الذي قُتِل فيه السلطان عبود بن سالم الكثيري غدراً، قتله أحد آل خليفة، وكان خفيراً معه بجعالةٍ، وقعتْ له من جانب القعيطي حسبما فُصِّل بالأصل، وفي شماله لبنة

بَارشيد بِأَعْلَى الجبل الَّذِي يَنْهَرُ إلى حَجْرٍ ، وهي الحد الفاصل مابين الدين ونوح، ومن ورائها رَيْدَةُ الدين، وسيبان، وجبال دَوْعَن، وجبال نعمان، وفي شعر الإمام إبراهيم بن قيس الإباضي وهو من أهل القرن الخامس ذكر كثير لابن دَغَّارٍ المنسوب إليه هذا الوادي منه قوله:

سَيَعْلَمُ دَغَّارُ بْنُ أَحْمَدَ وَالْفَتَى سُلَالَةُ مَهْدِيٍّ وَكُلُّ مُخَالِفِ
إِذَا نَزَلَ الْمُسْتَنْصِرُوْنَ بِجَحْفَلٍ يَهُزُّوْنَ بِيْضاً كَالْبُرُوْقِ الْخَوَاطِفِ

والظاهر أنه أبو حَجْر الذي ينسب إليه هذا الوادي، وفي مسودة بقلم ضعيفٍ أن بلاد مدورة الواقعة بين لازم والسور كانت بلاداً قويَّةً معمورةً ، أما ملوكها فهم ابْنُ دَغَّارٍ ، وبَابقي، والصَّيْعَر ، وابن دخياخ، وأما سوقتها فَهُمْ باصفار، وبامحفوظ، وآل شحيل، ثم لما طغوا سلَّط الله عليهم النَّهدِيَّ، وأتى لهم بابن سهل من القبلة، فدمروها تدميراً، وهرب ابن دَغَّارٍ وباقي أهلها، وسكنوا خرايت سباي، فسلط الله عليهم الجوهي، وطردهم فانتقل ابن دَغَّارٍ إلى حَجْرٍ ، واستولى على باحوته وباحبوبه، واتخذها له موطناً، ثم جاء مركب من مسيطبة إلى حصن الغراب، فمات رُبَّانُهُ فأخذه ابنُ دغَّار ، واتخذ المسيطبة الذين به عسكراً ، فهاؤلاء الحجورين(؟) ذرية أولئك، ثم إنَّ ابن دَغَّار قهر الدين والمشاجرة، وأخذ منهم العشور ، وملك دَوْعَنَ، وطغى ، فتقلص ملكه من دوعَن، ولما أيقنَ بالزوال ختم الأنهارَ بالأخشاب، ثم بالرصاص الكثير المذاب، وكان الذي خلفه على الرشيد، وطائفة من دَوْعَن آل بالحمان، وتاريخ زوال ملكه عن دوعن حسبما يفهم من تلك المسودة في حدود سنة ٧٨٢ وعن بارضوان عن «شجرة الأنساب» لأبي الحسن الأشعري أن بني دَغَّار بمدورة انتهى. وفيه تأكيد لبعض ما تقدم وفي ترجمة الشيخ مبارز بن غانم الزبيدي من «طبقات الشرجي» أنه انتقل إلَى حَجْر وهي جِهَة متسعة، تشتمل على قرى ومزارع، خرج منها جماعة من الصالحين، وابتنى بها رباطاً لم يزل به حتى مات هناك، وقبره مشهور ، وكانت وفاته حسبما يفهم من السياق في العقد الثامن من المئة السابعة، وهذا الاسم وَإِنْ كان مشتركاً بين حَجْر عَلْوان وحَجْرِ ابن دَغَّار فهو إلى الثاني أقرب، لأن انتقال الشيخ مبارز إليها كان من عند الشيخ أحمد بن أبي الجعد بِأَبْيَنَ، وهي إلى هذه أدْنى[١٧]، وبعد أن تقلص

ملك ابن دَغَّارٍ من دوعن وَهَتْ أسبابه في حجر، ولم يزل في التلاشي حتى اضمَحَلَّ، وخلفته عليها نَوَّح، وهي من سيبان، وسيبان كما في «بغية» شيخنا المشهور نقلاً عن الغسَّاني من ولد حَضْرَمَوْت بن سبإ، وهي شعب كبير، تتفرع منه عدة قبائل، منهم الحالكة تشمل بلحمر، وباخر، وباسعد، وهم نحو أربع مئة رامي، ومنهم الخامعة تشمل باصرة، وباقديم، وباسلوم، وبارشيد، نحو ثلاث مئة وخمسين رامياً، ومنهم المراشدة يدخل فيهم آل باد حيدوح، وبابعير، وباصريح وبَاكردوس، وباضروس(؟) نحو خمس مئة رام، ومنهم الغشم يدخل فيها آل بامعروفة وبيصقع وبني مقدم، وبن علي باسلم، نحو ثلاث مئة رامي، ومنهم آل باخشوين لايزيدون عن ستين رامياً، ومنهم:

باعمروش نحو عشرة رميان(؟) ومنهم السموح وهم الجهضمي، وباوسيم، وعددهم قليل، وأكثر هذه القبائل بدوعن. وجبالها وماحواليها، ومن سيبان الامام العظيم أحد علماء الإسلام أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، كما في السين. من كتاب «المغني في النسب» للعلامة الفتني، وما أظنه إلا ناقلاً عن المزي وابن حجر، لكني لم أتمكن من المراجعة.

وقال الطيِّبُ باخرمة: سيبان بطن من حِمْيَرَ، وَوَهِمَ الذهبيُّ فجعلهم من مُرَادٍ انتهى. والطيب جعل سيبان بَطْناً، والعمارة أكبر منه، والقبيلة أكبر من العِمارة، ونحن ذهبنا بها بعيدة فجعلنا سيبان شَعْباً تتفرع منه تلك القبائل التي لاتَعُدُّ إلا أفخاذاً أو فصائل على ماذكر، ولكن لا مشاحة في مثل ذالك، ولاسيما مع تطاول الأيام، وكثرة التوالد، ومهما يكن من الأمر فإنه قريب، وعندما جاء ذكر أعقاب السيد عبدالرحمن بن علوي الخواص الجفري من «شمس الظهيرة» أشار أن بعضهم بحجر العوالق، ومنه يفهم أن هناك حجراً ثالثاً، إلا أنه خفيٌّ لا شهرة له، وقد علمتَ مما سبق عن الطيب باخرمة أنَّ حجر ابْن دَغَّارٍ كِنْدِيُّ النسب، ليس من سيبان في رُطَبٍ ولا عِنَب، وفي حَجْر موضع يقال له الواد، زعم بعضهم أنه المراد من قوله جل ذكره ﴿ وَثَمُوْدَ الَّذِيْنَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾، وقد يُسْتظهر له بقربه من حصن الغراب، وبما حواليه من الآثار الموجودة، والحجارة المنحوتة، والله أعلم.

وبعَقِبِ ما اشترى السلطان غالب بن عوض القعيطي أرض ميفع ـ بالنيابة عن أبيه ـ اشتدَّ طمعُهُ في حَجْر ، إلا أنها تمنعتْ عليه بعقبةٍ كَأْدَاءَ لا طريق لها إلا منها، فكلما أرسل القعيطيُّ بجيش كَمَنُوالَهُ في مخارمها فأبادوه وكسروه على الأقل، ولما لم يكن لهم ذَرْعٌ بالمطاولة وكان السلطان عوضُ قويَّ العزيمة، شديدَ الشكيمة (لا) تنفتح له نية عن هزيمة، أخذ يوالي الزحوف، ويبذل الألوف، حتى انقطعتْ أسباب نوح، وتعطلت معايشهم، فنجعوا لتحكيم السيد حسين بن أحمد العطاس صاحب عمد، والسيد أحمد بن حسن العطاس صاحب حرنفية، وفي القعدة من سنة ١٣٢٨هـ، توجه السيدانِ وكان الأول محمولاً على الأعناق، لضعفه، وكبر سنه، فحكما بأن جميع وادي حَجْر ونواحيه كنينة ومحمدة، ويون، وماتعلق بها، يكون تحت سلطنة السلطان عوض بن عمر وأولاده غالب وعمر وصالح ، وما تناسلوا، فلهم سلطان الأرض، ولنوح إعفاء أموالهم الخاصة من جميع الرسوم الدولية، فلا عشور ولا مكوس عليهم، ولا على مناصبهم آل البيتي، وآل العطاس، وآل باراس، وآل الشاطري وبافتيه، وباعلوي وابن مالك، وعلَى أنْ يبقى عشور الشيخ سعيد بن عيسى العمودِي بحجر على حاله، وعلى قبائل نوح أن يضعوا رهائن من أولادهم للوفاء بذالك من كل قبيلة، وهم بامسعود، وبافقاس، وباذبيان، وبارشيد، وهذه هي أقوى قبائلهم، وفيها رئاستهم العامة، وعلى أن تكون الرهائن بنسبة القبائل كثرةً وقلةً، وكتب بينهم في ذالك عدة وثائق موجودة بعضها في الأصل، وبتمام الأمر انتهت البشارةُ إلى السلطان عوض، وهو على فِراش الموت، فقرت عينه، ولم يسلم روحه لبارئها إلا مَثْلُوج الصدر من جهة حجر بارد الفؤاد، وكان اهتمامه بها أكبر موضع من باله حتى لقد قال في حَجِّهِ وهو متعلق بأَسْتَارِ الكعبة في سنة ١٣١٧هـ ، أخبرني بذالك السيد حسين بن حامد المحضار : أتوبُ إليك ياربِّ من كل ذنب إلَّا من حَجْر وحضرموت.

ولآلِ حَجْرٍ عوارضُ قوية في الأشعار العامية أخبرني السيد حسين بن حامد المحضار بأنها كثيرًا ما تحصل المهادنات بينهم، فيتبادلون الزيارات بين الأراجيز ودَوِيِّ البنادق، وإن كان الواحد ليرتجل العشرين فلا يرتجزون إلا بالأخير منها،

ومن أشعارهم الدالة على الإِبَاءِ قول أحدهم:

واللِّقَا والوفا والْوَعَدْ إلى رأس حوته بانُعَارضُه بانَلْقَى حرارة وضيقه
لَوْ يقع من مئة مقتول في قبر واحد والنبي[19] ما التوى عقده بعقد الشريفة

فبقيت من هذا حزازة في نفس السيد حسين بن حامد لم يستطع أن ينفث بما يشفي صدره في جوابها إلا ليلة دخولهم إلى الْمُكَلاَّ بعد إبرام المعاهدات فقال:

قَالُوا لِيَ الْيَوْمَ الشَّرِيفة وكلت من بعد ماغلبتْ وصاليها غَلَبْ
بيدي عوادي شاربين المسكرة حملوا على حوته وحلفوا في السلب

وحوتة هي العقبة الكأداء التي أعجزتهم عن أخذِها عنوةً، ولكن طفقوا يُفْتِلُون في الذُّرَى والْغَوَارب حتى وَطَّأُوْا أكنافَهم بالبذل، ولهذا أجابه بعضهم قبل أَنْ يُبْلِعَهُ الرِّيْقَ بما نَسِيْتُه في هذا المعنى، وكادوا يتواثبون إثْرَ كلِّ المراجعات بالأرجيزِ الحادَّة ولكن هداهم المناصب، وأخبرني السيد حسين بن حامد أنه قال في أحد مراجزه لهم في هدنة ذات الأيام:

ياحَجْر ابْنِ دغَّار ماشِي معذره لَوْبَا نُرَادَفْ في المقابر من ثنين
إن عاد شي تركوب وإلا تبصره ولا مع الله بالمطابق والكبين

فأجابه أحدهم لاعن ذُلٍّ، ولكن خضع الجناحَ شيئاً بما جُبِلُوا عليه من كرم الضيافة فقال:

حيا وسهلا بالوجيه الزاهره لسَّيِّد المحضار من حامد حسين
أنتوا وصلتوا البشاره ظاهره والزين يخرج منه إلا كل زين

قال: فأخجلني بهذا اللطف، لأني نزيلهم على ضيافتهم، مع أنه لم يَذِلَّ جانباً لاسيما والبشارة محتملة للطرفين، والمساجلات التي بينهم تدخل في جزء، وعلى ألسنة الرواة منها الشيء الكثير، وقال شيخنا المشهور في «شمس الظهيرة»: وللسيد أبي بكر البيتي بن إبراهيم بن السقاف عقبٌ منتشر بحجر وكنينة ومحمدة، وفيها أيضاً أن للسيد أبي نُمَيٍّ بن عبدالله بن شيخ بن علي المندرج أعقاباً بكنينة ويون، وفيها أن لعلوي بن عبدالله بن علوي بن أحمد بن محمد بن أحمد الكاف

عَقِباً بحجر وكنينة وفيها: وأما عمر الحمدي(؟) فذريته بحجر ، وفيها: أن عبدالله الأعين النساخ بافقيه بن محمد عبديد له ذرية بحجر، وكنينة، وبكنينة كانت خزانة ملآى بالكتب الخطية النفيسة للشيخ العمودي، ولكن أخبرني من رآها بالأخرة أنه لم يبق بها من كتب الأعلاق إلا مالا يستحق الذكر ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأكثر حاصلات حجر التمر ، فالذي يخرج منها زائداً عن حاجات أهلها شيء كثير. ومن الغرائب كما حدثني الثقة السيد عبدالرحمن بن حامد المحضار أن الغراب لا يتعرض لثمار حَجْر بِسُوْءٍ أَبدًا ، ومن عادتهم إباحةُ التمور التي تتساقط بعصف الرياح، وأن لا حَرَجَ على أيِّ إنسانٍ تسلَّقَ نخلةً أراد للأكل فقط ، أما أَخْذُ شَيْءٍ إلى المنزل فممنوع.

(للبحث صلة)

الحواشي:

(١) «صفة جزيرة العرب» - ١٦٧ ط : دار اليمامة -.

(٢) «معجم البلدان» رسم (حضرموت) (٢٣ المصدر رسم (سكاك) وفيه: الأسكاك: موضع باليمن من أرض حضرموت، قال بعض الحضرميين:

جـاب التنـائف من وادي سكـاك إلى ذات الأمـاحـل من بـطحـاء أجيـاد

والبيت من مقطوعة أوردها في قصة طويلة رسم (الأحقاف).

(٣) في تحديد موقع (برك الغماد) عند المتقدمين أقوال أقربها إلى الصواب أنه البِرْكُ الوادي المعروف في تهامة.

(٤) كلمة (لحسنها وإشراقها) ليست من كلام صاحب «التاج».

(٥) لم يرد في ديوان الشاعر تحقيق الدكتور عبدالقدوس أبو صالح، وهو في «لسان العرب» رسم (ذمر).

(٦) نَصُّ ما في الكتاب - ٣٦٣ -: (ومن الحمير للسروح الحضرمية ثم المعافرية) الخ.

(٧) «صفة جزيرة العرب» - ٣٨١ -.

(٨) مكان النقط كلمات لم تتضح في المصورة.

(٩) «صفة جزيرة العرب» - ٦٦ - مع اختصار في النقل مع تحريف (ريسوت) عند الهمداني إلى (ريبوت) في مخطوطة كتابنا هذا فأصلحت على ما في كتاب «صفة الجزيرة» وغيره.

(١٠) حقق مؤرخ اليمن العلامة القاضي محمد بن علي الأكوع أن الهمداني تأخرت وفاته عما ذكر السيوطي فأدرك منتصف القرن الرابع الهجري - انظر ترجمة الهمداني في مقدمة «صفة جزيرة العرب».

(١١) - ٦٧ -. (١٢) - ٢٦٨ وص ٩٩ - (١٣) منه - ٢٦٨ -.

(١٤) جاء في هامش الأصل: (وفي مذكراتي من بعض التواريخ اليمنية أن أول نائب من جهة الحبشة كان عربيًا

وقفات على :

ـ ٢ ـ

المعجم الكبير

في جزئه الثاني

[« العرب » س ٢٥ ص ٤٧٤]

عرضتُ منذ فترة مَضَتْ للجزء الأول، وتكلمت على ما ورد فيه مشيرًا إلى منهجه الجديد، وها أنا ذا أعود إلى جزئه الثاني، فأجدني راغباً في العودة إلى شيء مما أثبتُّهُ في الكلام على الجزء الأول، مشيراً إلى هذا العمل الجليل، مشيداً بما أحسن أصحابنا في (المجمع) في إخراج هذا العِلْق النَّفيس الذي كان المعنِيُّون بالعربية حراصاً على تحقيقه وإخراجه.

مسيحيًّا يقال له سيبافع أشوع، ثم تبعه أبرهة المشهور. انتهى وهي فائدة حسنة جميلة).

(١٥) بناء القباب على القبور ـ بل أيِّ بناء كان ـ من الأمور المحرمة شَرْعاً كما جاء في الأحاديث النبوية، وأوضح هذا محققو العلماء ـ كشيخ الإسلام ابن تيميَّة وتلميذه ابن القيِّم، والإمام المحدد والشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرهم من العلماء.

(١٦) خرقة التصوف من البدع المحرمة ككثير من الأمور التي يفعلها المتصوفة، مما لم يفعله المصطفى عليه الصلاة والسلام ولا أحد من أصحابه.

(١٧) حَجْرٌ ـ في قول مهلهل هو حَجْرُ اليَمامة، الذي قامت مدينة الرياض مكانه، والدنائب المذكورة في عالية نَجْدٍ على سبعة أيام من حجر بسير الإبل، والعالية هذه هي بلاد ربيعة عالية نَجْدٍ حيث حدثت معارك حرب الْبَسُوس بين بكْرٍ وتَغْلب قوم مُهلْهِل وخطأ صاحب «التاج» قديم نَبَّهَ عَلَيه الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ـ ص ٣٢٣ ـ حيث قال: حِمَى ضَرِيَّة هو حِمَى كليب، والحمى بين ضَرِيَّة وجبل النَّير، وقد يرى قوم الجهال أنَّ ديار ربيعة كانت من تهامة بِسُرْدُدٍ وبلد لعسان من عك، وأنَّ تُبَّعاً أقطعهم هذه البلاد لما حالفوه، وهذا من الأخبار المصنوعة.. وإنَّما بنوا هذا على وَهْمٍ وهوًى فقالوا في (المهجم) وهي خرة خزازَى، وفي (الأنعوم) الأنعمين، وفي (الذنبات) الذنائب وفي (العارضة) عُوَيرض. وإنَّما عنى مهلهل بقوله:

عَمَرتْ دارُنَا تِهَامَة في الدَّهْـ ـرِ، وفيها بنو مَعَدٍّ حُلُولاَ

مكَّة وما صاقبها. انتهى ووقع في الوهم صاحب «معجم ما استعجم» ويظهر أن صاحب «التاج» تأثَّر به إذا صَحَّ النقل عنه على أنني لم أره فيه في رسم حجر.

(١٨) في هامش الأصل ما نَصُّهُ: (كذا ترجمته بَدْياً، ثم تبين لي أن حجر علوان في مقطبة على مقربة من الضالع وأُبَيْنَ، فانكشف الوهم).

(١٩) الحلف بغير الله شرك ـ كما في الحديث ـ.

قلت: إن «المعجم الكبير» لثمرة طيبة آثرها العاملون في المجمع من أعضائه وغيرهم بعناية كبيرة، فجاءت مستوفية للكثير مما كنا نصبو إليه. وإذا كنا نحْمد هذه الصنْعة المباركة فمن حق العربية علينا أن نواصل المسيرة، ونسلك الدرب، ونميط الأذى عن الطريق فنشير إلى ماكنا نرغب في ألا يكون في «المعجم»، ولكن ليس لنا إلا أن نقول: (لا تعدم الحسناءُ ذاماً).

إن المعجم الكبير صنعة معجمية (تاريخية)، وكونه تاريخيًّا يفرض على العاملين فيه منهجاً خاصًّا يتَّصف بالشمول والسعة. فقد يُذْهَبُ في موادّه إلى عصور قديمة فتطول المسيرة في الكلمة طوال قرون عدّة، وقد تنتهي هذه إلى عصرنا فنرى المصطلح الجديد والمولَّد الجديد، وجملة هذا يفرض على العاملين أيضاً منهجاً تاريخياً فيه من العناصر اللغوية القديمة ما حفظته المصادر والمتون، وفيه من علم (المعجمية) الجديد (La Lexicographie) أفانين شتّى.

ومن المفيد حقاً أن أشير إلى (التصدير) الذي بسطه الأستاذ الجليل الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع فعرض للمعجم ولخصائصه وطرائق العمل فيه، ومصادره، وماعرض للعاملين في إعداده، وهم جمهرة من أهل العلم والجد، رَحَلَتْ طائفة منهم فلقيت ربّها بعد أن قدمت من الخير ثماراً يانِعاتٍ، فخلف من بعدهم خلف واصلوا المسيرة فكان لنا من جملة هذا النِّضال ماكنّا نَصْبُو إليه. وفي تصدير الأستاذ الكبير من الفوائد السنية ما يعين على فهم هذا العمل، وكيف انتهى إلى هذه النتيجة المحمودة.

وهذا الجزء قد اشتمل على حرف الباء فبدأ بالكلام على صوت الباء وماقيل فيه في (علم الأصوات) وهذا يَحْسَنُ، وقديماً عرض أصحاب المعجمات إلى العلم الصوتي في أول كل باب. وتلا هذه الفائدة الصوتية كلام في (معاني الباء) الجَارَّةِ في الاستعمال اللغوي، وهو ما أثبته النحاة في مصنفاتهم.

وسأقف وقفات على جملة من مواد هذا الجزء فأثبت فيها ما بدالي أنه يستحق أن ننظر إليه:

١ ــ جاء في الباء الممدودة في الصفحة (٨): بابا: (Pappa) لفظة يونانية

الأصل . . . معناها أب، لقّب به رئيس أساقفة الاسكندرية . . . إلى آخر ماجاء في الشرح .

أقول : وهذا يعني أن ذكر (المعرّب) شيء من النهج الذي اتبع في تحرير مواد المعجم، غير أني تَبَيَّنْتُ أَنَّ هذا الأمر لم يُسْتَوْفَ استيفاءً كافياً .

كان من المفيد أن يعرض محرر هذا القسم من الكلم المعرّب إلى (با) قبل الكلام على بابا فيقول فيها مثلاً : إنها وردتْ صدراً في كلمات كثيرة هي أسماء مواضع أو حواضر في بلاد الشام وبلاد مابين النهرين، لتدلّ اجتزاءً على (بيت) وهذه المواد كلها آرامية سريانية نحو: (باصيدا) و(باجسرا) و(بعقوبا) و(باخمرا) و(باعشيقا) و(باقسايا) وغيرها كثير، وقد ذكر ياقوت في «معجم البلدان» طائفة من هذه الأسماء .

أقول : وجملة غير قليلة من هذه المواضع مازال معروفاً في عصرنا في العراق وسورية ولبنان . وقد ورد من هذا في «المعجم الكبير» باجَرْمَى وباجسرا وباجميرا، وكان ينبغي أن يذكر سائر هذه المواد، ويشار إلى معنى (با) .

٢ ــ وجاء في الصفحة (١٠) في الكلام على ابن بابشاذ: . . . وله مؤلفات منها: «المقدمة» و«شرح الجمل» للزجاجي . . .

أقول : وكان من المفيد أن ينص على «المقدمة» فيذكر أنها «المقدمة المحسبة» وطبعت مرتين إحداهما في العراق منذ سنوات .

٣ ــ وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على بابَك الْـخُرَّمي : . . . . فقُتل وصُلِبَ في مدينة سامراء . . . .

أقول : (سامراء) بالمدّ صحيح . ذكر ياقوت أنها: سامرّا بالقصر وسامرّاء بالمد، وسُرَّ من رأى أو (من را) (كذا) .

أقول أيضاً : لقد ورد من أسماء الحواضر في العراق القديم جملة أسماء مقصورة، وقصرها يشعر أنها آرامية، وذالك لأن عامة الكلم في الألفاظ الآرامية السريانية ينتهي بالألف المقصورة . وفي هذه الألف رأي لأهل اللغة في أنها في الأصل شيء من التعريف الذي فقد اختصاصه على مرّ العصور فبقيت الألف لازمة . وهذا

يعني أن (صيدا) و(باصيدا) و(عانا) و(ساوى) وغيرها من الكلم السرياني الذي ورثته العربية، ولعلي أميل إلى أَنْ أَجْعَلَ من هذا الباب: (كربلا) و(سامرّا) و(كوفا) و(بصرا).

ولما اسْتَقَرَّتْ هذه الأسماءُ في العربية اكْتَسَبَتْ شيئاً فَمُدَّتِ الأَلِفُ في (كربلا) فصارت (كربلاء) ومدّت الألف في (سامرّا) فصارت (سامراء)، ومازال الناس في يومنا هذا ينطقون الكلمتين بالقصر.

ومن يدري لعل صورة المدّ قد جاء بها الشعر، فإننا نجد أبا تَمَّام وهو يعرض لبابك الْخُرَّمي في قصيدته التي مدح بها المعتصم يقول:

... ... ونصبتَه عَلَماً بِسامَرَّاء

ومثل هذا وردت (كربلاء) ممدودة في الشعر.

وهكذا تكون (كوفا) و(بصرا) اللتان صارتا في التعريب (كوفة) و(بصرة) بقصر الألف المقصورة كثيراً إلى أن كانت فتحة فلحقتها هاء التأنيث.

والذي يدلُّ على أن (سامرا) بالقصر هو الأصل النسبة إليها فقد قالوا: (سامرّي) بتشديد الياء، وقد عرفنا من المنسوبين بهذه النسبة كثيرين ومنهم: أحمد ابن محمد الشاهد أبو الطيب السامَرّيّ، وجعفر بن محمد بن عبدالله، أبو محمد السامَرّيّ، والحسن بن محمد بن يحيى أبو محمد الفحّام السامَرّيّ، ذكرهم ابن الجزريّ في «غاية النهاية»، وغيرهم كثير[1].

٤ ــ وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على ابن بابك: ... شاعر بغدادي مجيد مكثر ... وامتاز بأسلوبه الرائق...

أقول: ربّما كان كثيراً أن يوصف ابن بابك في أنه ذو (أسلوب رائق)... والذي أعرفه أن أهل النقد لا يقروننا على هذا.

٥ ــ وجاء في الصفحة نفسها مادة (بابل): أقول: ذكر بابل وهي إقليم من أرض الرافدين، يشير إلى أن أصحابنا صانعي «المعجم» قد جعلوا من منهجهم ذكر المواضع والحواضر التّاريخية وربما تجاوزوا ذلك قليلاً إلى المشهور من ذالك في

عصرنا. وهذا يفرض عليهم استيفاء هذه المواد المشهورة، فأيْنَ الكثير من الحواضر الشهيرة في التاريخ الإسلامي القديم، والتاريخ المعاصر ؟ لا وجود لها في مادة (بصر).

وجاء في مادة (بابل) هذه مايأتي: ينقسم إقليم بابل إلى منطقة أكد في الشمال... ومنطقة سومر في الجنوب.

أقول: ربما كان من المفيد أن نوضح قليلاً لنتجنب ماقد يقع فيه الدارس من خطأ.

إن إقليم بابل ليس في الشمال فهو يشمل منطقة أكد الكائنة في الوسط، وهي شمال بلاد سومر الجنوبية التي استولى عليها البابليون بعد ذهاب دولتهم الجنوبية، والسومريون أمة لم يتفق المؤرخون في عصرنا على أصلهم، ومن أين جاءوا، ولكنهم اتفقوا على أنهم ليسوا ساميّين، ولغتهم ليست سامية.

أما قول صاحب هذه المادة: (إن اللغة البابلية إحدى لهجات اللغة الأكدية) فغير سديد وذلك لأن التسمية بالبابلية تسمية عامة، فالبابلية هي الأكدية، وهي الآشورية، ولذالك يقول العلماء: (البابلية الآشورية) وعلى هذا فالبابلية تسْمية عامة بالإقليم وليستْ لهجة من لهجات اللغة الأكدية كما ذهب الأستاذ الباحث.

أقول: وكان من المفيد أن تختم هذه المادة بذكر (بابل الحديثة) وهي اسم لإحدى المحافظات في العراق ومركزها مدينة (الحلّة).

٦ ــ وجاء في الصفحة (١٢) (البابونَج): يطلق على ...

أقول: كان من الضروري إثبات أن الكلمة من (المعرّب) القديم، والأصل في الفارسية (بابونة) أو (بيبونة) على نطق الأكراد. ومازال هذا الأصل القديم معروفاً في شمال العراق.

لقد عرّب العرب جملة مواد فارسية تنتهي بالفتحة الممالة، ففتحوها وكسعوها بالجيم فقالوا: (ساذَج)، (مالَج)، (لَوْزينَج)، (بَرْنامَج)، (فالَج)، (إهليلَج) و(رانتينَج) وغير ذالك.

٧ ــ وجاء في الصفحة (١٥) في الكلام على (باجة): باجة اسم يطلق على غير موضع، منها . . .

أقول: وكان الواجب أن تذيَّل هذه المادة بالقول: إن (باجة) من الحواضر التونسية المعروفة في عصرنا.

٨ ــ وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على (باحور): الباحور (في السريانية: (bàhòre) باحوري (كذا). . .

أقول: الذي في السريانية هو (باحورا) بالألف المقصورة في الآخر، وهو شيء ألمعنا إليه في الكلام على الكلم السرياني (انظر التعليق على (سامراء).

وهذه الكلمة السريانية تحولت في العربية إلى ممدودة نظير (سامراء) وصُرفت إلى الدلالة على شدّة الحر في شهر تموز.

أقول: وهي في عامية أهل العراق في عصرنا (باحورة).

ومن المفيد أن أشير إلى أن بناء (فاعول) بناء آراميّ سريانيّ أصالة، وإن كان شيء منه في العربية، وكثير منه في أسماء الأدوات والآلات[٢].

٩ ــ وجاء في الصفحة (١٧) في آخر الكلام على (بادوريا): . . . . ويسمّيها العراقيون الآن (بَدْرة).

أقول: إن (بادوريا) القديمة التي هي في شمالي بغداد قد انقرضت، وليس لها من أثر. أما (بَدْرة) الموجودة الآن فهي شيء آخر، وهي (بُليدة) إلى الجنوب الشرقي من بغداد.

١٠ ــ وجاء في الصفحة (٢١) الكلام على (الباركية): الباركية (Parquet) قطع من الخَشب تُبْسط في انتظام ودقة على أرض الحجرة. . .

أقول: كان ينبغي أن يشار إلى هذا (المعرّب) الجديد في أنه معروف في بلدان الشمال الافريقي ومصر وربما في لبنان، ولا يعرفه سائر العرب في المشرق. والأصل، كما هو مبيّن، فرنسي.

١١ ــ وجاء في الصفحة (٢٢) في الكلام على (باري): (باري) عاصمة مقاطعة إيطالية باسمها، وميناء شهير . . . كانت تُبَثُّ إذاعة موجهة إلى العالم العربي دعاية لدول المحور .

أقول: إن هذه الفائدة الأخيرة وهي كون المدينة مركزاً لبثّ الاذاعة دعاية لدول (المحور) يفرض علينا أن نعرّف بدول المحور ، وما معنى هذا المصطلح السياسي التاريخي، وذالك لأن (المصطلح) قد قدم به العهد، وأن جمهرة من الدارسين، وهم الأجيال المتأخرة، لا تدرك منه شيئاً .

١٢ ــ وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على (باريّ): باريّ (معرب عن الفارسية): الحصير المنسوج، قال العجاج: . . . .

أقول: كان من المفيد أن يشار إلى الأصل الفارسي وهو (بوري). وأضيف إنّ (البارية) مازالت معروفة في العراق وهي (تُسَفُّ) من خُوْص سعف النخل وليس (تنسج) كما ورد في النَّص. وقد أشار ابن الجواليقي إلى هذا في «المعرّب» وكذالك أدّي شير في «الألفاظ الفارسية المعرّبة».

١٣ ــ وجاء في الصفحة (٢٣) في الكلام على (باز): باز . . . جنس من الصقور الصغيرة . . .

أقول: وأشهر من (الباز) البازيّ بالياء المشدّدة، وهو أفصح ، وكان ينبغي أن يشار إليه بادِئَ ذِيْ بَدْءٍ ، ثم يذكر (الباز). انظر « اللسان » وغيره. وعلى هذا يكون موضعه بعد كلمة (بازهر) في الصفحة (٢٤).

كما يشار أيضاً في آخر المادة إلى (البازيار) ولا يفرد لها موضع وحدها كما حصل.

كما كان من العلم أن يشار في مادة (بازيّ) إلى (البيزرة) وهي حرفة مَنْ يُعْنَى بتربية (البازيّ) وقد صُنِّفَتْ كتبٌ في (البيزرة) كان منها كتاب نشره (مجمع اللغة العربية) في دمشق. وهذه المادة أي (البيزرة) تذكر مع (البازيّ) حتى إذا جاءت في موضعها في (الباء والياء والزاي والراء) أشير إلى موضعها الأول فيقال: انظر: (بازيّ). غير أني لم أجد ذكراً للبيزرة في أي موضع من «المعجم»، وماكان ينبغي أن يحدث هذا.

١٤ ــ وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على (بازلّاء): بازلّاء (بسِلّى وبِسِلّة، وبِزليا - في الشام) نبات حولي متسلِّق من الفصيلة القرنية. . . . .

أقول: من المفيد أن أضيف شيئاً في هذه الكلمة وهو: أن الكلمة قد عرِّبَتْ منذ زمان فقيل: (فاصوليا) بالفاء مع الصاد للدلالة على ضرب آخر من هذا البقل المعروف، ثم عُرِّبَتْ ثانية (بازلاء) أو بزليا أو (بسِلَّى) للدلالةَ على ضرب آخر شبيهٍ بالأول من الفصيلة القرنية نفسها.

١٥ ــ وجاء في الصفحة (٢٦) في الكلام على (باطية): الباطية معرَّب. . . . إناء من زجاج أو الفخار . . .

أقول: و(الباطية) في العراق في عصرنا من الكلم العامي وهي للإناء من الفخّار دون غيره.

١٦ ــ وجاء في الصفحة (٢٨) في الكلام على (البالة): البالَةُ معرّب عن الفارسية بالَة (كذا) Bala : نوع من الجوال: الكيس. . . .

أقول: قوله: عن الفارسية (بالة) (كذا بالتاء) غير صحيح، والصواب أن الأصل الفارسي (باله) فاللام مفتوحة ثم هاء، وهذه الهاء لا تُنْطق.

ثم إن قوله: نوع من الجوال غير سديد، وذلك لأن المعرَّب لا يُعرَّف بنظيره فـ (الجوال) فارسي وهو في لغة عامة المصريين ولم يُنَصَّ عليه في المعرَّبات القديمة ولذالك أيضاً قالوا في تعريبه (شوال) وكلّه عامي دارج، وكان ينبغي أن يقتصر على أنه (كيس).

وجاء أيضاً في هذه المادة: البالة عصا فيها زُجٌّ تكون مع الصيَّادين من أهل البصرة. . .

أقول: وهذه معرّبة أيضاً والأصل الفارسي (باله) Pàla . وقد عرَّبها أيضاً العوامّ على طريقتهم فقالوا: (فاله) بالفاء .

١٧ ــ وجاء في الصفحة (٢٩) في الكلام على (البامية): . . . . والثمار الخضراء تطبخ طازَجة. . . .

أقول: والفصيح أن يوصف الجمع بـ (فُعْل) لا (فَعْلاء) وقد أكثر أهل اللغة من المحدثين الكلام في هذا فمنهم من جوّزه واجتهد فأتى بِشَيءٍ قد يكون فيه مَقْنع. أما حجة الذين منعوا أن المشهور هو (فُعْل) كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الْـجِبَالِ جُدَدٌ بِيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وغَرَابِيْبُ سُوْدٌ ﴾ ٢٧ سورة فاطر.

١٨ ــ وجاء في الصفحة (٣٠) في الكلام على (باناس): وبَانَاسُ من فروع نَهْر بَرَدى في دمشق، تسمّيه العامة البانياسي....

وأُضِيْفُ أن (بانياس) ميناءٌ سوريٌّ معروف في عصرنا هذا.

١٩ ــ وجاء في الصفحة (٣٢) في الكلام على (البُؤْبُؤ): الْبُؤْبُؤُ (في العبرية Bàba بابا، وفي الآرامية اليهودية.... والسريانية: إنسان العين...

أقول: وضع المادة على هذه الصورة بتقديم الكلام على أصولها في تلك اللغات يوحي إلى القارئ غير المتخصص أن الكلمة ليست عربية، وأنها دخيلة من تلك اللغات، وكان يجب أن يبدأ الكلام على النحور الآتي:

البُؤبُؤ: إنسان العين.... وهو في العبرية.... وفي الآرامية اليهودية.

٢٠ ــ وجاء في الصفحة (٣٤) في الكلام على (بئر): ب أ ر: في العربية الجنوبية القديمة (ب أ ر)، في الحبشيّة بِئير، في العبرية.... في السريانية... في الأكدية....

أقول هنا ما قلته في (بؤبؤ) من أن الكلمة ينبغي أن يبدأ بذكرها في العربية وما تدل عليه ثم تُشفع بما كان من أصولها في اللغات السامية في تلك الدلالة.

أما ما أثبت في «المعجم» فشيء آخر فقد ذكرت الأصول السامية ثم جاء الفعل بأر وابتأر وما يأتي منهما بمعنى الحفر والادخار، ثم البِّئر أي الحفّار. وفي آخر المادة جاء (البئر). وكان ينبغي أن يبدأ به لأنه الأصل الذي أمدَّ العربيةَ بالفعل وغيره. وكنت أود أن أجد الشاهد القديم الذي وعيناه في كتب النحو في (ذو) الطائية، وهو قول الشاعر:

فَـإِنَّ الْـمَاءَ مَـاءُ أَبِـيْ وَجَـدِّيْ وَبِئْرِيْ ذُوْ حَفَرْتُ وَذُوْ طَـوَيْتُ

٢١ ــ وجاء في الصفحة (٣٥) الكلام على (البُؤْرَة): أقول: وقد استوفى صاحب المادة ماورد في (البؤرة) وأشار إلى البؤرة (الضوئية) Focus ولكنه لم يُشِرْ إلى استعمال (بؤرة) في لغة المعربين في عصرنا وهو اسْتعمال مجازي، فأنت تجد مثلاً فيما تنشره الصحف: (... وهو في بُؤْرَةِ الرذيلة).

٢٢ ــ وجاء في الصفحة (٣٦) في الكلام على مادة (ب أس): قال ابن فارس: (الباء والهمزة والسين أصل واحد: الشدّة وماضارعها).

أقول: كنت أودّ أن يبتعد الباحث عن هذه المقولات القديمة التي أطلقها ابن فارس على أنها مُسَلَّماتٌ، وهي ليست كما ذهب إليه. ومن هذه قوله في (ب أ س) ودلالتها على الشدة. إن (الشدّة) متحققة في (البأس)، ولكني لا أرى لها وضوحاً كافياً في (البؤس). ولا سبيل إلى ذالك إلا أن نقول: إن (البؤس) شدة ومشقة.

٢٣ ــ وجاء في الصفحة (٣٩) في الكلام على (ب أ ل): البُؤْلول: الداهية. ج بآليل. وفي «ذيل الأمالي» في أسماء الدواهي: جاءوا بالَبهالِيْلِ والبَآلِيْلِ أقول: (البهاليل) تعني الدواهي، وهو كلام سليم ورد في كتب اللغة، فأمّا (البآليل) فهو (إتباع) لـ (بهاليل) والإتباع وسيلة لتقوية المعنى استعملها العرب بالإفادة من القرابة الصوتية، والقرابة هنا بين الهاء والهمزة. وهذا يعني أن (البآليل) وحدها لا معنى لها وإنما جيء بها بعد (البهاليل) تقوية للمعنى، وهذا نظير قولهم: (شَذَر مَذَر) و(شَغَر بَغَر) و(نصه وفصه) ومثل هذا كثير في الفصيحة والألسن الدارجة.

٢٤ ــ وجاء في الصفحة (٤٣) في الكلام على (ب ت أ): بَتَأَ بالمكانِ بَتْأً وبُتُوْءًا لغة في (بَتَا) بَتْواً.

أقول: كنت أود أن يُبْعَدَ عن «المعجم الكبير» هذه الألفاظ التي وردتْ يتيمة ليس لها قرابة ووجود، وهي تفتقر إلى شاهد قديم أو حديث. ومثل هذا كثير من الكلم زخرت به المعجمات القديمة، فكان علينا أن نبعدها من معجم تاريخي حديث، وتظل في مواضعها من المعجم القديم.

كأني أقول: إن اللغويين القدامى ارتجلوها أو خُيِّلَ إليهم أنها موجودة فوقر في أذهانهم هذا المعنى. ثم أليس لي أن أقول: إنَّ (بَتَأ) هذا بمعنى أقام هو تصحيف (تَنَأَ) وهذا الأخير يدل على هذا المعنى كما في المعجمات، وهو مؤيد بالشواهد ؟؟!

جاء في الحديث: «مَن تَنَأَ في أرض العجم فعمل نيروزهم ومهرجانهم حُشِرَ معهم».

٢٥ ــ وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على (أَبَنْبَمَ) وقد أورد له المحرّر شاهداً جاء فيه كلمة (الفسيل) فذكر المعنى وقال: الفسيل: خِلْفة النخلة.

أقول: لم يفطن المحرر إلى أن (الفسيل) جمع واحدته (فسيلة) وهي خلفة النخلة، وإلى هذا ذهب أصحاب المعجمات، وانظر «كتاب النخل»[٣] لأبي حاتم.

٢٦ ــ وجاء في الصفحة (٤٦) في الكلام على (ب ت ت): بَتَّتَ بالشيء : انفرد به. يقال: أعطيته كذا فَبَتَّتُّ به. أقول: وهذا الفعل من الغرائب، والغرائب عندي ما افتقر إلى الشاهد ، وقول اللغوي القديم: يقال. . . ليس بشيء . وعلى هذا ألم يكن من المفيد أن نبعد هذه الألفاظ ؟

ومثل هذا الشيء الكثير الذي ورد في «المعجم الكبير» تأسِّياً بما ورد في المعجمات في الصفحة (٥٤).

٢٧ ــ بَتَعَ من الشيء بتوعاً: انقطع .

أقول: قالوا: (من الشيء) ليتضح معنى (الانقطاع) .

٢٨ ــ وجاء في الصفحة (٥٥) في (ب ت ك): في الحبشية Bataka قطع ، عبرية التَّوراة على وزن فعَّل (بتق) بمعنى قطع ، في الأكدية. . . في العبرية الحديثة. . . في الآرامية. . .

أقول: وبعد هذه البسطة من ذكر مافي هذه اللغات لم يرد مافي العربية إلا في الآخر ، وكان الأولى أن يؤتى به بادِيَّ ذِيْ بَدْءٍ . ومثل هذا كثير انظر (بتل) في الصفحة (٥٩).

٢٩ ــ وجاء في الصفحة (٦٥) الكلام على (ب ث ق). أقول ولم يُشِرْ صاحب المعجم ماورد من هذا الأصل في العبرية والآرامية وغيرها وهو معروف في هذه اللغات.

٣٠ ــ وجاء في الصفحة (٦٩) في الكلام على (ب ج ج): وفي خبر عثمان ـ رضي الله عنه ـ تكلّم عنده صعصعة بن صَوْحانَ. أقول: والمذكور في كتب اللغة (صُوْحان) بالضم.

٣١ ــ وجاء في الصفحة (٧٢) في (ب ج د): وبَجَدَ فلان بالمكان بُجُوداً وبَجَداً (عن كراع): أقام به وثَبَتَ فلم يبرح.

أقول: وهذا من (الغرائب) التي تفتقر إلى الشاهد. وقد أثبت المحرر: (عن كُراع). وأريد أن أقول شيئاً: لقد صَحِبْتُ المعجم القديم وأطلت النظر في مواده ومصادرها وموارِدها، ووقفت على أقوال اللغويين فيها فرأَيْتُ أن كراعاً هذا ومثله اللحياني وغيرهما قليل ينفردون بالشواذ الذي لم أجد له وجهاً قوياً يعضده كما لم يرد في شاهد قديم يُعْتَدُّ به.

٣٢ ــ وجاء في الصفحة (٧٤) في (ب ج ر): . . . أبجر اسم رجل، وهو أبجر بن جابر العجلي، قال أبو مُهَوِّشٍ الأَسَدِيُّ:

. . . . . .

أقول: وكان من المفيد أن يقال أيضاً: و(بُجَيْر) على التصغير اسم رجل، وهو ابن زُهير بن أبي سُلْمَى، قال زهير:

ألا أبلغا عنّي بُجَيْرًا رِسَالَةً . . . . . .

أقول: و(بُجَير) تصغير الترخيم لِـ (أبجر) مثل (زُهَير) تصغير (أزهر) و(شُقَيْر) تصغير (أشقر) و(سُوَيْد) تصغير أسود.

٣٣ ــ وجاء في الصفحة (٨٦) في (ب ح ت ر): . . . . والبُحْتُرُ: القصير المجتمع الخَلْق والأُنثى بِتَاءٍ، والجمع البَحاتِرُ. . . .

أقول: وفات المحرّر (البُحاتِر) مثل الحُلَاحِل للقصير الشديد الْقِصَر وجمعه (بَحاتِر) أيضاً.

٣٤ ــ وجاء في الصفحة (٨٨) في (ب ح ث): . . . ومباحث أَمْنِ الدولة: الجهاز الشرطي المسؤول بصفة أساسية عن حفظ الأمن السياسي. . . . والمباحث الجنائية: الجهاز الشُّرْطِيُّ المسؤول عن منع الجريمة والكشف عنها. . .

أقول: وكان ينبغي أن ينصَّ على هذا في: أنه في جمهورية مصر العربية، وذالك لأن مصطلح (مباحث) لا يوجد في غير مصر اسماً لهذه الأجهزة الشُرَطيّة.

٣٥ ــ وجاء في الصفحة (٩٩) في (ب ح ش ل): و(بَحْشَلُ) لقب أحمد بن عبدالرحمن بن وهب بن مسلم (ت ٦٤هـ)[٤] محدِّثٌ مصريٌّ.

أقول: وكان من المفيد أن يُشار إلى (بَحْشَل) صاحب كتاب «تاريخ واسط» وهو من مطبوعات العراق[٥].

٣٦ ــ وجاء في الصفحة ١٠٣ في (ب خ ت): الْبَخْتُ (في الفارسية بخت): الحظ والنصيب قال عبدالصمد بن بابَك:

. . . . . .

أقول: ذكره ابن الجواليقي في «المعرَّب». وهو في عصرنا من الكلم العامي وقل أن نَجِده في الفصيحة. ثم إن المعاصرين قد أخذوا منه على (فَعيل) فقالوا: (بخيت) علماً لمذكر. وقد ذكر ابن الجواليقي: البُخْتَ أيضاً وأورد قول ابن قَيس الرُّقَيَّات يمدح مصعب بن الزبير.

٣٧ ــ وجاء في الصفحة (١٠٦) الكلام على (ب خ ث ر): بَخْثَرَ الشيءَ: بَدَّده وفرَّقه، وتَبَخْثَر الشيْءُ: تَفرَّق.

أقول: وكان من المفيد أن يشار إلى النظر إلى (بحثر) بالحاء المهملة فكلاهما بمعنى، ولعل الأولى مصحّفة عن الثانية.

٣٨ ــ وجاء في الصفحة (١١٢) في (ب خ ع): البِخَاعُ: عِرقٌ في الصُّلْب ويجري في عظم الرقبة (عن الزمخشري).

أقول: هكذا ذكر أهل اللغة أن هذه المادة عن الزمخشري. ألا يجوز أن يكون فيها تصحيف وأن الأصل (نخاع)!!

أقول هذا مع علمي بِسعة علم الإمام الزمخشري، ولكني أقف في مسألة تفرّده بذكر هذا المعنى، فأميل إلى بسط هذا الذي ذهبت إليه.

٣٩ ــ وجاء في الصفحة نفسها في (ب خ ق): بَخِقَت العين بَخَقاً: عارت أقبح العور. . . .

أقول: ومن المفيد أن ننظر في (بحق) بالحاء في السريانية ففيها شيء من هذا.

٤٠ ــ وجاء في الصفحة (١١٣) في (ب خ ل): الْبَخَالُ: الشديد البُخل.

أقول: لم نقف على بناء (فَعال بفتح الفاء) مفيداً للمبالغة، بل الكثير في هذا هو (فُعال) بضم العين، نحو: طُوال وهُمام وشُجاع. ألا يكون (بَخال) هذا هو (بُخال) بضم الباء أو بُخّال، بالضم مع التشديد.

٤١ ــ وجاء في الصفحة (١١٤) في (ب خ ن) قول ساعِدة بن جُؤَيَّةَ:

ظَلَّتْ صَوَافِنَ بِالْأَرْزَانِ صَاوِيَةً (البيت) والصاوي هو الذابل.

أقول: وكان ينبغي أن يشار في (صاوي) إلى (ضاوي).

٤٢ ــ وجاء في الصفحة (١١٦) في (ب د أ): الابتداء (عند النحاة) جعل الاسم أوّلاً لِيُخْبَرَ عنْهُ.

أقول: لم يثبت أحد من النحاة القدماء في حدّ الابتداء هذا الذي ذكره محرّر «المعجم الكبير» فهو قاصر، ذالك أن النحاة لم يشترطوا، في (المبتدأ) أن يكون (أوّل) فقد يؤخر مع بقاء الأولية له رتبة.

وقوله: (أولاً) منوّناً غير صحيح لمجيئه على (أفعل) وليس لقائل أن يقول: إنَّ (أوّل) اسم وليس وصفاً.

٤٣ ــ وجاء في الصفحة (١١٧) في مادة (ب د أ): الابتدائيّ: الأوّليّ. . .

أقول: إن ختم الاسم بـ (ياء) النسب يفيد في تحويل الاسم إلى صفة، فالابتداء هو مصدر ابتَدَأ، وهو اسم، أما (الابتدائي) فيأتي وصفاً. وعلى هذا فالاسم الصفة في الأصل مُسْتَغْنٍ عن ياء النسب، ومن هنا لا أرى وجهاً للقول: الأوليّ

كما ورد في «المعجم»، والصواب: الأول.

غير أننا نقول: التعليم الأولي، وفي هذا النسب إفادة إلى أن (التعليم) خاص بالمرحلة الأولى فالنسبة إلى (الأوّل) هنا، مفيدة صحيحة، ولو قلنا: التعليم الأول لا يحقق المعنى المراد. ولابُدَّ من الإشارة إلى أن الصفة قد تلحقها ياء النسب للمبالغة كما ورد في الشاهد القديم:

والدَّهْـرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِيُّ

والأصل دوَّار، وهو صفة، وعلى هذا كان في طوقنا أن نجد السبيل إلى معرفة (الرئيسيّ).

٤٤ ــ وجاء في الصفحة (١٢٩) في (ب د د): ويقال: ذهب القومُ بَدَادِ بَدَادِ: واحداً واحداً. . . . وحكى اللحيانيُّ بَدادَ بَدادَ. . .

أقول: كنت أشرت إلى أن (اللحياني) قد تفرّد في مسائل لغوية كثيرة، وهذا الذي تفرّد به من غريب الأبنية، وقوله هذا يدخل في هذه (الغرائب).

٤٥ ــ وجاء في الصفحة (١٣٠) في (ب د د) أيضاً: والبُدُّ: العِوَض من الشيء، ويقال: لابُدَّ اليوم من عمل كذا. . . قال حسّان:

ونَعْلَمُ أَنَّ الْـمُلْكَ لِلّهِ وَحْـدَهُ وأَنَّ قَضَـاءَ الله لَابُـدَّ وَاقِـعُ

ولا يستعمل إلّا في النفي، واستعماله في الإثبات مُوَلَّدٌ.

أقول: وقولهم: لا يستعمل إلا في النفي، واستعماله في الإثبات مولّد، مُتَّفَقٌ عليه، ولكني وجدتُّ في «الأدب الكبير» لابن المقفّع قوله: . . . . . واجعل الخصال الثلاث بمكان لابدّ لك منه، والمال والذكر بمكان ما أَنتَ واجِدٌ منه بُدًّا.

أأقول مع اللغويين القدماء: إن ابن الْـمُقَفَّع مولّد لا يُعتَدُّ به؟

٤٦ ــ وجاء في الصفحة (١٣١) الكلام على (ب د ر).

أقول: وكان من المفيد أن يُشار إلى (المبادرة) في الفصيحة المعاصرة وهي عمل شيء يُسبَقُ به في حَلِّ مشكلة أو إبداء رأيٍ جديد في الوصول إلى غاية مطلوبة.

وهذا كله ليس بعيداً مما هو مثبت في «المعجم» ولكن (المبادرة) في اللغة المعاصرة ذات خصوصية خاصة.

٤٧ ــ وجاء في الصفحة (١٣٨) في (ب د ر): البُدْرة (من الايطالية Pudra): مسحوقٌ يُذَرُّ على الجلد وغيره للزِيْنة. . . .

أقول: وهذا معرَّب جديد، وكان ينبغي أن يُنَصَّ على أنه معرَّب مصري وذالك لأنه على غير هذه الصيغة في بلاد عربية أخرى، وذالك لأن القريبين من الفرنسية قالوا: (بُودْر) والقريبين من الانجليزية قالوا (بَوْدَر)، وفي كل ذالك جاء الباء بنطق (P).

٤٨ ــ وجاء في الصفحة (١٣٨): البَدْرُوم: بيت تحت الأرض للسكنى، أو للخزن. . . .

أقول: كان ينبغي أن يقال: إنها معرَّبة عن الانجليزية في مصر، وربما في لبنان، وهي غير معروفة في بلاد عربية أخرى.

٤٩ ــ وإذا كان من منهج العاملين صانعي «المعجم» ذكر تراجم الرجال فأين (ابن بدرون) في مادة (بدر) من رجال الأندلس؟ ولا حجة أن يقال: اكتفى صانعوا «المعجم» بذكر المشاهير دون غيرهم، والردّ على هذا أن بين من ذكر من غير المشاهير فقد ورد مثلاً في (بَحْشل) أنه لقب أحمد بن عبدالرحمن بن وهب. . . . محدث مصريّ. ولم يذكر (بحشل) صاحب كتاب «تاريخ واسط» وغير هذا كثير.

وابن بدرون وهو عبدالملك بن عبدالله المتوفى سنة ٦٠٨هـ صاحب «شرح قصيدة ابن عبدون». انظر «التكملة» ٢/٦٢٠.

٥٠ ــ ثم اين (البديعي) وهو أديب من شعراء «الريحانة» وصاحب «الصبح المنبي في حيثية المتنبي» انظر «أعلام النبلاء» ٦/٣٥٣.

٥١ ــ وجاء في الصفحة (١٤٥) في (ب د ل): ويقال: تبدَّل الشيءَ من الشيء. وفي الزَّهرة: قال بعض الأعراب:

أقول: كان من المفيد أن يقال: وفي كتاب «الزهرة» لابن داوود الاصفهاني. . . . وذلك لأن ذكر «الزهرة» وحدها (مُلْبِسٌ) ولا يهتدي الدارس إلى أن «الزهرة» كتاب، وربما انصرف ذهنه إلى شيء آخر. وكان ينبغي أن يذكر في أي جزء من هذا الكتاب فهو جزءان: الأول طبع في بيروت نشره، (نيفل) من مطبوعات الجامعة الأمريكية، والثاني نشر في بغداد من مطبوعات وزارة الثقافة ونشره إبراهيم السامرائي ونوري القيسي.

ثم كيف قطع صاحبنا محرر المادة أن «الزهرة» بفتح الزاي، وهي بهذا واحدة الزهر، والذي أدركناه من تحقيق الاسم أن الكتاب قد سمّاه صاحبه «الزُّهَرة» بضم الزاي وفتح الهاء تشبيهاً بـ (الزهرة) الكوكب المعروف. وكأنّ في التسمية إرادة التشبيه بالحسن والجمال والسطوع، ووزن (فُعَلة) يفيد هذا.

٥٢ ــ وجاء في الصفحة (١٤٨) في (ب د ل): البديل: البَدَل. . . (ج) أبدال وبُدَلاء. . . .

أقول: ومن المفيد أن أشير أن (البديل) في العربية المعاصرة قد جمع على (بدائل)، وكأنه جمع توهم وفي اللغة المعاصرة الكثيرة من هذا التجاوز. وربما لانعدم أن نجد شيئاً على فعيل وجمع على (فعائل) في عربيتنا القديمة.

٥٣ ــ وجاء في الصفحة (١٤٩) في (ب د ن): وبَدُنَ فلانٌ. . . فهو وهي بَدِيْنٌ. (ج) بُدُنٍ، قال عمر بن أبي ربيعة

ثم أَهْوِ بِنِسْوَةٍ خَفِراتٍ بُدُنِ الْخَلْقِ رُدَّحٍ أَتْرَابِ

وجاء في شرح (رُدَّح): رُدَّح جمع رَداح، وهي الضخمة العجيزة.

أقول: هذا هو في شرح البيت في (بُدُنٍ) في المعجمات القديمة، غير أنك لو رجعت إلى مادة (ردح) في «اللسان» مثلاً لوجدت أن (رَداح) ورَدُوح تجمع على رُدُح (بضمتين)، فأما رُدَّح وزان سُجَّدٍ فهي جمع رادح.

وإذا كان الشاعر قد جاء بـ (رُدَّح) جمعاً لـ (رَداح) فذاكَ شيء دعا إليه الشعر، والقياس يؤيّد أن ماورد من أبنية التكسير على (فُعَّل) يكون مفرده (فاعل) كثيرًا.

٥٤ ــ وجاء في الصفحة (١٥٨) في (ب د و): البَداة: الرأي الذي يظهر. (ج) بَدَوات. . . . وكانت العرب تمدح بهذه اللفظة ، أي: هو ذُو آراءٍ تظهر له فيختار بعضاً ويسقط بعضاً ، قال الراعي:

مِنْ أَمْرِ ذِيْ بَدَواتٍ مَايَزَالُ لَهُ بَـزْلَاء يَعْيَا بِهَـا الْجَثَّامَـةُ اللُّبَـدُ

أقول: والبيت الشاهد لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه. وكذلك في «البيان والتبيين» ١/ ٣٥ وكأنّ الجاحظ ألمح إلى أن (ذو البدوات) قد تحمل على غير المعروف من معناها المشهور فلا تكون مَدْحاً ، فقد أورد البيت في «كتاب البرصان والعرجان. . . .» في الصفحة (٥) ثم تكلم في الصفحة التي تليها على (استبَدَّ) وقال: ولا أعلم الموصوف بالاستبداد إلّا مجهَّلاً مذموماً، ولا أعرف المنعوت (بالبَدَوات) إلا مُدَفَّعاً مضعوفاً.

ثم قال في الصفحة (١٠): ومتى نَقَصَتِ المعرفةُ لم تكن المُنَّةُ فاضلة، وكان الفاعل إمّا لَجوجاً مشايعاً، وإمّا ذا (بَدَوات) متلوِّناً.

أقول: وكلامه الأخير في الفرق بين التصرُّف والتَّلَوُّن، والتصرّف هو المقبول بخلاف التلوُّن.

٥٥ ــ وجاء في الصفحة (١٦٢) الكلام على (ب ذ خ):

أقول: ولم يرد في معاني (بذخ) الشائع المشهور في العربية المعاصرة وهو: أن (البَذَخ) يعني الغُلُوِّ في الإنفاق في العيش، والتّنَوُّق الكثير في المطعم والمشرب والملبس والسكن. وهذه الخصوصيات الجديدة وَلَّدَتْ في جملتها معنى جديداً يحسن أن يضاف إلى المادة.

٥٦ ــ وجاء في الصفحة (١٦٧) في (ب ذر): البذور: النّمام، ومن لا يستطيع كَتْمَ سِرِّه بل يذيعُه، والجمع: بُذُر.

أقول: من المفيد أن يستشهد على (البُذُر) جمعاً وعلى معنى (البَذور) بقول علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في صفة الأولياء: ليسوا بالمذايِيع الْبُذُرِ.

٥٧ ــ وجاء في الصفحة (١٦٨) في (ب ذ ر ر): البُذَيْرة (Ovule): بُوَيضة نباتية تتحول بعد الإخصاب إلى بَذرة.

أقول: والصواب: بُيَيْضة، وهذا معروف. ولكني واثق أن محرر المادة يعرف هذا الصواب ويتجنّبه احتجاجاً بأن البويضة مصطلح علمي قد استقر على أصوله وذهبت به كتب أهل الاختصاص كل مذهب، فليس من حيلة للعدول عنه إلى الصواب المعروف. غير أن هذا مردود غير مقبول، ذالك أن الصواب إذا ثَبت يُكْتَبُ له الشيوع شيئاً فشيئاً، أذكر من ذالك أن أهل العلم استعملوا مصطلح (الحُجَيْرة) لما يُدْعَى الآن (خَلِيّة) وشاعت (الحجيرة) وثبتت في المصنّفات، ولكن سُرْعان ما انتشرت (الخليّة) وذاعت وحلت محل (الحجيرة) فذهبت هذه إلى غير رجعة. ولدي الكثير من الأمثلة على هذا المنحى. ثم إن «المعجم الكبير» ينبغي ألا يترخَّص في إثبات الغلط بحجة الشيوع والغَلَبة.

٥٨ ــ وجاء في الصفحة (١٧٠) في (ب ذ ل): .... وفي «المحاسن والأضداد» المنسوب إلى الجاحظ: أنشد الطائي:

إنِّي امْـرُءٌ مِنِّي الْـوَفَـاءُ خَلِيْقَـةٌ وفَعَـالُ كُـلِّ مُهـذَّبٍ بَـذَّالِ

أقول: إن شهرة (الطائي) في الكتب القديمة تنصرف في الأغلب الأعم إلى (أبي تمّام) الشاعر المشهور. غير أن من العلم أن يُتَجنَّب في «المعجم» هذا الأسلوب من التعمية فينصّ على اسم الشاعر، ولا يُلْجأ إلى هذه (الشهرة). والذي يحفزني إلى هذا أن أبا تمام والبحتريّ كلاهما طائيّ وهما في حقبة تكاد تكون واحدة، واشتهرا بـ(الطائيّين) ولذالك جعل الآمديّ كتابه «الموازنة بين الطائيّين».

٥٩ ــ وجاء في الصفحة (١٨٤): في (ب ر ت): البِرِّيت: الدليل الماهر الحاذق.

أقول: ومن المفيد أن يشار أيضاً إلى أنه (الخِرِّيت) في وزنه ومعناه. وكان ينبغي أن يشار في موضع (البِرِّيت) إلى (البِرِّيث) بالثاء المثلثة، وليس العكس كما حصل في «المعجم».

٦٠ ــ وجاء في الصفحة (١٨٦) في (ب ر ت ك): بَرْتكان: كساء أسود (وانظر برنكان).

أقول: البرنَكان (بالنون) هو الصواب وقد أورده صاحب «المعرّب» وكذالك الخفاجي في «الشفاء» وأدّي شير في «الألفاظ الفارسية المعرَّبة». ومن يدري لعل (البرتَكان) (بالتاء) تصحيف (برنكان)!

٦١ ــ وجاء في الصفحة (١٩٣) الكلام على (بُرجوازية) (Bourgeoisie): طبقة نشأتْ في عصر النهضة الأوربية...

أقول: الشرح صحيح، ومفيد من الناحية التاريخية، ولكني أود أن أضيف شيئاً في أن المصطلح ربما عُرِف قبل عصر النهضة أو قل: كأنَّ مادته كانت معروفة قبل أن تكون دالة على (طبقة) اجتماعية. ويدلنا على هذا ماورد في كتاب «الإعتبار» لأسامة بن منقذ، وفيه أن (البرجاسية) وهما جماعة بارزة من الافرنج استولوا على كيت وكيت. وجاء فيه في الكلام على رجل: قتله برِجاسيٌّ. لقد وقف الأستاذ فيليب حتّي على هذه المادة وأشار إلى أنها تعريب الكلمة الفرنسية المشار إليها. وكنت أود أن يشار إلى جملة هذا ويذكر نص ما ورد في «الاعتبار».

٦٢ ــ وجاء في الصفحة (١٩٧) في (ب ر ح): البُرَحِين (مثلّثة الباء مفتوحة الراء): الشدائد والدواهي.

أقول: من المفيد أن يشار إلى أن هذا مما يجب أن يلحق بما جمع بالياء والنون وهما علامة ثابتة وليس لها واو ونون كما في الملحق بِجمع المذكر السالم نحو: بَنون وعالَمون وعشرون وغيرها.

٦٣ ــ وجاء في الصفحة (٢٠٤) في (ب ر د): الباردة من الغنائم: ما يستفاد من غير تعب ومشقّة.

أقول: ومثل هذا ما نجد في العامية العراقية في لغة أهل السوق: ربح بارد، أيّ ما يأتي من غير جهد.

ذكرت هذا وأشرت إلى العامية، وليس من مهمة صانعي «المعجم» الإشارة إلى الألسن الدارجة، ولكني آثرت إثباته لأقول: إن هذا المعنى مما لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة، ولكن العامية قد احتفظت به، ومثل هذا كثير.

٦٤ ــ وجاء في الصفحة (٢٠٨) في (ب ر د ي): البَرْدِيّ: نبات مائي..... وكان ينمو في المستنقعات التي انتشرت في أرض مصر أيام الفراعنة.... ثم انتقل منها إلى بلاد الشام وجزيرة صِقِلِّية، وصنعت من سيقانه الحبال وخفاف الزوارق....

أقول: البَردي نبات مائي، وليس خاصاً بمصر وبلاد الشام، ففي جنوبي العراق مسطحات واسعة شاسعة من المياه زاخرة بالبرديّ منذ أقدم العصور، وهي ترقى إلى آلاف عدة من السنين، وهي بلاد سومر، وتدعى هذه (المسطحات) في عصرنا (الأهوار) ومفردُها (هَوْر) وقد ورد (الهور) بهذا المعنى ولموضع معين في جنوبي العراق ابتداءً من (واسط القصب) في شعر البحتري.

٦٥ ــ وجاء في الصفحة (٢٠٩) في (ب ر د): البَرّادة: إناء يُبرّد الماء.....

أقول: وكان ينبغي أن يضاف هنا: أن (البَرّاد) أو (البرّادة) قد أطلقتا على الجهاز الجديد الكهربائي الذي يستعمل لحفظ الأطعمة والفاكهة وتبريد الماء، وقد يُسمّى في بلاد عربية أخرى: (ثلاّجة).

٦٦ ــ وجاء في الصفحة (٢١٠) في (ب ر د): .... ويقال: جعل لسانَه على فلان مِبْرَداً: إذا آذاه وأخذه بلسانه. قال حاتِمُ الطائِي:

أعَاذِلَ لَا آلُوْكِ إلَّا خَلِيْقَتِي فَلَا تَجْعَلِيْ فَوْقِي لِسَانَكِ مِبْرَدَا

أقول: وهذا المجاز مما لا نجده في الفصيحة المعاصرة ولكننا نجده في اللسان الدارج، ومنه يقول عامّة العراقيين: (فلان لسانه مبرد) ذمًّا له واستنكاراً.

٦٧ ــ أقول قد انتهت مادة (ب ر د) وملحقاتها: اين من الأعلام من هذه المادة: (أبو بُرْدَةَ) وهو من رجال الحديث، انظر «تهذيب التهذيب» و«الاصابة» وغيرهما.

وأين أبو بُرَيدة ؟

ولا أريد أن أستوفي ولكني اجتزئُ بنماذج لأشير أن المنهج في تحرير المعجم لم يُراعَ على نحو دقيق مفيد .

٦٨ ــ وجاء في الصفحة (٢٣٠) في (ب ر ض): بَرَضَ النّباتُ بُرُوْضاً طلع وأمكن رعيه . . . . .

أقول: ومن المفيد أن ينظر في (برص) العبرانية ففيها شيء مما يتصل بهذه المادة .

٦٩ ــ وجاء في الصفحة (٢٣٤) في (ب ر ط ل): البُرْطُلّة: كلمة آرامية مركبة من Bar (بَر) (ابن) و (Tulla) (طُلاّ) (الظلّه): ابن الظلّ أي المِظلَّة الصيفية .

ثم أورد: البُرْطُلّة: كلمة نبطية ؟

أقول: ذكر ابن الجواليقي في المعرّب (البُرطلة) وأشار إلى أنها سريانية من (بر) و(طلا) وذكرها أدّي شير .

وإذا قلنا أن الكلمة سريانية فهي آرامية، لأن اللغة الآرامية أطلق عليها (سريانية) في العصور المسيحية . وجاء العرب فخلطوا فاستعملوا (سريانية) ولم ترد كلمة (الآرامية) في كتبهم، كما استعملوا نبطية، وهي لدى النظر في المواد، السريانية بعينها . فإذا كان هذا الخلط مقبولاً من اللغويين الأقدمين العرب، فلا يمكن أن يُقبَل في «المعجم الكبير» .

ثم كان ينبغي أن يُشار إلى أن (بُرطلّة) بليدة في شمالي العراق قرب الموصل في عصرنا هذا، وأهلها نصارى سريان على مذهب النساطرة، ولغتهم سريانية شرقية يسمونها كلدانية خطأً .

٧٠ ــ وجاء في الصفحة (٢٥٤) الكلام في (ب ر ك) وقد أخذتْ هذه المادة بضع صفحات، ولكني لم أجدها مصدّرة بشيءٍ مما ورد في اللغات السامية كالعبرانية والآرامية مثلاً .

ومن المفيد أن أشير أن (برخ) في هاتين اللغتين تقابل (برك) في العربية في إفادة الزيادة والنماء . ولابد من الإشارة في مادة (برك) في العربية إلى نظيرتها (برخ) في العبرية أيضاً..

٧١ ــ وجاء في الصفحة (٢٥٦) في (ب ر ك) أيضاً: الباروك: الكابوس، والجبان.

أقول: وكان من المفيد أن يشار إلى أن (الباروك) موضع في جبل لبنان فيه عين جارية ومياه وشجر وهو (منتجع) للاصطياف.

٧٢ ــ وجاء في الصفحة (٢٨٤) في (ب ر ي): بَرَى اسم موضع، ورد في قول تأبَّط شرّاً:

ولما سَمِعتُ العُوْصَ تَرْغُو تَنَفَّرَتْ عَصَافِيْرُ رَأْسِي مِنْ بَرًى فَعُوائِنَا(٦)

وجاء في شرح البيت: تنفَّرت عصافير الرأس: كناية عن الكِبْر.

أقول: وقوله: عصافير الرأس شيء نجده في عامية أهل العراق وهم يقولون: طارت عصافير رأسي كناية عن الأشغال وشرود الذهن.

٧٣ ــ وجاء في الصفحة (٢٩٢) في (بُزُرْ جَمِهْر): مؤلَّف من بُزُرك بمعنى كبير، ومِهْر بمعنى شمس، عالم كبير وَزَرَ لكسرى أنو شروان، وله ذكر في كتب التاريخ العربية، وفي «شاهنامة» الفردوسي.

أضيف: أنه ذكر غير مرة في كتاب «كليلة ودمنة».

٧٤ ــ وجاء في الصفحة (٢٩٥) في (ب ز غ) : وفي خبر أنس ـ رضي الله عنه ـ: أتينا أهل خيبر حين بزقت الشمس. قال الأزهري: هكذا رُوي بالقاف. والمعروف بزغت، ولعل بزقت لغة، والغين والقاف من مخرج واحد.

أقول: لعل الأقدمين لم يسجلوا هذه الظاهرة الصوتية من الإبدال، ولعلها كانت فاشية كثيرة بدلالة مانجد في عصرنا وذالك أن جملة أهل الخليج العربي كما في الكويت والإمارات العربية وقطر وغيرها وجزءاً كبيراً من أهل جنوبي العراق

من أهل القرى، وطائفة من بدو الأقاليم الوسطى أيضاً تبدل القاف غَيْنًا وبالعكس فهم يقولون: مَقْرِب، ويريدون مغرب، ويقولون: غمار، ويريدون قِمار.

٧٥ ــ وجاء في الصفحة (٢٩٧) في (ب ز ل): وبَزَل الشيَّءَ: شقَّهُ، وبَزَل الخمر: صفّاها، وانبَزَل الشيءُ: انشقّ. وتَبَزَّل: تشقق.

أقول: وكله لا وجود له في العربية المعاصرة، وهو معروف في الألسن الدارجة، وهذا مما يدرج به عامّة العراقيين.

٧٦ ــ وجاء في الصفحة (٣٠٦) في الكلام على (بُست) المدينة الأفغانية: وإليها ينسب جماعة من العلماء والأدباء منهم: حمد بن محمد الخطّابي البستي، أبو سليمان، صاحب «أعلام السنن» وهو شرح لسنن البخاري....

وأبو الفتح البُستي أديب شاعر...

أقول: والمنسوبون إلى بُست من الأعلام خَلق كثير وفي «يتيمة الدهر» للثعالبي ذَرْءٌ منهم.

٧٧ ــ ولم أجد في الباء والشين والألف والميم بعد ذكر البَشام (بشامة بن الغدير) من مشاهير الجاهليين، ومن شعراء «المفضليات»، وعدّه ابن سلاّم من الإسلاميين. انظر «سمط اللآلىء» ١/٣٨، ٣/٢٨.

٧٨ ــ وجاء في الصفحة (٣٤٩) في (ب ص ر): وأبصَرَ الشيء: رآه، قال كُثَيِّر:

وإنِّي لأَرْضَى منْ بُثَيْنَةَ بِالَّذي لَوابْصَرَهُ الْوَاشِيْ لقَرَّتْ بَلابِلُهْ

أقول: والبيت لجميل، وهو في «ديوانه»، ولعل هذا من السهو.

٧٩ ــ وجاء في الصفحة (٣٦٣) في (ب ص م): بَصَمَ بَصْماً: خَتَمَ بطرف إصبعه (محدثة).

أقول: من المفيد أن يُشار إلى (وسم) بالقول: انظر (وسم)، وكأني أرى أن المحدثين ذهبوا إلى (البصم) من الأصل وهو (الوسم) للقرابة الصوتية، حتى إذا تولّد الجديد امتاز بخصوصية دلالية خاصة.

٨٠ ــ ولم أجد بعد مادة (بغش): (بَغَشور) ومنها جمهرة من العلماء المنسوبين إلى هذه المدينة المعروفين بـ (البغوي).

٨١ ــ وكنت أطمح أن أجد (باف) من أعلام البلاد وقد ذكرها ياقوت، وربما كان ذكرها ليس شيئاً مهماً ولكن المنسوبين إليها خلق كثير وعرفوا بـ (البافي) ومنهم شعراء ومحدثون وغيرهم.

٨٢ ــ أقول: وكان من المفيد أن يشار إلى (البوري) وهو الحصير المنسوج (كذا) من القصب في مادة (بارية) في أول «المعجم» حتى إذا اقتضى الأمر ذكره في (الباء والواو والراء والياء) قيل: انظر (بارية).

وليس لها من موضع مع (بوري) لجنس من السمك.

٨٣ ــ أقول وقد وجدت (الأبيضان) للماء واللبن في مادة بيض في الصفحة (٧١٨) ولكني لم أجد (الأبردان) في (برد).

٨٤ ــ ولم أجد (بُييضة) لمادة الحياة في الاناث وهي تقابل (الخَيْمِن) أي الحيوان المنويّ للذكر، في الكلام على مادة (بيض)، وقد كنت أشرت إليها في الرقم (٥٧).

خاتمـــة :

وبعد فهذه (وقفات) لم أَشَأْ لنفسي أن تكون طويلة، وذالك لأني اجتزأْتُ مما وقفت عليه بهذا القدر، آمل أن أكون قد قمت بواجبي تجاه مجمعنا الموقّر في عيده المبارك.

صنعاء: الدكتور إبراهيم السامرائي

الحواشي :

(١) وكنت قد أحصيت من أولئك المنسوبين إلى (سامرّا) وأفردت لهم كتاباً وسمته بـ «أنيس السُّرى في المنسوبين إلى سامَرّا».

(٢) أفردت إلى هذا البناء رسالة أتيتُ فيها على ماورد منه في السريانية والعربية.

(٣) كتاب «النخل» لأبي حاتم السجستاني طبع في (بالرم) في أواخر القرن التاسع عشر، وقد حققته على أصله المخطوط وأقمت نصه وأصلحت ماجاء في المطبوعة، وهو قيد الطبع.

(٤) الصواب (٢٦٤هـ) وأصل الخطأ من «تاج العروس» وبَحْشَلُ أيضاً لقب أسلم بن سهل الرزّاز الواسطي المتوفى سنة ٢٩٢هـ مؤلف «تاريخ واسط» الذي حققه الأستاذ كوركيس عواد.

←

الدرعية في أعين الشعراء

(١٢٣٣هـ - ١٨١٧م)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد فليس بغريب على أدبنا العربي شعْرُ بُكاء المدن والمنازل، وإنما هو معروف معهود[١]، ولعل الظروف السياسية، والفكرية، والبيئية[٢] التي منيت بها البلاد، قد ساعدت على نشوء هذا الغرض وتكوينه، إذ عمد أعداءُ هذه الأمة، وبعض المخذولين من أبنائها أو المنتمين إليها إلى: الدمار، والخراب، والسعي في الأرض بالفساد، مما أبكى الشعراءَ وأحْزَنَهُم، وما حالُ (الدرعية)[٣] في أواخر الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري من هذا الواقع بِبَعِيْدٍ، إذ مُنِيتْ بكيد محمد علي باشا[٤] والي مصر، وطموحه السياسي الموهوم، فلقد سيَّرَ جيشاً بقيادة ابنه إبراهيم[٥] الذي تمكن من الاستيلاء على الدرعية في اليوم الثامن من شهر ذي القعدة عام ١٢٣٣هـ/١٨١٧م[٦]، بعد مقاومة باسلةٍ، دامت نحو: (ستة أشهر وبضعة أيام)[٧]، ولم تضع الحربُ أوزارَها من بعد إلا في شعبان عام ١٢٣٤هـ[٨] معلنةً بخراب الدرعية وتدميرها، إذْ تلقى إبراهيم باشا من أبيه أمراً بذالك، حيث: (أنذر سكان المدينة بإخلائها فأُخْلِيَتْ، وطلب من جنده أن يهدموا البقية

---

(٥) حققه ونشره كوركيس عواد في بغداد مرتين.

(٦) في «ديوان تأبط شرًا» جمع على ذي الفقار شاكر - ٢١٤ -

ولما سمعت العوص تدعو تنفرت عصافير رأسي من بَوَى فَعَوَائِنَا

وفي الحاشية: في «الأغاني»: . . . عصافير رأسي من غواة فَرَاتِنَا.

وفي «اللسان» عوض -: سمعت العوض. . عصافير رأسي من بوى وتوانيا

وفي «اللسان» - عون -: سمعت العوص من برى فعوائنا

وفسر العوض والعوص كليهما بأنهما قبيلة من العرب.

وفي «اللسان» - برى -: العوص ترغو من برى فعوائنا.

برى: اسم موضع **(العرب)**: لعل الشاعر أراد (بواء) وادٍ لايزال معروفاً - وقد قصره بعض الشعراء كما في «معجم البلدان» ويقع في أسفل سراة بجيلة (بني مالك الآن) يجتمع مع شوقب وصراء وعردة وكلها من أودية بجيلة - انظر كتاب «في سراة غامد وزهران» والشاعر قال القصيدة التي منها البيت حين أعار على العوص من بجيلة «الأغاني» ١٥٣/٢١ - طبعة الثقافة - بيروت -.

الباقية من أسوارها وأبراجها، وأن يَدُكُّوا دورها، وقصورها، وحوانِيْتُهَا، وأن يقطعوا أشجارها، ونخيلها، ففعلوا، وتفرق أهلُها في البلدان، وصارت قبل انقضاء عام على المصالحة أثراً بعد عين)[٩]، وذالك كله: (بعد حرب ضروس، استمرَّتْ قرابة عامين)[١٠]، مما أوجد عند الشعراء شُعُورًا حَزِيناً صادقاً في الحديث عن هذه الكارثة، واستطار الأمر فغشا أنحاء الجزيرة العربية، حيث بكى الشعراء واقع الدرعية، ورثوا رجالها في نتاج أدبيٍّ يكاد يكون مُمَيَّزًا نَادِرًا، وظل الألم يسري في نفوس الشعراء حتى عصرنا الحاضر[١١]، فلقد كان لسقوط الدرعية تأثيره المباشر، وغير المباشر على جميع مناطق شبه الجزيرة العربية)[١٢]، وبخاصة في ميدان الشعر، بالرغم من ضياع معظمه وفقدانه.

ولعل مما يدل على تأثر أدباء الجزيرة العربية وعلمائها بخبر سقوط الدرعية قول الحسن بن أحمد عاكش الضمدي[١٣] في معرض حديثه عن الحسن بن خالد الحازمي[١٤]، إذ قال: (وقد كان بلغ استئصال الترك للدرعية، وأسرهم لأميرها عبدالله بن سعود في جماعة من قراباته وأصحابه بعد أن حوصروا مدة، وكان المحاصر له إبراهيم باشا من تحت نظر والده محمد علي باشا صاحب مصر، وبذل مجهوده في استئصال تلك الطائفة النجدية، ولم يزل محاصِرًا لهم حتى لم يبق لهم عين ولا أثر، فأصبحوا خبراً من الأخبار، بعد أن غنَّتْ بذكرهم السُّمَّار، ونفذت أوامرهم، في كثير من الأقطار، وبلغت (غزواتهم) أطراف العراق، وطبقوا (بالسريا) أغلب الآفاق:

تَحكمُوا فَاسْتَطَالُوا فِي تَحَكُّمِهِمْ ... وَعَنْ قَرِيْبٍ كأَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنِ[١٥]

فأصبحت الدرعية مأوى للبُوم، يتجاوَب فيها الصَّدَى، مؤذنة أن هذه الدنيا متى ما أضحكت في يومها أبكت غدًا، يُنْشِدهم لسانُ الحال:

كأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُوْنِ إِلَى الصَّفَا ... أَنِيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرِ[١٦]

ويجيب عنهم في ذالك المقال:

بَلىٰ نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا[١٧] ... صُرُوْفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُوْدُ الْعَوَاثِرُ[١٨]

. . .وكان السيد العلامة حسن بن خالد وغيره من عقلاء الناس، يرون أن بقاءَ الدرعية في المناوأة للأتراك اشتغال لهم عن الالتفات إلى هذه البلاد، وأنه لا يردهم عن التوجه إليها بعد أن يَصْفو[١٩] لهم الجو رادٌّ ، ولقد رأيت خطا[٢٠] من السيد العلامة حسن بن خالد إلى شيخنا القاضي العلامة عبدالرحمن بن أحمد البهكلي[٢١] يعظم عليه أخذ الدرعية، ويراها براعة استهلال للبلية، بأنواع من ضروب الكلام يذيب قلب الجماد، ويفصح له باستيلاء أيدي الأتراك بعد أخذها على هذه البلاد، والله أعلم من أين استمدَّ هذا الخاطر؟ فلعلَّهُ برؤيا مناميّة)[٢٢]، وفي مثل هذا الحال، قال ابن بشر[٢٣]: (فلما كان في شعبان [سنة أربع وثلاثين بعد المئتين والألف] وقدمت الرسل والمكاتبات من محمد علي، على ابنه إبراهيم باشا، وهو في الدرعية، أمره فيها بهدم الدرعية وتدميرها، فأمر على أهلها أن يرحلوا عنها، ثم أمر على العساكر أن يهدموا دورها وقصورها وأن يقطعوا نخيلها، وأشجارها، ولا يرحموا صغيرها، ولا كبيرها، فابتدر العساكرُ إلى هدمها مسرعين، وهدموها، وبعض أهلها فيها [مقيمون]، فقطعوا الحدائق منها، وهدموا الدور والقصور ، ونفذ فيها القدر ، وأشعلوا في بيوتها النيران ، وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان، فتركوها خالية المساكن كأن لم يكن بها من قديم ساكن، وتفرق أهلها في النواحي والبلدان)[٢٤]، (ونَعَبَتْ في خرائبها البوم والغربان)[٢٥].

ولئن أفاض المؤرخون والكتاب في ذكر أخبار الدرعية وأحداثها، وأسهبوا في وصفها، وما آلَتْ إليه من الخراب والدمار، لَيَنْقُلُنَّ لنا ذالك الواقع بأسلوب أدبي مقبول، قد يعد من أساليب التعبير المألوفة التي درج عليه المؤرخون الأدباء في مؤلفاتهم حينذاك، ويمكن القول إن عاكشا، وابن بشر عاصرا تلك الأحداث، وأدركاها، ولذلك أتت كتابتهما طويلة مسهبة لا تخلو من الألم والعبرة، ولعل شُعَراء نَجْدٍ عندئذ قد فاقوا إخوانهم في بقية بلدان الجزيرة العربية الأخرى بوفرة شعرهم وكثرته، وذلك لأنهم أكْتَوَوْا بِلَظَى الحرب وسعيرها، وشهدوا الواقع الأليم، ورأوه، مما وسم نتاجهم الأدبيَّ بصدق التجربة ووضوحها، فالحقُّ أن هذه الكارثة: (قد استفظعها الناس كلهم)[٢٦]، وأنها قد انطقت ـ كما يقول أحد

الكتاب المعاصرين - (لسان الرثاء، فأفاض يقطر دماً، ويستوقد حرارة ومرارة)[٢٧]، ومما قاله ابن بشر في معرض حديثه عن أحداث الدرعية: (وقد أرخها بعض الإخوان من أهل سُدَيْر[٢٨]، وهو محمد بن عمر الفاخري[٢٩]، فقال:

عَامٌ به النَّاسُ جَالُوا حَسْبَمَا جَالُوا ... ونَالَ مِنَّا الْأَعَادِي فِيْهِ مَانَالُوا
قَالَ الأَخِلَّاءُ أَرِّخْهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: ... أَرَّخْتُ، قَالُوا: بِمَاذَا؟ قُلْتُ: غِرْبَالُ[٣٠]

ومهما يكن الأمر فإن من أبرز شعراء الجزيرة العربية الذين تناولوا أخبار الدرعية، وبكوها في شعرهم: أحمد بن علي بن مُشَرَّف[٣١] (١٢٨٥ - ١٢٨٥هـ)، وعبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن معمر[٣٢] (١٢٠٣ - ١٢٤٤هـ)، وعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ[٣٣] (١١٩٣ - ١٢٨٥هـ)، وعبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ[٣٤] (١٢٢٥ - ١٢٩٣هـ)، ومحمد بن أحمد الحفظي[٣٥] (١١٧٦ - ١٢٣٧هـ) وأحمد بن علي بن أحمد بن دُعَيج[٣٦] (١١٩٠ - ١٢٦٨هـ) وغيرهم من أمثالهم، أو ممن شاركوا بشعر عاميٍّ ملحون، فالحق أن شعر أولئك وافر غير قليل[٣٧]. أما ابن مُشرَّف فله في بكاء الدرعية قصيدة يتيمة واحدة، بكى فيها سقوط هذه البلدة، وماحل بأهلها من البلاء، وطالِعُها:

أَلَيْلٌ غَشَا الدُّنْيا أَمِ الْأُفْقُ مُسْوَدُّ ... أَمِ الْفِتْنَةُ الظَّلْمَاءُ قَدْ أَقْبَلَتْ تَعْدو[٣٨]

ويظهر أن هذه القصيدة قيلتْ في زمن متقدم من عمر الشاعر، إذا قال في شأنه أحد الباحثين المعاصرين: (ويبدو أنه أدرك وهو شاب كارثة الدرعية عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م لأن له شعرًا فيها)[٣٩].

ويكاد ابنُ مُعَمَّرٍ يفوق معاصريه في وفرة شعره الذي أنشأه في بكاء الدرعية، فضلاً عن وضوح تجربته وصدقها، فقد ظل يحمل هموم هذا البلاء مُذْ شَهِدَ وقوعَهُ بهذه المدينة، وحتى أدركه الموت، حيث رأى الفاجعة، ورحل مغترباً من بعدها، إذ ظل يشدُّهُ الحنين إلى وطنه، وينتابُهُ إلى ذكر إخوانه الذين فرقهم الزمان، وأخرجهم الأعداء، مما أوجد له شعراً وافِراً غير يسير، وقد وصفه ابن بشر بأنه:

(كان أديباً . . . وله أشعار رائعة لاسيما في أهل الدرعية. فإن له فيهم قصائد، منها القصيدة الطنانة التي رثاهم بها، وذكر ماجرى لهم وعليهم)[٤٠]، ومن قصيدته الطنانة[٤١] المشهورة، قوله:

إِلَيْكَ إِلٰهَ الْعَرْشِ أَشْكُو تَضَرُّعاً ... وَأَدْعُوكَ فِي الضَّرَّاءِ رَبِّ لِتَسْمَعَا
وَكَمْ قَتَلُوا مِنْ عُصْبَةِ الْحَقِّ فِتْيَةً ... هُداةً وِضَاءً[٤٢] سَاجِدِيْنَ وَرُكَّعَا
وَكَمْ دَمَّرُوا مِنْ مَرْبَعٍ كَانَ آهِلاً ... فَقَدْ تَرَكُوْا الدارَ الْأَنِيْسَةَ بَلْقَعا
فَأَصْبَحَتِ الْأَمْوَالُ فِيْهِمْ نَهَائِباً ... وَأَصْبَحَتِ الْأَيْتَامُ غَرْثَى وَجُوَّعَا
وَفَرَّ عَنِ الْأَوْطَانِ مَنْ كَانَ قَاطِناً ... وَفُرِّقَ إِلْفٌ كَانَ مُجْتَمِعًا مَعَا

مَضَوْا وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُمْ حِيْنَ أَوْرَثُوْا ... ثَنَاءً وذِكْراً طَيِّباً قَدْ تَضَوَّعَا
فَجَازَاهُمْ اللهُ الْكَرِيْمُ بِفَضْلِهِ ... جِنَاناً ورَضْواناً مِنَ اللهِ أَرْفَعَا
فَإِنْ كَانَتِ الأَشْبَاحُ مِنَّا تَبَاعَدَتْ ... فَإِنَّ لأَرْوَاحِ الْمُحِبِّيْنَ مَجْمَعَا
عَسَى وَعَسَى أَنْ يُنْصُرَ اللهُ دِيْنَنَا ... وَيَجْبُرَ مِنَّا كُلَّ مَا قَدْ تَصَدَّعَا
وَيَعْمُرَ لِلسَّمْحَا رُبُوعاً تَهَدَّمَتْ ... وَيَفْتَحَ سُبْلا[٤٣] لِلهِدَايَةِ مَهْيَعَا
وَيُظْهِرَ نُورَ الْحَقِّ يَعْلُوْ [ضِيَاءُه] ... فَيُضْحِيْ ظَلاَمُ الشِّرْكِ وَالشَّكِّ مُقْشِعَا
إِلٰهِي فَحَقِّقْ ذَا الرَّجَاءَ وَكُنْ بِنَا ... رَؤُوْفاً رَحِيْماً مُسْتَجِيْباً لَنَا الدُّعَا

أَلاَ أَيُّهَا الإِخْوَانُ صَبْراً فَإِنَّنِي ... أرى الصبر للمقدور خيراً وأنفعا
وَلاَ تَيْأَسُوْا مِنْ كَشْفِ مَانَابَ إِنَّهُ ... إِذَا شَاءَ رَبِّي كَشْفَ ذَاكَ تَمَزَّعَا
وَمَا قُلْتُ ذَا أشكُو إِلَى الْخَلْقِ نكْبَةً ... (وَلاَ جَزَعاً مِمَّا أَصَابَ فَأَفْجَعَا)
فَما كَانَ هذا الأَمْرُ إِلاَّ بِقُدْرَةٍ ... بِهَا قَهَرَ اللهُ الْخَلاَئِقَ أَجْمَعَا
وَذَالِكَ عَنْ ذَنْبٍ وَعِصْيَانِ خَالِقٍ ... أَخَذْنَا بِهِ حِيْناً فَحِيناً لنرجعا
وَقَدْ آنَ أَنْ نَرْجُو رِضَاهُ وعَفْوَهُ ... وأَنْ نَعْرِفَ التَّقْصِيْرَ مِنَّا فَنُقْلِعَا
فَيَا مُحْسِناً قَدْ كُنْتَ تُحْسِنُ دَائِماً ... وَيَا وَاسِعاً قَدْ كانَ عَفْوُكَ أَوْسَعَا
نَعُوْذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ سُوْءِ صُنْعِنَا ... فَإِنَّ لَنَا فِي الْعَفْوِ مِنْكَ [لَمَطْمَعَا]
أَغِثْنَا أَغِثْنَا وَادْفَعِ الشِّدَّةَ الَّتِي ... أَصَابَتْ وَصَابتْ وَاكْشِفِ الضُّرَّ وارْفَعَا[٤٤]

ولم يقتصر شعر ابن مُعَمَّر على هذه القصيدة وحسب، وإنما عرف له العدد من القصائد الذاتية الأخرى التي قيلت بعد نكبة الدرعية[٤٥]، ومنها قصيدته العينية الأخرى التي: (أجاب بها الشيخ عبدالرحمن بن حسن، والمجاب في منفاه بمصر)[٤٦]، ومنها قوله:

أَبَا حَسَن ذَكَّرْتَنَا الْعَهْدَ والْإِخَا ... وَعَصْراً مَضَى وَالشَّمْلُ بِالْخَيْرِ جَامِعُ
زَمَانَ اصْطَحَبْنَا فِي أَمَانٍ وغِبْطَةٍ ... وَللَّدِينَ وَالدُّنْيَا لَدَيْنَا مَوَاضِعُ
بُنُودُ ذَوِي الْإِسْلَامِ تَخْفِقُ أَيْنَمَا ... تَوجَّهَتِ الرَّايَاتُ فَالنَّصْرُ تَابِعُ
فَتَمَّتْ بِهَا النِّعما وَحُقَّ لَنَا الْهَنَا ... وقَامَت به فيما لَدَيْهِ الشَّرَائِعُ
وَلَسْنَا نُبَرِّي النَّفْسَ مَنْ أَمْرِ سُوئِهَا ... وَلَوْلَاهُ مَا حَلَّتْ عَلَيْنَا الْفَجَائِعُ
فَإِنْ حَالَتِ الْأَحْوَالُ عَمَّا عَهِدْتُهَا ... وَصَارَ مِنَ الْأَعْدا[٤٧] الصَّدِيْقُ الْمُشَايِعُ
وبث عنان الْخَلْقِ في الأَرْضِ بَغْيُهُمْ ... وراَعَتْ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِيْنَ الرَّوَائِعُ
فَصَالِحَةُ الْعُقْبَى لِكُلِّ مُوَحِّدٍ ... وَإِنْ زَعْزَعَتْهُ النَّائِبَاتُ الزَّعَازِعُ[٤٨]

ومن شعره أيضاً قصيدته اللامية التي أنشأها: (وهو في البحرين بعد نكبة الدرعية)[٤٩] ومنها قوله:

ذَكَرْتُكُمْ يا أَهْلَ وُدِّيْ وَقَدْ نَأَتْ ... بِيَ الدَّارُ لَاصَحْبٌ لَدَيَّ وَلَا أَهْلُ
إِذَا مَا ذَكَرْنَا عَهْدَ أُنْسٍ فَإِنَّمَا ... يُبَادِرُنَا دَمْعٌ مِنَ الْعَيْنِ مُنْهَلُّ
وأَبْكِي عَلَى عِقْدٍ تَنَاثَرَ نَظْمُهُ ... شُيُوخٌ وإِخوانٌ شبابُهُم كَهْلُ
أَقَمْنَا جَمِيعاً فِي أَمَانٍ وَغِبْطَةٍ ... وللسُّحْبِ بِالْخَيْرَاتِ مِنْ فَوْقِنَا وَبْلُ
وَقَدْ أَصْبَحَتْ قَفْراً · وَأَصْبَحَ أَهْلُهَا ... وَعِقْدُهُمْ بَعْدَ التَّأَلُّفِ مُنْسَلُّ[٥٠].

ويدرك الناظر في هذا النتاج الأدبيِّ الذي حفل بهموم الشاعر وآلامه، أنه قيل بدافع ذاتيٍّ حزين، وأنه قد انتظم حياة الشاعر منذ أفجعه حادث الدرعية، مروراً بغربته، وتنقله في البلاد، لا يشدُّهُ إلى ذكرياته القديمة، وأيامه الخالية سوى هاجس الذكرى، وداعي الألم، فأتت تجاربه متفاوتة، إذ كان حينما نظم قصيدته الأولى يشهد الواقع المؤلم، والموقف الحزين، مِمَّا جعل تلك القصيدة تفوق بقية شعره، إذ تمثلت فيها لوعة الشاعر، ووضوح تجربته، على الرغم من إغفال

المصادر لمعظم أبياتها. وقد أتت القصيدتان الأُخْرَيَان أقلَّ حماسة وتجربة، ومع ذالك يمكن القول بأن هذا الشعر بعامَّةٍ يمثل مستوى الأدب حينذاك، ويظهر منزلته، وبخاصة في ميداني أسلوب التعبير، والدلالة اللغوية.

وإذا كان ابن مُعَمَّرٍ قد صدر عن تجربة شعرية صادقة، فإن بعض معاصريه الشعراء الذين سبق ذكرهم، قد تناولوا هذا الحادث الأليم بشيء من العناية والاهتمام، فأما عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ فيعتقد أن مقامه في مصر مغتربا منفيا قد أسعفه بشيء من النتاج الشعري، وبخاصة مع صديقه ابن مُعَمَّر الذي تَعَوَّدَ مكاتبه ومراسلته، فلقد أشار الأخير إلى ذالك في شعره[٥١]، إذ كان لابن الشيخ ـ كما وصفه أحد المؤرخين ـ (الباع الطويل في الأصول وفي الأدب والتاريخ والشعر)[٥٢]، وأما ابنه عبداللطيف آل الشيخ فهو: (أجود آل الشيخ شعراً)[٥٣]، وهو الذي يقول فيه عبدالله الحامد: (أما ما وصل إلى الأيدي من شعره، فأوله الرائية المشهورة التي جاوب بها عبدالعزيز بن طوق[٥٤]، ويتحدث الرجلان عن النكبات التي منيت بها الدعوة إثر سقوط الدرعية كما يعرض عبداللطيف الحالة السياسية للبلاد عرضاً لا يوجد في غير هذه القصيدة، وتتجاوز السبعين بيتاً، ومطلعها:

رسائل إخْـوَانِ الصَّفَا والْعَشَـائِرِ أتَتْكَ فَقَابِـلْ بِالْمُنَى والْبَشَـائِرِ[٥٥]

ومنها:

تُـذَكِّـرُنِي أَيَّـامَ وَصْـلٍ تَقَـدَّمَتْ وَعَهْـداً مَضَى لِلطَّيِّبِـيْنَ الْأَكَـابِـرِ
لَيَـالِي كَـانَتْ لِلسُّعُـوْدِ مَـطَالِعـاً وَطَائِرُهَـا فِي الدَّهْـرِ أَيْمَنُ طَائِـرِ
وَكَـانَ بِها رَبْـعُ الْـمَسرَّةِ آهِـلاً تَمَتَّعَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْعِلْمِ زَاهِرِ
وَفِيْهَـا الْحُماةُ النَّـاصِرُوْنَ لِـرَبِّهِمْ مَعَاقِلَهُمْ شُهْبُ الْقَنَا وَالْخَنَاجِرِ[٥٦]

وأما محمد بن أحمد الحفظي فقد نظم في هذا الشأن شيئاً من الشعر ، ولكنه لم يظهر فيه واقع الدرعية عند نكبتها، وإنما عَدَّ سقوطها من بوادر الفتن، التي بليت بها الجزيرة العربية حينذاك، وامتحن بها الإسلام وأهله، ويتحقق هذا القول في قصيدته التي يقول في طالعها:

جَـاءَتِ السَّـاعَـةُ في أشْرَاطِهَـا وَأَتَى مِصْدَاقُ قَوْلٍ في الْعَـرَب
قُمْ عَلَى سَاقِ اجْتِهَادٍ في الْقُرَبْ وَادَّكِرْ بِـ(اقْتَرَبَتْ) أوْ بـ(اقْتَرَبْ)
وَأَدِرْ فِـكْـرَكَ تَـنْـظُرْ عَـجَـبـاً إن هذا الدهر قد أبدى العجب[٥٧]

وقد قدم محمد بن إبراهيم الحفظي لهذه القصيدة في مجموعة «نفحات من عسير» بقوله بأن جدَّهُ محمد بن أحمد الحفظي قد: (قام يصور نقمة المواطنين الأحرار على حكم [الترك] الذي ثقل وطؤه على صدر الأمة العربية، وتفجرت نقمته بهذه القصيدة سنة ١٢٣٣هـ)[٥٨].

وأما أحمد بن علي بن دُعَيْج فقد نظم: (أرجوزة طويلة مدح فيها آل سعود، وذكر فيها نكبة الدرعية)[٥٩]، ولكنها لم تسلم من آثار الضعف الأسلوبي والعروضي، وقد تنبه لهذا المعنى محمد بن عثمان القاضي في كتابه: «روضة الناظرين» حينما استشهد ببعض أبياتها، إذ قال: (وتركنا معظمها لأنها غير موزونة)[٦٠]، ومنها قوله:

فَـاسْـمَـعْ وَخُـذْ تَـارِيْـخَ ثَـالِـث مـن بعـد أَلْـفٍ نكبـة الحـوادِث
تَتْلُو ثَـلَاثٌ مـع ثـلاثـين مضت أتتْ عـلى نـجـد بنـار أوقـدت
وقـبـله كـأنها عـروس والخـير في أركـانها يَمِـيْسُ
أمـيرهـا الـسـمـيـدع المحـامـي بـنـفـسـه عـن خـدمـة الإسـلام
كـم قـبـلهـا أبـاد ربي مـن أمـم من بعـد نـوح مثـل عـاد وإرم
مـصـير دنـيـانـا إلى المـحـاق ثـم الـبـقـا لـلواحـد الخـلاق
فـيـالهـا من بـيـضـة تـفـلقـتْ حـدائـق بعـد التـفـاف قـطعت
وطـالمـا كـانـت محـل أنس ورحـب سـاحـات لِهَـمٍّ تُـنَسي[٦١]

ومما يدل على أثر تلك الفاجعة لدى شعراء هذه الجزيرة العربية عبر القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين أن شعراء زماننا المعاصرين قد بكوا هذا الواقع بمرارة، وأسى، ومنهم عبدالله بن خميس الذي يقول:

أَمَـا هٰهُنَا قَـدْ كَـانَ عِـزٌّ وَدَوْلَـةٌ وَمَجْـدٌ يُسَـامِي هَـامَـةَ النَّجْمِ فَـارِعُ
وَأَوْدَى فـأَمَّـا سَـاكِـنُـوْهُ فَغُـوْدِرُوا رَمِيْـمـاً لَهُم تَحْتَ التُّرابِ مَضَـاجِـعُ

وَأَمَّـا الْـحُصُـوْنُ الْفَـارِعَـاتُ فَـإِنها طَلُولٌ تهيجُ الـذِّكْـرَيَـاتِ خَـواشِـعُ
تَـصَـابَى وَلَيْسَتْ لِـلصِّبَـا بِـأَلِـيْفَـةٍ وَتَخْضِبُ منهـا أَشْمَـطاً فَـيُمَـانِـعُ
وَتَـرْنُـو إِلَى الْـمَـاضِـي بِعَـيْنٍ أَسِيْفَـةٍ لَعَـلَّ لَيَـالِيْهـا الـرِّغَـابَ رَوَاجِـع(٦٢)

ومثل قوله:

فَسَـاءَ دُعَـاةَ الْبَغْيِ مِنْ كُـلِّ أَرْعَنٍ لَـهُ سَالِفٌ فِي مَـرْتَعِ الـظُّلْمِ أَسْوَدُ
فَـجَـرَّدَهَـا تَنُـوْءُ بِـالْـبَـغْـيِ وَحْـلَةً كَـأَنَّ لَهَـا ثَـأْرًا عـلى الـدين يُقْصَـدُ
فَكَـانَتْ لَنَـا قَـرْحـاً أُصِبْنَـا بِـرُزْئِـهِ وَلَا يـدْعَ فِيْنَا قَـدْ أُصِيْبَ مُحَمَّدُ(٦٣)

ويمكن القول إن هنالك شعراً قيل في الشماتة بالدرعية حين سقوطها، حيث نظم المغرضون الأعداء هذا الشعر بروح حاقدة غالية، ولاشك أن هذا الشعر المتطرف يعود إلى أسباب: سياسية، وأخرى مذهبية دينية صرفة، لذالك عمد الباحث إلى إهماله، دون الإفادة منه، نظراً لغلبة الروح الفكرية المتحمسة على معانيه، إذ أبدى قائلوه شعوراً غريباً لم يسلم من التعصب والهوى ، ومع ذالك فإنه يمكن الخروج من هذه الدراسة المختصرة الموجزة بنتائج مقبولة، لعل من أهمها أن هذا الشعر قد سجل لنا الأحداث المؤلمة التي منيت بها الدرعية عند سقوطها، وأنه قد دلل على مستوى الشعر حينذاك، وبخاصة مستواه الفني، وما انتظمه من معان مختلفة، وربما كان لضعف هذه النصوص أثر في الحكم عليها، إذ يصعب على الباحث دراسة النصوص الضعيفة وتقويمها.

الهوامش والتعليقات:

(١) تحفل مصادر الأدب العربي بالعديد من القصائد الشعرية التي قيلت في هذا الشأن، ويمكن النظر فيها، وفي المراجع الآتية: «مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني» لبكري شيخ أمين، و: «الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري» لعائض الردادي، وما قيل من شعر في بكاء الأندلس، وكذا الشعر الذي قيل في ميدان الحروب الصليبية ونحوها.

(٢) يراد بهذا القول الظروف البيئية الطبيعية التي تصيب البلاد، مثل الزلازل، والسيول ونحو ذلك.

(٣) انظر أخبارها في: «معجم اليمامة»، و«الدرعية العاصمة الأولى» لابن خميس، و«مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ» لحمد الجاسر، قال عنها ابن خميس: «تقع الدرعية.. في منتصف وادي حنيفة شمال غرب الرياض «الدرعية» ٤٦، وقال الجاسر: «الدرعية بكسر الدال المهملة وإسكان الراء بعين مهملة ساكنة فياء مثناة تحتية مشددة فهاء مدينة من مدن إمارة الرياض، فيها إمارة يتبعها عدد من القرى» «المعجم الجغرافي» ١/٤٤٥.

(٤) قال عنه الزركلي: (محمد علي باشا [١١٨٤ ـ ١٢٦٥هـ] بن إبراهيم أغا بن علي المعروف بمحمد علي الكبير مؤسس آخر دولة ملكية بمصر ألباني الأصل مستعرب، ولد في قولة التابعة الآن لليونان، وكانت من البلاد العثمانية، واحترف تجارة الدخان فأثرى. وكان أمياً، تعلم القراءة في الخامسة والأربعين من عمره، وقدم مصر وكيلاً لرئيس قوة من المتطوعة جهزتها قولة تتألف من ٣٠٠ رجل، نجدة لردّ غزاة الفرنسيين عن مصر، فشهد حرب أبي قير سنة (١٢١٤هـ)، وجامل المماليك فناصروه مع الألبانيين، وأتراك قولة، ومازال حتى كان والي مصر سنة (١٢٢٠هـ) في حديث طويل، فعنى بتنظيم حكومتها، وقتل المماليك سنة (١٢٢٦) بوسيلة تقوم على الغدر ـ كما يقول صاحب المجمل في التاريخ المصري ٣٠٥ ـ وأنشأ السفن في النيل، وضم معظم السودان الشرقي إلى مصر، وأنشأ في الاسكندرية دار صناعة ترسانة للسفن، واضطربت الدولة العثمانية لتوسع السعوديين في دولتهم الأولى بالحجاز وغيره فانتدبته، كما انتدبت واليها ببغداد والشام لحربهم فكانت له معهم وقائع معروفة وشارك في حرب المورة، واستولى على سورية، ولم تلبث أن انتزعت منه بعد أن جعلت له الدولة العثمانية حكم مصر وراثياً سنة (١٢٥٧هـ)، وكثرت في أيامه المدارس، والمعامل في الديار المصرية، وأرسل البعثات لتلقي العلم في أوربة. وكان يحتم على من يدخل في خدمته من الإفرنج أن يتزيوا بالزي العربي المصري، ويتكلموا اللغة العربية ويؤلفوا بها أو ينقلوا كتبهم إليها، واعتزل الأمور لابنه إبراهيم باشا سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م، وأقام في قصر رأس التين بالاسكندرية مريضاً إلى أن توفي بها، ودفن بالقاهرة) «الأعلام» ٦/٢٩٨.

(٥) قال عنه الزركلي: (إبراهيم باشا بن محمد علي باشا [١٢٠٤ ـ ١٢٦٤هـ]: قائد، بعيد المطامح، من ولاة مصر. ولد في نصرتلي بالقرب من قولة بالروملي، وقدم مصر مع طوسون بن محمد علي سنة (١٢٢٠هـ)، فتعلم بها، وأرسله أبوه أو متبنيه محمد علي سنة ١٢٣١ بحملة إلى الحجاز ونجد، ثم جعله قائداً للحملة المصرية في حرب المورة سنة ١٢٣٩هـ، وفي سنة ١٢٤٧هـ سيره بجيش إلى سورية. . . . . نزل له محمد علي عن إمارة الديارة المصرية سنة ١٢٦٤/١٨٤٨م، وورد الفرمان العثماني بتوليته، فزار الآستانة، ومرض بعد إيابه فتوفي بمصر، قبل وفاة أبيه. . .» «الأعلام» ١/٧٠.

(٦) انظر: «الأخبار النجدية» للفاخري ١٤٨، و: «محمد علي وشبه الجزيرة العربية» لعبدالرحيم عبدالرحمن ١/٢.

(٧) منير العجلاني، «عهد عبدالله بن سعود» ١٢٩.

(٨) و(٩) إبراهيم جمعة، «الأطلس التاريخي للدولة السعودية» ٩١.

(١٠) سليمان بن محمد الغنام، «قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ ـ ١٨٤٠) ٣٣.

(١١) انظر: «الدرعية العاصمة الأولى»، «معجم اليمامة» لعبدالله بن خميس.

(١٢) عبدالرحيم عبدالرحمن، كتابه السابق ١.

(١٣) قال عنه كحالة: (الحسن بن أحمد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن الحسن بن الحسين بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن عمر بن محمد بن يوسف الضمدي التهامي (١٢٢١ ـ ١٢٩٠هـ)، المعروف بعاكش: محدث، حافظ، مؤرخ، ناثر، ناظم، مشارك في أنواع من العلوم، ولد في آخر سنة ١٢٢١هـ، من مؤلفاته العديدة: روض الأذهان شرح نظم المدخل في علمي المعاني والبيان، نزهة الأبصار من السيل الجرار، الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني، عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر، وحدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان العصر والدهر. «معجم المؤلفين» ٣/٢٠١، انظر: «نيل الوطر» لزبارة، و«الأعلام» للزركلي.

(١٤) قال عنه كحالة أيضاً: «الحسن بن خالد بن عزالدين بن محسن الحازمي التهامي [١١٨٨ ـ ١٢٣٤هـ] عالم، ناثر، ناظم، ولد في هجرة ضمد، وتوفي في ٢٣ شعبان في موضع شكر من السراة من آثاره: نشر الدرر على منظومة الشيخ محمد سعيد سفر في علم التعصب والابتداع» «معجم المؤلفين» ٣/٢٢١، انظر.

« بيل الوطر» لربارة، و«الأعلام» للزركلي.

(١٥) لم أقف على قائله فيما بين يدي من المصادر.

(١٦) البيت لعمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي، انظر: «السيرة» لابن هشام ١/١٢٠

(١٧) كذا في الأصل، وفي «السيرة» لابن هشام: (فأزالنا).

(١٨) البيت لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي، انظر: «السيرة» لابن هشام ١/١٢٠.

(١٩) في الأصل: (يصفا)، ولعل الصواب ما أثبت.

(٢٠) أي: رسالة، أو كتاباً.

(٢١) قال عنه كحالة: (عبدالرحمن بن أحمد بن الحسن بن علي البهكلي الضمدي [١١٨٢ ـ ١٢٤٨هـ] ثم الصبياني التهامي... محدث، حافظ، مؤرخ، شاعر، ولد بمدينة صبيا، وولي قضاء بيت الفقيه وتوفي في ١٨ شعبان، من مؤلفاته: تيسير اليسرى بشرح المجتبى من السنن الكبرى للنسائي في مجلدات، الثقات بمعرفة طبقات رجال الأمهات، الأفاويق بتراجم البخاري والتعاليق، ونفح العود بذكر دولة الشريف حمود، وله شعر كثير) «معجم المؤلفين» ٥/١١٧.

(٢٢) الديباج الخسرواني، ورقة ١٠٤، ١٠٥، والكاتب في هذا النص يسهل الهمز ويحذفه أحياناً، ولا يفرق بين المقصور والممدود.

(٢٣) قال عنه كحالة: (عثمان بن عبدالله بن عثمان بن حمد بن بشر الناصري، التميمي النجدي الحنبلي [... ـ ١٢٨٨هـ] مؤرخ، مشارك في الفلك والحساب وغيرهما من رؤساء قبيلة بني زيد في بلدة شقرا من بلاد الوشم بنحد، ولد وتعلم في شقرا، وحج، وتوفي في بلد جلال عن نحو ثمانين عاماً، من تصانيفه: عنوان المجد في تاريخ نجد، بغية المحاسب في الحساب، الإرشاد بمعرفة منازل السبعة السيارة، فهرس طبقات الحنابلة لابن رجب، ومرشد الخصائص في الطفيليين والثقلاء. «معجم المؤلفين» ٦/٢٥٩.

(٢٤) «عنوان المجد» ١/٤٣٤.

(٢٥) محمود شكري الآلوسي، «تاريخ نجد» ٢٦.

(٢٦) أمين سعيد، «تاريخ الدولة السعودية» ١٢٩.

(٢٧) عبدالله بن خميس، «معجم اليمامة» ٤٢١.

(٢٨) (سُدَيْر بضم السين المهملة، وفتح الدال المهملة، وإسكان المثناة التحتية، وآخره راء: أقليم ذو قرى كثيرة فيها إمارات في منطقة إمارة الرياض): «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» للجاسر ١/٥٧٠.

(٢٩) قال عنه كحالة: (محمد بن عمر الفاخري [... ـ ١٢٧٦هـ] مؤرخ من أهل سدير بنجد، توفي بحرمة، له مختصر في تاريخ حوادث نجد، ووفيات رجالها على طريقة المذكرات إلى سنة وفاته. «معجم المؤلفين» ١١/٨٨.

(٣٠) كتابه السابق ١/٤٢٦، وانظر: «الأخبار النجدية» للفاخري نفسه، إذ يقول: (وكانت هذه السنة كثيرة الاضطراب والاختلاف، ونهب الأموال وسفك الدماء، وتقدم أناس، وتأخر غيرهم) ١٥٠، وهذا التاريخ ما يعرف بتاريخ الجُمّل، إذ تساوي قيمة حروف كلمة غربال العدد ١٢٣٣، وهو تاريخ سقوط الدرعية، وذلك وفق الآتي: غ = ١٠٠، ر = ٢٠٠، ب = ٢، أ = ١، ل = ٣٠، والمجموع = ١٢٣٣.

(٣١) قال عنه كحالة: (أحمد بن مشرّف الأحسائي [... ـ ١٢٨٥هـ] شاعر، توفي بالأحساء من آثاره: ديوان شعر» «معجم المؤلفين» ٢/٢٣، وقال الزركلي: أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهيبي التميمي: فقيه مالكي، كثير النظم، سلفي العقيدة، من أهل الأحساء بنجد، تعلم ودرّس وتوفي بها، وولي قضاءها مدة، له منظومات في التوحيد، والرد على المعطلة، ومدائح جمعت في مجلد باسم ديوان ابن مشرف ط، واختصار صحيح مسلم خ. بمكتبة الرياض العلمية «الأعلام» ١/١٨٢، انظر «الأدب الحديث في نجد»

لمحمد بن سعد بن حسين ٢٣٩، و: «الشعر في الجزيرة العربية» لعبدالله الحامد ١٦٣، و: « شعراء هجر » للحلو ٩٩

(٣٢) قال عنه الزركلي: عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن معمر (١٢٠٣ ـ ١٢٤٤هـ) من علماء نجد ، ولد في الدرعية، أيام ازدهارها، وأخذ عن علمائها، وصنف منحة القريب ط في الرد على كتاب لأحد القسوس البريطانيين. وفي أيامه كانت الحرب مع إبراهيم باشا بن محمد علي، وخربت الدرعية، وتفرق رحالها، فرحل ابن معمر إلى البحرين، وتوفي بها. «الأعلام» ١٧/٤ .

(٣٣) قال عنه كحالة: (عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، فقيه حنبلي، متكلم، من أهل نجد، وهو حفيد ابن عبدالوهاب صاحب الدعوة المعروفة باسمه، تفقه بنجد، ثم بمصر ، له من التصانيف، فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد، الإيمان والرد على أهل البدع، ومجموعة رسائل وفتاوى) «معجم المؤلفين» ١٣٥/٥ .

(٣٤) قال عنه كحالة: (عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب النجدي الحنبلي، فقيه، متكلم، أديب، من آل الشيخ في نجد، ولد ونشأ ببلدة الدرعية، وارتحل إلى مصر ، وتوفي بالرياض في ١٤ ذي القعدة، من مؤلفاته: منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس مصباح الظلام في الرد على ابن منصور ، دلائل الرسوخ في الرد على المنفوخ، وله شعر) «معجم المؤلفين» ١٠/٦ .

(٣٥) قال عنه كحالة: محمد بن أحمد بن عبدالقادر الحفظي العجيلي العسيري الرجالي: نحوي، مشارك في بعض العلوم، توفي بقرية رجال من عسير سنة ١٢٣٧هـ تقريباً له مؤلفات في النحو وغيره: «معجم المؤلفين» ٢٧٨/٨ ، وانظر : «الأعلام» ١٧/٦ ، و«نفحات من عسير» ٤٤، و«نيل الوطر» لزبارة.

(٣٦) قال عنه محمد بن عثمان بن صالح القاضي: (هو العالم الجليل والشيخ النبيل أحمد بن علي بن أحمد بن سليمان بن دعيج من آل كثير من بني لام القبيلة القحطانية ولد المترجم له في بلدة مرات من بلدان الوشم . . . سنة ١١٩٠هـ فنربى على يد أبيه تربية حسنة، وحفظ القرآن على مقرىء في بلده، وشرع في طلب العلم بهمة ونشاط فقرأ على علماء الوشم، ثم رحل إلى سدير فقرأ على علمائه. وكان نبيهاً قوي الحفظ سريع الفهم فنبغ في فنون عديدة، وله الباع الواسع في الأدب والتاريخ، ويقرض الشعر. . . قدم نظماً في الدرر الثمين عقيدة الموحدين في الأصول، ودرس وتخرج على يديه تلامذة، ولما قتل الشيخ إبراهيم بن حسن بن مشرف سنة ١٢٣٢هـ في المعركة الواقعة في الماوية بين الإمام عبدالله بن سعود، وإبراهيم باشا، عينه جماعة مرات قاضياً لهم، وأقره تركي، ثم فيصل على ولاية قضائها. وكان مسدداً محبوباً بينهم، مستقيم الديانة، واستمر قاضياً لها حتى توفي فيها سنة ١٢٦٨هـ رحمة الله عليه): «روضة الناظرين» ٦٦/١ .

(٣٧) انظر: «معجم اليمامة» لابن خميس ٤٢٢.

(٣٨) عبدالله الحامد، كتابه السابق ١٥١.

(٣٩) المصدر نفسه ١٦٤ .

(٤٠) كتابه السابق ٦٧/٢ .

(٤١) قال عنها البسام: (ومن تلك القصائد قصيدته التي سماها علماء نجد الطنانة) «علماء نجد» ٤٤٦/٢ .

(٤٢) كذا في: (عنوان المجد) وضاة، وفي كتاب: «الشعر في الجزيرة العربية»: (وضاء) ١٥١، وهو الصواب.

(٤٣) كذا ليستقيم الوزن.

(٤٤) عثمان بن بشر ، كتابه السابق ٦٧/٢ ، ٦٨ ، ٦٩ .

(٤٥) انظر: «روضة الناظرين» لابن عثمان، و: «علماء نجد» لابن بسام.

(٤٦) عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، «علماء نجد خلال ستة قرون» ٤٤٧/٢ .

(٤٧) يلاحظ تسهيل الهمزة وحذفها في هذه الأبيات.

(٤٨) و(٤٩) عبدالله بن عبدالرحمن البسام، كتابه السابق ٤٤٧/٢ .

(٥٠) المصدر نفسه ٤٤٧/٢ ، ٤٤٨ ، ويلاحظ أن الضرب في هذه القصيدة يأتي بين الصح ، والقبض، إذ تأتي الأبيات هكذا على التوالي: صحيح، مقبوض، صحيح، صحيح، مقبوض.

(٥١) مثل قوله:

أبـا حسن ذكـرتنـا العهـد والاخـا وعصراً مضى والشمل بالخير جامع

المصدر السابق ٤٤٧/٢ :

(٥٢) انظر: «روضة الناظرين» ٢٠١/١ .

(٥٣) عبدالله الحامد، كتابه السابق ٢١٠.

(٥٤) قال عنه محمد بن سعد بن حسين: وعبدالعزيز بن طوق ـ على ما يبدو ـ ليس بالضعيف، إلا أنه مقل، ولم أعثر له إلا على قصيدة واحدة. كتابه السابق ٢٣ .

(٥٥) عبدالله الحامد، كتابه السابق ٢١١ .

(٥٦) المصدر نفسه ١٥٤ .

(٥٧) و(٥٨) محمد بن إبراهيم الحفظي، «نفحات من عسير» ١٠٩ .

(٦٠) المصدر نفسه ٦٧/١ .

(٦١) المصدر نفسه ٦٧/١ ، وهذه الأبيات غير موزنة.

(٦٢) «الدرعية العاصمة الأولى» ٤٣٨ .

(٦٣) المصدر نفسه ٤٤٢ .

المصادر والمراجع :

اولاً المخطوطات

(١) عاكش، الحسن بن أحمد. «الديباج الخسرواني بذكر أعيان المخلاف السليماني»، مخطوطة، توجد لدى حجاب بن يحيى الحازمي، ضمد، بدون رقم.

ثانياً المطبوعات

(١) الآلوسي: محمود شكري. «تاريخ نجد»، ط ٢، مط السلفية، مصر (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م).

(٢) البسام، عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح. «علماء نجد خلال ستة قرون» ح٢، ط ١، مط النهضة الحديثة، مكة المكرمة (١٣٩٨هـ/١٩٧٧م)

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله. «عنوان المجد في تاريخ نجد» ح ١ و ٢، ط ٤، مط دار الهلال، الرياض مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ٢٧ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

(٤) الجاسر، حمد. «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ»، ط ١، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

(٥) الجاسر، حمد. «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ح ١، ط ١، مط نهضة مصر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

(٦) جمعة، إبراهيم. «الأطلس التاريخي للدولة السعودية» ط ١، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ١١ (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

آداب الضيافة وحقوقها وواجباتها
عند العرب

كُلُّ أُمَّة تُحَبِّذُ عادَاتها ، وتُشيد مَدْحًا بتقاليدها، وتقول عن نفسها: إنها أكرم للضيفِ من غَيْرها . وهذه القاعدة العامة لا يشذُّ عنها شعْبٌ، وتسري على العرب أيضًا فهم يَدَّعونَ أنهم أَقْربُ للسخاءِ من غيرهم . ولعلهم على حق

---

(٧) الحامد، عبدالله. «الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين ١١٥٠ ـ ١٣٥٠هـ»، ط ١ ، مط الإشعاع، الرياض (١٤٠٢هـ/١٩٨١م).

(٨) ابن حسين، محمد بن سعد. «الأدب الحديث في نجد»، ط ١ ، مط الفجالة الجديدة، بدون تاريخ.

(٩) الحفظي، محمد بن إبراهيم (جامع). «نفحات من عسير» ، ط ١ ، مط عسير، أبها، (١٣٩٣هـ/١٩٧٤م).

(١٠) الحلو، عبدالقادر محمد. «شعراء هجر»، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

(١١) ابن خميس، عبدالله. «الدرعية العاصمة الأولى»، ط ١ مط الفرزدق، الرياض (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

(١٢) ابن خميس، عبدالله. «معجم اليمامة»، ح ١ ، ط ١ ، مط الفرزدق، الرياض (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

(١٣) الزركلي، خيرالدين. «الأعلام»، ط ٦ ، دار العلم للملايين، بيروت (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

(١٤) زبارة، محمد بن محمد. «نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر»، ط ١ ، مط السلفية، مصر (١٣٥٠هـ/١٩٣١م).

(١٥) سعيد، أمين. «تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود إلى عبدالرحمن الفيصل ١١٥٨ ـ ١٣٠٧هـ، وعهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل» مط دار الهلال، الرياض، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز ٩ ، بدون تاريخ.

(١٦) ابن صالح، محمد بن عثمان. «روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ، وحوادث السنين»، ط ١ ، مط الحلبي، مصر (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

(١٧) عبدالرحمن، عبدالرحيم. «محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤ ـ ١٢٥٦هـ» ، ج ٢ ، مط ١ ، نشر دار الكتاب الجامعي، مصر (١٤٠٢هـ/١٩٨١م).

(١٨) العجلاني، منير. «عهد عبدالله بن سعود، ونهاية الدولة السعودية الأولى، فترة الصياع، بدون معلومات النشر .

(١٩) الغنام، سليمان. «قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (١٨١١ ـ ١٨٤٠) في الجزيرة العربية، والسودان، واليونان، وسوريا»، ط ١ ، مط دار البلاد ، جدة (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)

(٢٠) الفاخري، محمد بن عمر «الأخبار النجدية»، تحقيق عبدالله الشلي، مط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، منشورات الجامعة نفسها، بدون تاريخ.

(٢١) كحالة، عمر رضا . «معجم المؤلفين»، دار احياء التراث العربي، لبنان، بدون تاريخ.

(٢٢) ابن هشام، «السيرة النبوية» ح ١، مط مصطفى البابي الحلبي، مصر، (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)

وكتبه

د. عبدالله بن محمد أبو داهش

أبها ـ كلية اللغة العربية

بادِّعائهم هذا. ونحْنُ ، باعتبار البحث العلمي الصرف، نُمِيلُ إلى التَّسليم بهذا القول، ليس لأنهم أندى كفّا وأحسنُ استقبالاً ، وأكثر قِرًى من غيرهم ، فالضيافة تكون على حسب منزلة المضيف وسعة رزقه، وكرم نفسه، ولكن لأنَّ الضيافةَ العربية ينتج عنها حقوقٌ للضيف لا مثيل لها عند غيرهم من الأمم. ونرى أنَّ للضيافة سِمَتَيْنْ : الأولى منهما عامة نَجدها عند كلِ الشعوب، وقِوامُها حسنُ استقبال الضّيف وفقاً لعادات كل أمة وتقاليدها[1] والأخرى يمتاز بها العرب أكثر من غيرهم من البشر ، إذْ تخلق علاقاتٍ خاصة بين الضيف والمضيف، غير العشرة والمودة، ونلمس ذالك خاصة عند سكان البادية، إذْ يَتَمَتَّع الضيف عندهم بحقوق فريدة لا يقرها عادة الشرع الحضري . والواقع أنَّنا إذا أردنا أنْ نَفْهم تمامًا معنى الضيافة العربية علينا أنْ نعود إلى الأعراف القبلية، سواء عند العرب القدماء ، في الجاهلية وصدر الإسلام، أو عند أهل المدر اليوم ، فنعلم على ضَوْءها كيف تتبدّل نوعية الضيافة، فمنْ دعوة إلى طعام ، يكثر أو يَقِلُّ على حسب إمكانات رب البيت، تصبح نظاماً اجتماعياً قائماً بنفْسه، يفرض على المضيف واجباتٍ نحْوَ ضيفه غير حسن الاستقبال والقرى، إذْ يغدو الغريب من جَرَّائِها وجهاً أعلَى شأناً من وجوه القبيلة التي تؤويه ، يجِب على كل فرد من أفرادها أنْ يحميه من كل غائلة.

ولا جَرَمٍ أنَّنا نَجِد عند غيرهم من الشعوب طرفاً من الحقوق التي يتمتع بها الضيف في المجتمع البدوي. ويعلمنا المؤرخ الفرنسي (فوسنتل دي كولانج) أن الطعام الذي يُعَدّ على هيكل من هياكل العبادة في المدينة الإغريقية القديمة يخلق أوَاصِرَ لا انفصام لها بين الذين يتناولون هذا الطعام ، وإذا شاركهم فيه طارق غريب عن البلد فإنهُ يصبح كواحد من أفراد المجتمع الديني. إلاَّ أنَّ الضيافة العربية التقليدية تختلف عن الضيافة الإغريقية القديمة بكونها أعمّ باعتبار مبدئها وأكثر شمولاً باعتبار نتائجها ، حتى أنَّ الطارق الغريب إذا تناول فقط جرعةً من الماء أو فِنْجاناً من القهوة يصبح ضيفاً بتمام معنى الكلمة، له حقوق الضيف الذي ذُبِحَتْ له الذبائح وأكل أفخم الأطعمة.

ولكن قبل أن نتناول بالبحث الضيافة من حيث ما ينتج عنها من حقوق، وفقاً

للعرف البدوي، علينا أنْ نصف أوَّلاً آدابها لنعلم كيف يستقبل العرب الضيف لأن حُسْنَ الاستقبال من القرى. ونذكر بهذه المناسبة أنَّ الرحالة الفرنسي (تاميزيه)[٢] عندما زار جدّة سنة ١٨٣٤ ، دخل بيت أحد الأثرياء، فأخذه العجب من الإكرام والاعتناء والحفاوة التي حظي بها، مع أنه كان شابًّا لم يتجاوز العقد الثاني من عمره ، فعَبَّر عن مشاعره بكل حماسة فقال: (إن هذا الشعب ـ وَرَبِّي ـ يحسن استقبال الضيف أكثر مِنَّا ، لأننا إذا زارنا طارق نقدم له كُرْسِيًّا أو مقعدًا ونظن أننا قمنا نَحْوه بكل ما يفرضه الأدب، والواقع أن العلاقات عندنا بين صاحب البيت والزائر فكرية مَحْضة، تَظَلُّ محصورة في نطاق الحديث، ويقوم اللّسان بكل واجبات الاستقبال، وذلك لأننا نجْهل قيمة الضيافة الماديَّة، وإذا قدَّم لنا صاحب البيت شيئاً نظن أن من حسن السلوك أنْ نرفض ما يقدمه لنا المضيف. أما في الشرق فإن رب المنزل يرى في الرفض إساءة له وإهانة).

ومع أن الزيارة التي قام بها (تاميزيه) كانت عاديةً لم يُقَدَّمْ له خلالها سوى القهوة والنَّرجيلة أو المداعة، ومع ذالك فإنها أبْقَتْ فِيْه أثراً خالداً لما صحبها من لطف ولباقة وحفاوة لا عهد له بها ، لأن من واجبات الضيافة العربية أن يُحْتَفَى بالضيف ويُقدَّم له القهوة والحلوى وغير ذالك ، على حسب مستوى رب البيت وأسلوب معيشته، لأن استقبال الحضري يختلف عن استقبال ساكن البادية. ويُعْلِمُنَا الرحالة (نيبور)[٣] الذي تجول في جنوبي الجزيرة العربية سنة ١٧٦٢ ، أنَّ من عادة أهل اليمن، إذا ما زارهم غريب، أن يقدموا له تَبْغاً وحلوى وفنجاناً من قهوة القشر ، وأن من عادةبعض القرى في تهامة اليمن، أن تستقبل المسافرين، وتضيفهم خلال عدة أيام، وتقدم لهم أَسِرَّة للنوم داخل كوخ كبير وقهوة وخبزاً وحليباً وسمناً ، ولا يؤخذ من المسافرين أي ثمن على هذه الضيافة. ويذكر (نيبور) أن دور الضيافة هذه لا تخلو من الزوار ، إلا أن عددهم قد يزداد كثيراً لو فُتِحَتْ أمثال هذه البيوت في أوروبا ، على ما يقول (نيبور).

ومن أَوْلَى قواعد الضيافة العربية أن تكون لوجه الله ، ولو طالتْ عدة أيام ، لا يُرجَى منها إلا حسن السمعة، بل إنَّ صاحب البيت يرى من سوء أدب الضيف أن يقدم له مكافأة أو ثمناً على ضيافته، إلَّا أنَّ هذه الأريحيّة ليست أهـمَّ

ما في الضيافة العربية، إذْ يفوقها أَهَمِّيَّةً ما ينتج عنها من حقوق وواجبات، لأنَّ الضيافة عند العرب تخضع لتقاليد على رب البيت والضيف أن يعملا بها، ونلمسُ ذالك خاصة عند أهل الوبر، إذ جعلوا من الضيافة نظاماً خاصاً وسَنّوْا لها قواعد لا تتم إلا بها، على حسب العرف القبلي.

لقد أَطْرَى الشعراءُ مدْحاً رَبَّ البيت الذي يُسرع ليغنم الضيف قبل غيره، ويحسن استقباله وقراه. والحفاوة التي يبديها المضيف للضيف هي بنظرهم أجَلُّ من كثرة الطعام واللحم والشحم. ومن أول آداب الضيافة إيقاد النيران طول الليل، ليراها المسافر من بعيد، فيعلم أن في البادية الظلماء من ينتظره ويَتَمَنَّى حضوره. ومن عادات كرماء العرب ألَّا يكتفوا بإيقاد النار خارج البيوت، بل يشعلونها أيضاً على المرتفعات لتنير الصحراء كالمنارة في بحر من الرمال. وفي هذا المعنى تقول الخنساء في أخيها صخر:

كأنهُ عَلَمٌ في رَأسِه نارُ.

وعلى عكس ذالك نرى الشاعر يهجو بشدةٍ صاحب البيت الذي يواري نَارَهُ، لكي لا يراها من يبحث عن مأوى، أو يطفؤها عمداً خشية من نزول الضيف. إلَّا أن النار قد يخْبو ضوءُها إذ يغفل الخادم عن إمدادها بالحطب الجزل، فينوب عنها عندئذ نباح الكلاب، فيهتدي المستنبح بعوائها إلى البيوت، ولذا فإن الكريم يمدح الكلب الذي:

يَدُلُّ ضيفي عَلَيَّ في غَسَقِ اللَّيْـ ـل إذَا مَا النَّارُ نَـامَ مُوْقِـدُهَا

ويوصي به خيراً لاسيما إذا كان يحسن هو أيضاً استقبال الطارق الغريب:

يكادُ إذا ما أَبْصَرَ الضَّيْفُ مُقْبِلاً يُكلِّمُـهُ مِنْ حُبِّـهِ وَهْـوَ أَعْجَمُ

بل إن مِن الكلاب التي تتوقف عن النباح وقت وصول الضيف لكثرة الوافدين وفي هذا المعنى يقول حسان بن ثابت الأنصاري:

يُغْشَـوْنَ حَتَّى مَـا تَهَـرُّ كِـلاَبُهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الـمُقْبِلِ

ومن البديهي أنَّ حسن استقبال الضيف وإكرام مثواه من مزايا المضيف، وعليه ـ إذا ما سمع نباح الكلاب ـ أن يعمل بقول الشاعر:

فَقُمْتُ إِلَيْـهِ مُسْرِعـاً فَغَنِـمْتُـهُ مَخَافَةَ قَوْمِـي أنْ يَفُوْزُوا بِهِ قَبْلُ

ويعلمنا الرحالة السوري فتح الله الصايغ ـ أثناء تجوله في بادية الشام مع (لاسكاريس) عامل نابوليون ـ أن أهل قرية السخنة، شرقي حلب (كانوا يتقاتلون علينا حتى يضيفونا عندهم، كل واحد بدوره)[٤]. ومن عادة بدو الأردن، كما خبرْتُ ذَالك أثناء إقامتي بينهم، أن يتحاكموا إلى واحد منهم يسمونه قاضي الطبيخ، ليفصل الخلافَ الناتج عن تنازعهم على الضيافة، فيحكم أنها من حق فلان لأنه غنم الزائر قبل الجميع، أو لأنه على صلةٍ وثيقة به، أو لأنه رَحَّبَ به أكثر من غيره.

ومن آداب الضيافة ألاَّ يُسْأل الضيف عن اسمه، أو عن أسباب سفره، أو عن مدة زيارته:

فَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً ومَرْحبـاً رَشِـدْتَّ وَلَمْ أقْعُدْ إِلَيْـهِ أُسَـائِلُهْ

وإذا سأله صاحب البيت عن شيءٍ فيجب أن تبقى أسئلته محصورةً في نطاق رفاهية الضيف وراحته. وعليه أن يعجل بالطعام، فقد يكون الزائر جائعاً. ومن آداب الضيافة أيضاً أن يقوم صاحب البيت بِخِدْمَةِ ضيفه ويؤانسه، ويختار له أحسن ما في الصحن، وأن لا يشاركه في الطعام[٥]. وإذا كان الزائر عزيزاً فإن المضيف يذبح له رأساً من الغنم أو جملاً إذا كان عظيم الشأن.

وهم يفتخرون بكبر القدور التي يُعَدُّ فيها طعام الضيف، حتى أنَّ أحد الشعراء شبهها بقباب الترك ملبسة الجلال. ومن حرصهم على إكرام الضيف أَجاز العرف القبلي الأردني (الْعِداية) فيحق للمضيف أن يَعْدُوَ على غنم جاره، عند الحاجة، ويأخذ منها خروفاً لإطعام ضيفه، على أن يعلم صاحب الغنم أنه لم يأتِ غارياً بل مستقرضاً، وعليه أن يرد هذا الدين في أقرب فرصة ممكنة، فلا يسع الراعي أو المالك، والحالة هذه، أن يرد طلبه.

ومع حرص أهل الوبر على توفير اللحم للضيف، فإنهم لا يرضون بذبح ديك أو دجاجة، كما هي العادة عند القرويين، بل يعدُّون ذالك إهانة للزائر، ويفضّلون، إذا لم يتوفر لهم اللحم، تقديم الخبز والتمر والسمن على ذبح طير داجن، لأن من شرط ذبيحة الضيف إهراق الدم لكي يضع رب البيت وسمه على مطية المسافر، فيعلم الناس متى غادر الحي أنه حل ضيفاً على العشيرة الفلانية.

ولكن ليس من شروط حسن الضيافة الإكثار من اللحم والطعام، وإن كانت سعة القرى من دلائل الكرم، إنما على صاحب البيت ألّا يحبس ماله ويقدّم أحسن ما عنده ويجود على الرغم من قلة ماله. ويحدثنا فتح الله الصايغ عن امرأة عجوز دخل بيتها مع صاحبه (لاسكاريس) فذبحت لهما خروفاً لم يكن عندها غيره من المواشي. فقال لها الصايغ: (لماذا هذه الخسارة يا أماه؟) فكان جوابها عظة للسامعين: (من زار حيًّا ولم يضفه فكأنه زار ميتاً).

ومن كثرة حرص بعضهم على إكرام الضيف أَتَت الضيافةُ على أموالهم. وهذا شيء مشهور عند العرب القدماء. ويتحدث الرحالة (ولفيد ثيسيغر) في كتابه «رمال العرب»[٦] عن رجل عجوز تبدو عليه (إمارات الفقر حتى بالنسبة للبدو، كان كرمه الماضي سبب خراب بيته، إذ كان لا يأتي أحد إلى خيامه إلا ذبح له جملاً ليطعمه) - ص ٧٣ -.

ويكلمنا الصايغ أيضاً عن زيارته لِلدُّرَيعي بن شَعْلان أمير قبيلة الرُّوَلَةِ، فأحسن استقباله، وقدّم له حال وصوله ما تيسر من الطعام، ولم يسأله عن اسمه، إنما قال له بعد الغداء: (أيها الشاب من أين إلى أين؟) فأجابه: (من حلب إلى عند الأمير طالباً مساعدته). فقال الدُّرَيْعي: (إن حاجتك مقضية بإذن الله، ولكن العادة عندنا ألّا يتحدث الضيف عن أسباب زيارته إلا بعد أن يقضي عندنا ثلاثة أيام). ومن البديهي أن الطارق قد يرغب في السفر قبل انتهاء أيام الضيافة، وعليه أن يستأذن بالرحيل. ولكن على صاحب البيت ألَّا يكلمه عن أسباب زيارته لكي لا يتبادر إلى ذهن الغريب أنه يتمنى ذهابه. وعلى المضيف أيضاً أنْ يؤانسه ويحدثه (لأن الحديث من القرى) ويسامره إلى أن يرغب في النوم، ويكرمه حتى يترك الحيَّ حامِداً شاكراً.

لقد وصف الشعراء آداب المضيف وصفات الضيافة ولكنهم أهملوا آداب الضيف ولم يعيروها اهتمامهم، مع أنَّ شريعة الصحراء تفرض عليه واجبات أثناء زيارته وقد بسطناها في كتابنا «الحقوق في المجتمع البدوي» (بالفرنسية، باريس، ١٩٧١م). يقول العرف البدوي: إن الضيف أَمِيرٌ وأَسِيْرٌ وشاعر. إنه بادِيَّ بَدْءٍ أَمِيْرٌ لأنَّ من واجب الحيِّ أن يكرم وفادته. ولكن لقاء هذا الإكرام على الزائر أن يكون متواضعاً يرضى شاكراً بما يُقَدَّمُ له. ونُلاحظ أنَّ فعل (أضاف) تعني الضيافة ولكن أيضاً الإضافة والزيادة. وكأني بالغريب الذي يحل ضيفاً يصبح من رجال صاحب البيت وصنائعه. والواقع أنه كالأسير يعمل بما يقول له مضيفه. وعليه أن يقنع بما يقدم له ولا يرفض الطعام وإن كرهته نفسه لأن الضيف الذي يأبى الطعام أو الشراب يكون(*) أو صاحب حاجة يريد أولاً قضاءها أو عدواً لا يريد أن يتحرم بطعام مضيفه. وفي هذا المعنى يقول القرآن الكريم في حديثه عن رسل إبراهيم: ﴿ فَلَمَّا رَآى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِل إليه ﴾ [إلى العجل الحنيذ] ﴿ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيْفَةً ﴾ (سورة هود). وعلى الضيف أنْ يحترم الحيَّ الذي نزل فيه، ويغضّ طرفه عن النساء، ولا يعمل أي منكر. ومتى غادر العشيرة التي أوته عليه أن يتحدث بكرم صاحب البيت، وبحسن استقباله فيصبح شاعراً بعد أن كان أميراً وأَسِيراً.

أما الضيفُ الذي يُخِلُّ بآداب الضيافة ويقترفُ إثْماً مثل السرقة أو الكذب أو النهش بأَعراض الناس أو التحرش بالنساء، فإنه يُعَدّ خَسِيْساً قليل المروءة والشرف، لأنه خرق حرمة البيت الذي أضافه. وإذا كانت جريرته من الكبائر أي من الأعمال القبيحة التي يسميها أهل اليمن (العيوب السوداء) فالعادة في الأردن أن يتناول ربُّ البيت الصحن الذي أكل فيه الضيف ويخرقه، ويرسل به إلى شيخ عشيرة مرتكب الإثم، فيعلم الناس أنه خرق حرمة الخبز والملح فيُشَهَّرَ ويُنْظر إليه باحتقار، وتُرْفض شهادته ولا يرضى به أحد جليساً أوْ أكيلاً.

وبعد أن بسطنا آداب الضيافة عند العرب نعود إلى ما قلناه في مطلع هذا البحث عن الواجبات التي تفرضها الضيافة على صاحب البيت. يقول المثل البدوي: إن للضيف أربعة وأربعين حقًّا أولها إكرام وفادته. ومتى ما حلَّ ضَيْفاً

على قوم فإنه يصبح وجهاً، بعد أن كان طارقاً غريباً، على العشيرة بأسْرِها أَنْ تَحْمِيَهُ. والسبب في ذالك أن المحيط الصحراوي حيث تَسود الفوضى غالباً ويَخْتَلُّ الأمن قد خلق عدداً من الأنظمة، من أهمها الضيافة والجوار، تجعل الضعيف في مأْمَنٍ من بطش القويِّ. وإذا ما تحرَّم الضيف بطعام مضيفه أو شرابه غدَا في حِمَاه، وعلى صاحب البيت عندئذٍ أن يَرُدَّ عنه كلَّ اعتداء، ويحميه من كل ضَيْـمٍ مَا دام في محارم بيته أي داخل أطنابه، بل عليه أيضاً أن يضمن ضيفه من كل غائلة بعد سفره أيضاً، وهذا ما يسميه العرف البدوي حق الخبز والملح، يظل مرعياً يُعْمَلُ به مدة ثلاثة أيام، يستطيع الغريب خلالها أن يتَجوَّل في الأراضي التي تسيطر عليها القبيلة التي أضافته أو في أراضي حلفائها إلى أن يصل إلى أهله أو يحل ضيفاً على بيت آخر.

والواقع أن حرمة الطعام معروفة إلى يومنا هذا، وكان يعمل بها عند العرب القدماء. ويعلمنا أبو الفرج الاصفهاني، صاحب كتاب «الأغاني» أن الخليفة عبدالملك كان أهدر دم الشاعر عبدالله بن الحجاج، لأنه كان ممن خرج عليه. ثم جاءه متنكراً واحتَال حتى دخل عليه وهو يطعم النَّاس. فبعد أن أذنَ الخليفةُ بالطعام رآه لا يأكل فقال له: ما لك ياهذا لا تأكل؟ فقال: لا أسْتَحِلُّ أن آكُلَ حتى تأذن لي. قال: إني أذنْتُ للناس جميعاً. قال: لم أعلم فآكل بأمرك. قال: كُلْ. فأكل. ثم أنشده قصيدة وعرّفه بنفسه وقال: قد وطئتُ دارك وأكلت طعامك وأنشدتك فإن قتلتني بعد ذالك فأنت وماتراه. فأمضى له الأمان[٧]. ويعلمنا التاريخ أيضاً أن صلاح الدين الأيوبي لما ظفر بعدوه من الافرنج صاحب حصن الكرك لم يأذن له بشرب الماء كما أذن لبقية الأسرى من الصليبيين، لأنه إذا شرب تحت خيمته يصبح ضَيْفَهُ فلا يستطيع عندئذ أن يوقع به.

وعلى الجملة إن للضيف عند العرب عدة حقوق من أهمها (حق البيت) الذي يحميه من كل اعتداء و(حق الضيف) الذي يصون عرضه وماله و(حق الخبز والملح) الذي يجعله آمِناً بعد مغادرته البيت. وإذا اعتدى عليه أحدٌ وهو في الأراضي التي تخضع لحكم القبيلة التي أضافته فعلى صاحب البيت أو شيخ القبيلة أن يلاحق المعتدي ويسترد منه أموال الضيف، اللهم إلا إذا كان من الأعداء أو

اللصوص، فليس له عليه من سبيل. أما الضيف فمتى استرجع أمواله المنهوبة، عليه أن يُبَيِّضَ وجه المضيف، وذالك بأن يذهب إلى ثلاثة بيوت من العرب حاملاً راية بيضاء وينادي فيها: (بيّض الله وجه فلان فقد ردّ مالي وحفظ حقي).

إن الحديث عن الضيافة العربية شَيِّقٌ جذَّابٌ، إلا أن هذه الضيافة التقليدية يكاد لا يعمل بها اليوم. ولا شك أن ساكن المدن أو القرى إذا ما استقبل الضيف يقدم له الأطعمة والأشربة ويوفر له أسباب الراحة، لكنه لا يستطيع أن يتولى حمايته لأن على السلطة الحاكمة أن تحفظ أفراد الرعية والغرباء من كل اعتداء. أما في البادية، فإن حكم مشايخ القبائل آخذ بالزوال أيضاً. فالقوات الآلية قد غلبت الصحراء ودوَّختها، ودانت البادية لحكم السلطة الشرعية، وهيهات أَنْ يَجْرُؤَ أَحَدٌ على الخروج على السلطان مدعياً بأن (قومه من تميم، وأن الفلاة وراءه تَحْميه) لأن يد الحاكم طويلة تنال المخالف ولو اعتصم بالدَّهْنَاء، أو بصحراء الربع الخالي. وأذكرُ أني كنت أسأل أحَدَ قضاة البادية، في حضرموت سنة ١٩٨١م عن مهام وظيفته وتطبيق أحكامها، فقال لي: (إنَّ القضاء القبلي قد ذهبتْ أيامه وأصبح أثراً بعد عين، ولو أردتُّ اليوم أن أعمل بشريعة الصحراء لَزَجَّني الحكام بالسجن).

إن الضيافة العربية التقليدية قد خلقتها الصحراءُ وسَنّتْ شرائعها لتجعل المسافر آمِناً من العطش والجوع، وسطوة القويّ على الضعيف. وقد أَخَذَت اليوم بالزوال، إذ حلَّتْ السيارة والطائرة محل الناقة والهجين. وأصبح الطارق الغريب في حفظ الله ثم السلطان يجد في الفنادق منازل يستعيض بها عن بيوت الشعر. ولكن هيهات أن يجد بديلاً عن بشاشة وجه المضيف وحديثه ومؤانسته، فلا يسأله عن اسمه وجواز سفره ومدة إقامته، إنما يرحب به ويكرمه ويحسن مثواه، ويعمل بقول عروة بن الورد العبسي:

سَلِي الطَّارِقَ الْمُعْتَرَّ يَا أُمَّ مَالِكٍ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ قِدْرِيْ وَمَجْزَرِي
أَيُسْفِرُ وَجْهِي إِنَّهُ أَوَّلُ الْقِرَى وَأَبْذِلُ مَعْرُوْفِي لَهُ دُوْنَ مُنْكَرِي

ولئنْ دَخَلَتْ شرائع الضيافة العربية التقليدية في خبايا النسيان، فإن العربي لازال يحتفظ بآدابها ويعمل بها ويكرم الضيف. وهي بنظره بمثابة بياض الوجه ونقاء العرض، لم تنلْ منها الأوضاع الاجتماعية الجديدة.

باريس د. يوسف شُلْحُد

الهوامش:

(١) من عادة بعض القبائل اليمنية في مأرب إذا أرادتْ أن تستقبل الضيوف الوافدين عليها أحسن ستقبال أن تطلق الرصاص ابتهاجاً ليس في الفضاء ولكن فوق رؤوس الضيوف.

(٢) صحب (موريس تاميزيه) الحملة المصرية التركية على بلاد عسير سنة ١٨٣٤، مع البعثة الطبية الأ, وية. وقد أتينا على وصف هذه الرحلة في مجلة العرب (ج ٧، ٨ ص ٤٥٠ ـ ٤٦٢، وج ٩، ١٠، ص ٦٥٥ ـ ٦٧٤، س ٢٤، الرياض ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م).

(٣) طالت رحلة (نيبور) إلى الشرق أكثر من ست سنوات ووصف مشاهداته في كتابين ضخمين، كل واحد منهما في جزءين، عنوان الأول منهما: «رحلة الجزيرة العربية وما حولها من البلدان» والثاني: «صفة الجزيرة العربية». ومن المؤسف أنهما إلى اليوم لم يترجما إلى اللغة العربية على غزارة مادتهما. ولقد قام صد قنا الأستاذ محمد الرعْدي بترجمة كتاب عنوانه «من كوبنهاج إلى صنعاء» جاء فيه وصف للمشقات التي عان ها (نيبور) وأصحابه إذ توفي جميعهم في السنة الأولى من الرحلة. أما (نيبور) فإنه تابع سفره في الشرق حتى سنة ١٧٧٦ وقام بعمل جبّار يُعَدُّ من الذخائر العلمية. وقد تُرْجم إلى عدد من اللغات منها الفرنسية والانجليزية. وحبذا لو ساعدت السلطات السعودية على ترجمة هذا الذخر إلى العربية.

(٤) أتينا على وصف رحلة فتح الله الصايغ الحلبي في مجلة «العرب» (ج ١١، ١٢ ص ٧٧٥ ـ ٧٩٨، الرياض، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، وأيضاً ج ١، ٢ سنة ٢٤، الرياض ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م). وقد أعدد ا مدكرات الصايغ للطبع وستنشر عما قريب باللغة الفرنسية إن شاء الله ، أما الطبعة العربية فقد أصدرتها مؤخراً دار طلاس، دمشق، سنة ١٩٩١م.

(٥) يذكر (تاميزيه) أن البعثة الطبية الأروبية كانت في ضيافة أحد تجار الاسكندرية. فقام رب البيت باستقبالها والترحيب بها وخِدْمتها، ولكنه لم يشاركها في الطعام، فَتَسَاءل (تاميزيه) عن أسباب ذالك، أهو عصب من المضيف أو تواضع ؟ جاهلاً أن من آداب الضيافة العربية أن يظل رب البيت في خدمة ضيوفه لا يلهيه عنهم شيء.

(٦) جاء في مجلة «الحرس الوطني» عرض لهذا الكتاب القيم (السنة العاشرة، عدد ٨٥ ، ربيع الأول ١٤١٠هـ ص ١٢٤ ـ ١٢٩). وختم الناقد بحثه قائلاً: (إنَّ الكتاب جدير أن يترجم إلى لغتنا العربية)، والواقع أنه عُرّب منذ نحو ثلاثين سنة بقلم نجدة هاجر وإبراهيم عبدالستار وطُبِعَ في بيروت سنة ١٩٦١م، من منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر.

(*) العرب: يظهر أن قلم الكاتب الكريم زَلَّ عن كلماتٍ بها ترتبط العبارة.

(٧) أبو الفرج الأصفهاني، كتاب «الأغاني» ج ١٢، أخبار الشاعر عبدالله بن الحجاج، ص ٤٨ وما بعدها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٦م.

أضواء على عادات عربية قديمة

عرضنا في مقال سابق(*) لبعض العادات العربية القديمة في محاولة للكشف عن بعض ما يكتنفها من غموض. ونعرض فيما يلي لبعض عادات أخرى بغية إلقاء مزيد من الضوء عليها، من خلال المعلومات المتاحة عن القبائل المعاصرة، عربيةً كانت أم غير عربية.

أولاً ــ حداد الأرملة: جاء في «صحيح مسلم» ـ ج ١٠/ ١١٤ ـ أن المرأة كانت إذا تُوفي عنها زوجها دَخَلت حِفْشاً ولبست شرَّ ثيابها، ولم تَمَسَّ طيباً ولا شيئاً حتى تَمُرَّ بها سنة. ثم تُؤْتَى بدابة حمار أو شاةٍ أو طيرٍ فتفتضَّ به، فقلما تفتضُّ بشيء إلا مات، ثم تخرج فتُعْطى بَعْرة فَتَرْمِي بها، ثم تُراجع ما أَحَبَّتْ من طيب أو غيره)[١].

وقال ابن قتيبة في «غريب الحديث» ـ ج ٢/ ٤٩٦ ـ: أنه سأل أحد الحجازيين عن ذلك الافتضاض كيف هو؟ فذكر أن المعتَدة كانت لا تَغْتَسل ولا تَمسّ ماءا ولا تُقَلِّم ظُفْرًا ولا تَسْتَاك ولا تَنْتِف من وجهها شعرًا، ثم تخرج بعد الحوْل بأقبح منظر، ثم تفْتَضّ بطائرٍ تمْسح بِهِ قبلها وتَنْبِذُه، فلا يكاد يعيش)[٢].

فالأرملة إذنْ كانت ملزمةً بالحياة في عزلة بعيدةً، عن كل مظاهر التزيّن والتجمل لمدة عام كامل قبل السماح لها باستئناف حياتها العادية، والدخول في رابطة زوجية جديدة. ويثور التساؤل هنا عن السبب في إلزام الأرملة الانتظار مدة سنة كاملة.

قد يقال: إن السبب في ذالك هو الرغبة في التّأكد من خلوِّ رحم الأرملة من الولد، تجنباً لاختلاط الأنساب. لكن يُرَدُّ على هذا القول أولاً بأن العرب قبل الإسلام لم يكونوا ـ في معظمهم ـ يَعْتَدُّوْنَ كثيراً بالأبويَّة الصُّلْبية أو (البيولوجية) بدليل ممارستهم عادة الاستبضاع، وجهلهم عدة الطلاق. ثم إن التأكد من خلو رحم الأرملة ليس في حاجة إلى كل هذه المدة الطويلة.

وقد يقال: إن إلزام الأرملة بالانتظار هذه الفترة الطويلة هو نوع من التعبير عن حُزنها على زوجها الميت وهو من قبيل الوفاء بحق الزوج. لكن يُرد على ذالك بأن المرأة تُعَدُّ ـ في ظل القيم القبلية ـ أوثق صلة بأقاربها الأقربين منْها بزوجها. ولما كان الحداد في المجتمعات القبلية يُعد تعبيرًا عن مدى حزن الأقارب على قريبهم الميت، فإن مدته تتفاوت طولاً وقصراً، تبعاً لقرب القرابة أو بعدها. ولم يرد من الأخبار ما يفيد أن العرب كانوا يفرضون هذا النوع من الحداد على المرأة، حتى في حالة موت أقرب أقاربها.

فلا بُدَّ إذن من سبب آخر للحِداد الذي كان مفروضاً على الأرملة قبل الإسلام، فما هو السبب يا ترى؟

في تصَوُّرنا أن هذا السبب يَكْمُنُ في اعتقاد العرب إذ ذاك، شأنهم في هذا شأن غيرهم من المجتمعات القبلية، أنَّ للموتِ نَجاسة مؤذية، وأن هذه النجاسة تنتقل إلى كل من لامس جسد الميت. ولما كان زوج الميت أشد الناس اتّصالاً به وأقربهم ملامسة له، فهي أكثرهم نصيباً من نجاسة الموت وأشدهم خطراً على الأحياء. ولهذا فرضوا عليها الحياة في عُزْلة، واقْتَضَوْا أن تستَمِرَّ عزلتُها مدة سنة كاملة اعتقاداً منهم بأنه بعد مضي هذه السنة تكون النجاسة قد ضَعُفَتْ، ومن ثَـمَّ لا تعود الأرملة تشكل مصدر خطر لمن يتَّصِل بها عن قرب أو لمن يعاشرها.

ومن الشواهد على أن العرب كانوا ـ قبل الإسلام ـ يعتقدون نَجَاسة الموت نَجاسةً مؤذية ما رُوِيَ من أن أبناء قبيلة (الرولة) المعاصرة كانوا يحرصون حرصاً بالغاً على عدم لمس جثة الميت، وكانوا يستأجرون بعض الفلَّاحين للقيام بِدفن الجثة[٣]. فمن الواضح أن هذا الاعتقاد ليس أمْرًا مُسْتَحْدَثًا، ولابد أن جذوره تَمْتَدُّ إلى ما قبل الإسلام.

وهناك من الشواهد ما يدل على أن العرب كانوا يَعُدُّون الأرملة خَطرًا على كل من يتصل بها عن قرب قبل أن تنقضي مدة السنة التي كان يفترض أنها كافية لاستبعاد هذا الخطر. ونسوق فيما يلي هذه الشواهد:

١ ــ جاء في «صحيح مسلم» في نهاية الخبر الخاصّ بحِداد الأرملة: (أن المرأة كانت تُؤْتَى ـ بعد انقضاء مدة السنة ـ بِدابَّةٍ، حمار أو شاة أو طير، فَتفتَضّ به، فقلما تفتض بشيء إلا مات). كذالك جاء في خبر ابن قُتَيْبة عن أحد الحجازيين (أن المرأة كانت بعد الحول تخرج بأقبح منْظر، ثم تفتض بطائر تمسح به قُبُلَها وتنبذه، فلا يكاد يعيش).

فما السبب في موت الطائر أو الحيوان الذي تفتض به ـ تمسح به جلدها أو قُبُلها ـ الأرملة بعد انقضاء مدة السنة؟

ليس من تفسير لموت الطائر أو الحيوان، في تصورنا، سوى اعتقاد العرب أن هذا الطائر أو الحيوان تنتقل إليه ـ بِمُلامسته جلدَ الأرملة ـ البقية الباقية فيها من نجاسة الموت القاتلة. وإذا كان لمس جلد الأرملة يُفْضي إلى موت الطائر أو الحيوان حتى بعد انقضاء الحول، فما بالنا بمعاشرة رجل أرملةً قبل انقضاء هذه المدة؟ لاشك أن مثل هذا الرجل كان ـ في اعتقاد العرب إذ ذاك ـ يعرض نفسه لموت مؤكد ووشيك.

٢ ــ لازال العرف، لدى بعض القبائل العربية المعاصرة، يحمل أثراً لهذا المعتقد العربي القديم يَتَمَثَّلُ في اعتبار الأرملة مصدر خطر لزوجها وغيره حتى بعد انقضاء عدتها الإسلامية وزواجها. يصف بوركاردت (١٨٣١م) ما كانت تجري به عادة بعض قبائل سيناء. في هذا الخصوص بقوله: (إن الأعراب ينظرون إلى كل ما يتعلق بزواج الأرملة نظرة تشاؤم، ويعتبرون أنه من غير اللائق لكرام الرجال وأشرافهم المشاركة فيه. ويمتنع الزوج لمدة ثلاثين يوماً عن أكل أي شيء من مؤونة زوجته، بل إنه يمتنع ـ حين تَنَاوُلِ وجباته ـ عن استعمال أية آنية من أوانيها. وخلال هذه الفترة توصم الأرملة نفسها وكل شيءٍ يخصها بأنه (قِران). ويعتقد الأعراب أن أية مخالفة لهذا العُرْف سوف يؤدي ـ لا محالة ـ إلى الهلاك. وعندما يدعو الزوج بعض الأعراب إلى تناول القهوة، يأتي كل منهم ومعه[٤] فنجانه الخاص، لكي يتجنب الشرب من فنجان يخص الأرملة، حديثة الزواج.

٣ ــ يجرى العرف، لدى بعض القبائل غير العربية المعاصرة، بإلزام الأرملة

الانتظار مدة معينة، في الغالب مدة سنة، قبل السماح لها بالزواج ثانية ويسود الاعتقاد، لدى هذه القبائل، بأن الرجل الذي يتصل بالأرملة أثناء هذه الفترة سوف يلقى حتفه.

فلدى قبيلة الكونكمبا (في غانة) تُرَاعِي أَرْملةُ الميت فترة حداد لمدة سنة. وخلال هذه الفترة تضع الأرملة رباطاً أبيض حول رقبتها يكون علامة على تَرمُّلها. ويسود الاعتقاد بأن أي رجل يتَّصل جِنْسيًّا بامرأة تحمل مثل هذا الرباط الأبيض، سوف يموت. ومن ثم فإن الأرملة تمتنع عن كل اتصال جنسي، مابعد أداء الشعيرة الجنازيَّة الأخيرة[٥].

بل إن العرف، لدى بعض القبائل يسوي بين الأرمل والأرملة من حيث ضرورة الانتظار فترة مُعيَّنة قبل السماح له بالزواج ثانية.

فلدى الهوتنتوت (في جنوب غرب افريقية) لم يكن العرف يسمح، في حالة وفاة أحد الزوجين، للزوج الباقي على قيد الحياة سواء كان الرجل أم المرأة، بالزواج ثانية قبل مضي سنة كاملة على وفاة زوجه. وعند الزواج الجديد، وسواء تزوجت الأرملة من شاب أم تزوج الأرمل من شابة أم حتى تزوج أرمل من أرملة، كان من اللازم اتخاذ احتياطات شعائريّة عديدة وأداء طقوس دقيقة[٦].

ثانياً ـ عدة الطلاق: رُوى محمد بن حبيب «المحبر» ـ ص ٣٣٨ ـ أن من سُنن العرب قبل الإسلام أنه (لم يكن للنساء عِدّة يعْتَدُّونها عند الطلاق.. وقد وَلَد منهن عِدَّة على فراش أزواجهن من أزواجهن السابقين).

وكانت المرأة المطلقة تتزوج في الجاهلية فإن كانت حاملاً عُدَّ حملها مولوداً من زوجها الجديد، ويكون الزوج عندئذ والداً شرعياً له، ولو كانت الأم تعرف أن حملها هو من بعلها الأول[٧].

وفي الأزمنة الحديثة كان تجاهل عدة الطلاق أمراً مألوفاً لدى القبائل العربية لاسيما البدوية منها.

يقول العبادي (١٩٧٤م) مثلاً عن قبائل شرق الأردن: إن عدة الطلاق

لا تراعى عند الأعراب من البدو (فقد يتزوج أحدهم مطلقة وهي في بداية حملها من الزوج الأول، فإذا كان المولود على دم الأول كان له وإلا فهو للثاني)[٨].

ويصف موسيل (١٩٢٩) عادة الرُّوَلَة في هذا الخصوص بقوله: (إن المرأة المطلقة الحامل يمكنها الزواج في الحال إذا كان الحمل في مراحله الأخيرة، أما إذا كان حملها غير ظاهر فعليها الانتظار لمدة ستة شهور على الأقل. وبمجرد أن يتبين حملها من زوجها الأول أو عدم حملها يمكنها أن تصير زوجة لآخر)[٩].

ويقول البلادي (١٩٧٦م) عن قبائل الحجاز إن (بعض نساء البادية كن يتزوجن بعد الطلاق قبل اكتمال العدة، ودون أن يلاحظ الآخرون بوادِر الحمل عليها. وقد تلِد بعد زواجها الثاني بمدة سبعة أشهر أو أقل أو أكثر فينشب النزاع بين الزوجين على بُنُوَّةِ المولود فيحتكمان إلى القاضي، فيُحْضِرُ المرأة، فيجعلها تضع يدها على رأس مولودها وتقسم اليمين أنه ابن فلان ـ أحد الزوجين ـ. فحينئذ يكون قولها فصلاً)[١٠].

وعدم إلزام العرب، قبل الإسلام، المرأة المطلقة الانتظار فترة معينة قبل السماح لها بالزواج ثانية يتفق والعرف السائد لدى القبائل غير العربية المعاصرة في جهات متفرقة من العالم.

وقد نتساءل عن السبب في عدم إلزام المرأة في المجتمعات القبلية، التي تعيش في ظل ظروفها الأصلية، بعدّة طلاق. وللإجابة على هذا التّساؤل تنبغي التفرقة بين المجتمعات القبلية التي تَعْتَدُّ بالقرابة من جهة الأم، وتلك التي تعتدُّ بِالقرابة من جهة الأب، كأساس لتكوين وحدات القَبيلة.

فلدى القبائل الأمية يرجع عدم إلزام المرأة بعدة طلاق إلى أن العبرة فيها هي بانتماء الأولاد إلى امرأة معيّنة لا إلى رجل مُعَيَّن. فالذي يُنْشِئُ القرابة، في هذه القبائل هي صلة الولد بأمه وليستْ صلتُه بأبيه. فأولاد المرأة، أيًّا كان آباؤُهم وأيا كانتْ ظروف إنْجابهم، ينتمون إلى جماعَتِها. فليس ثمة مجال هنا للحديث عن اختلاط الأنساب، وليس ثمة مايدعو إلى إلزام المطلقة بالانتظار مدة معينة.

ولدى القبائل الأبوية يرجع عدم إلزام المرأة بعدَّة طلاقٍ إلى أن البُنُوَّةَ والأُبُوَّة فيها ترتبطان ارتباطاً وثيقاً بنظام المهر . والقاعدة لدى هذه القبائل، هي أن المهر هو الذي يؤسس حق الرجل في أولاد المرأة.

ولهذا يجري العرف، لدى كثير من هذه القبائل، بأن الرجل إذا طلب ـ عند طلاقه زوجته ـ ردَّ المهر كان عليه أن يتخلَّى عن الأولاد لأهل الزوجة. ولهذا أيضاً يجري العرفُ، في بعض القبائل، باحتساب مقدار المهر المطلوب رده عند الطلاق في ضوء عدد الأولاد الذين أنجبتْهُمُ المرأة لزوجها. فإذا لم تكن أنجبت أولادًا على الإطلاق كان للزوج المطالبة برد المهر كله، وإذا كانت أنجبت عدداً غير كاف خُصم من المهر مقدار مُحدَّد مقابل كل منهم. وليس للرجل أن يطالب إلا بما تبقى بعد الخصم. أما إن كانت ولدت عدداً يعده عرف القبيلة كافياً لم تَجُزْ له المطالبة بأي جزء من المهر .

فلدى القبائل الأبوية لا يُقَام كبيرُ وزنٍ للبنوَّة الصُّلْبيَّةِ أو (البيولوجية) إذ العبرة فيها بالبنوة القانونية أو الاجتماعية المؤسسة على دفع المهر . وفي هذه القبائل توجد حالات كثيرة، مقررة ومعترف بها، تفترق فيها الأبوة القانونية عن الأبوة الصُّلبية. فيكون الرجل أباً قانونياً لولد يعرف الجميع أنه ليس من صلبه.

ففي بعض القبائل للرجل الذي دفع مهراً من أجل فتاة ـ أنجبت ولد أو أكثر من علاقة سابقة على الزواج ـ الحق في أن تنسب أولادها لنفسه. والأولاد الذين تحصل عليهم زوجة رجل عقيم من علاقتِها بأحد أقاربه أو أصدقائه يُعَدُّونَ أولادَ الزوج العقيم. والأولاد الذين تلدهم الأرملة في ظل نظام وراثة النّساء ـ لا يُنْسبون إلى قريب الزوج الميت الذي يخْلُفُه على أرملته (والذي كان سبباً عضوياً في إنجابهم) وإنَّما يُنْسَبُون إلى الزوج الميت نفسه، الذي دفع مهراً من أجل هذه المرأة[١١].

فالقبائل الأبوية، التي تعيش في ظل ظروفها الأصلية، لا تهتم كثير بالأبوة الصُّلبية وعلى العكس تَحْظى الأبوة القانونية لديها بكل اهتمام. ومن الطبيعي ـ والأمر كذالك ـ أن تخلو أعرافها من أيِّ التزام على المرأة بِقضاء عدة طلاق.

ولما كانت أحوال القبائل العربية قبل الإسلام تماثل في كثير أحوال القبائل غير العربية المعاصرة، فإن ما قيل في شأن هذه القبائل الأخيرة يصدق أيضاً بالنسبة للقبائل العربية. فالقبائل العربية ـ ذات النسب الأُمِّيِّ ـ لم تكن في حاجة إلى فرض عدة طلاق على المرأة، لأن أولاد المرأة سوف يُنْسَبُون على كل حال إلى المرأة ويكونون أعضاءً في جماعتها. أما القبائل العربية ـ ذات النسب الأبويِّ ـ فلم تُفْرَضْ على المرأة عدة طلاق، لأن العبرة في تحديد نسب الأولاد ـ لدى هذه القبائل ـ ليست بالأبوة الصُّلبية وإنما بواقعة دفع الرجل أو عدم دفعه مهراً من أجل أُمِّهِمْ.

ثالثاً ـ اعتزال المرأة الطامث: روى ابن جرير الطبري «جامع البيان في تفسير القرآن» في تفسير الآية الكريمة ﴿ ويَسْأَلُونك عَنِ الْـمَحيض ﴾ أن أهل الجاهلية كانوا لا تُسَاكِنْهم حائض في بيت، ولا تؤاكلهم في إناء. فأنزل الله تعالى ذكرهُ في ذالك. فَحرَّمَ فَرْجَها مادامت حائضاً، وأحلَّ ما سوى ذالك: أن تَصْبغَ لك رأسَك، وتُؤاكلك من طعامك، وأن تُضَاجِعَك في فراشك، إذا كان عليها إزار مُتَحَجِّزَةٌ به دونك).

ومعنى هذا أن أهل الجاهلية كانوا يجعلون من الحيض سبباً في فرض العزلة الكاملة على المرأة الطامث طيلة فترة الحيض. فكانوا يفرضون عليها العيش في مكان خاص والامتناع عن تناول الطعام مع الآخرين. ثم جاء الإسلام فقصر اجتناب الطامث على حَدِّهِ الأدنَى، وهو معاشرتُها جنْسيًّا.

وفَرْضُ العزلةِ الكاملة على المرأة الطامث عُرْفٌ شائعٌ لدى المجتمعات القبلية في مشارق الأرض ومغاربها، بل إننا نجده حتى لدى شعوب الحضارات القديمة.

فلدى قبائل النوبا (في جبال كردفان بجمهورية السودان) لا تقوم المرأة الحائض بطبخ أو خبز، ولا تمس شيئاً يخُص زوجها أو يخص أيّ رجل آخر. وتتولى قريباتها طهي الطعام من أجلها. وتَتَناوله بمفردها بملعقة خاصة. وتشرب الماء من قرعة خاصة بها[١٢].

ولدى قبائل الباكونجو (في جمهورية زائير) تخضع المرأة أثناء الطمث لمحظورات عديدة. وهي تحْتَجِب في بيت خاص. فحضورها يؤذي ويميتُ. ولا يمكنها الاختلاط بالآخرين إلا لضرورة قصوى، ويتَجنَّب الزوج الاقتراب منها[١٣].

ولدى قبائل كيرالا (في جمهورية الهند) يسود اعتقاد جازم بأن لَـمْسَ امرأة طامث من شأنِهِ أن يؤدي إلى تلف المحاصيل، وموت الماشية، وهجوم الحيوانات المفترسة، ومصائب أخرى. ولهذا تُعزَلُ الأنثى الحائض في سقيفة خاصة بعيدة عن الكوخ[١٤].

ولدى قبائل الجالونج (في الهند) يؤدي الطمث إلى اعتبار المرأة الطامث محظوراً من المحظورات. ومن ثم لا يجوز لها أن تلمس أيًّا من آنِية البيتِ أو الثّياب أو الطعام. وعليها أن تنام في مكان مُنفصِل[١٥].

وفرض العزلة الكاملة على المرأة الطامث لا نجده لدى المجتمعات القبلية فحسب، وإنما نجده أيضاً لدى بعض الشعوب المتحضرة القديمة.

فلدى الهندوس تعيش المرأة ـ أثناء دورتها الشهرية ـ في حالة عزلة كاملة. وخلال هذه الفترة ليس لها أن تلمس أيّ إنسان، بل عليها أن تتجنب لَـمْـسَ أيٍّ من أواني البيت أو أثاثه، وأيٍّ من الثياب. وفي البيوت الميسورة الحال يوجد مكان مُعَدٌّ خصيصاً لمثل هذه المرأة. ولدى الفقراء الذين لا يتيسر لهم إعداد مثل هذا المكان في أكواخهم، تخرج المرأة الحائض إلى الطريق لتقيم تحت نوع مظلة أو سقيفة، أو يُسْمح لها بركن في السقيفة المخصصة للبقرة[١٦].

ومن الواضح أن فرض العزلة الكاملة على المرأة الطامث يرجع إلى الاعتقاد بأن دم الطمث يُصِيبها بنجاسة تشكل خطرًا داهماً على كل إنسان أو حيوان يقترب منها.

ولا يقتصر هذا الاعتقاد على المجتمعات القبلية بل إننا نَجِده أيضاً لدى بعض الشعوب المتحضرة القديمة. فلدى الفرس، قبل الإسلام، كان من الواجب حماية الطفل الصغير من عينْ السوء، والاحتراز من أن تَقْرب الطفل حائض، ذالك لأن النجاسة الشيطانية التي أصابت هذه المرأة تُسبِّبُ للطفل سوء الطالع[١٧].

ولدى الهندوس تُفْرض على المرأة الحائض مَحْظورات عديدة. من بينها وجوب امْتناعها عن التفكير في الآلهة أو الشمس أو في القرابين والعبادة الواجبة لها. ومن المحظور عليها تحية الأشخاص الذين ينتمون إلى طبقة عالية. ويمتنع عليها الاقتراب من أولادها أو لمسهم أو اللعب معهم. وبَعْد أن تعيش هكذا لمدة ثلاثة أيام في حالة اعتزال، عليها أن تخلع في اليوم الرابع ثيابها وتسلمها في الحال إلى الغسّال. ثم ترتدي ثوباً نظيفاً وفوقه ثوباً آخر وتذهب إلى النهر لكي تطهر نفسها بالاغتسال. وفي طريقها إلى هناك من واجبها أن تسير وهي مطأطئة الرأس، وأن تحرص أشد الحرص على عدم النظر إلى أي إنسان، لأن نظراتها سوف تنجِّسُ أيَّ شخص تقع عليه[١٨].

رابعاً ـ النساء لا يحلبن الماشية: رَوَى أبو عبيدة أن للعرب مَثَلاً: (يَحْلِبُ بُنَيَّ وأضُبُّ على يَدَيْهِ)، وذلك أن امرأة غاب عنها رجالها الحلّابون وعندها صبيٌّ قد جاع وعطش، فلما خافت عليه جاءت به إلى شاة، فوضعت يده على طُبْيِهَا وهي تعصر فوق يده وتحلب، وهي تقول: يَحْلب بُنَيَّ وأضِبُّ على يديه (يروَى بالضم والكسر)، وإنما فعلتْ ذالك فِراراً من العيْب أن تُعَيَّر بذالك. قال والضَّبُّ الحلب بأربع أصابع[١٩].

وذكر الميدانيُّ أن هذا المثل يُضرب لمن يَفْعل الفِعْلَ وينسبه لغيره. وأصله أن امرأة بدوية احتَاجتْ إلى لَبَنٍ ولم يحضرها من يحلب لها شاتَهَا أو ناقتها، والنّساء لا يحلبن بالبادية، لأنه عَارٌ عندهن، إنما يحلب الرجال، فدَعَتْ بُنيًّا لها، فأقْبَضَتْهُ على الخلْفِ، وجعلتْ هي كفَّها فوق كفِّهِ، فقالت: (يحلبُ بُنَيّ وأشُدُّ على يديه) ويُرْوى (وأضُبُّ) على يديه[٢٠].

وروى الأصفهاني أن خالد بن جعفر أغار على رَهْط الحارث بن ظَالم من بني يَرْبوع فقَتَل الرجال، والحارثُ يومئذ غلام. فبقيت النساء. وكانت نساء بني ذُبْيان لا يحلبن النّعَمَ، فلما بقين بغير رجال طفقْن يدعون الحارث فيشد عصاب النَّاقة، ثم يحلبْنَهَا، ويبكين رجالهن ويبكي الحارث معهن، فنشأ على بُغْضِ خالد)[٢١].

فهذه شواهد على أن العُرْف لدى بعض القبائل العربية كان يحْظر على النّساء حلب الماشية، ويجعل منه عملاً من أعمال الرجال. وأول تساؤل يثور في هذا الصدد هو التّساؤل عما إذا كان هذا الحظر عامًّا لدى القبائل العربية أم كان مقصوراً على البعض منها دون البعض الآخر ؟ كذلك يثور التساؤل عن السبب الذي من أجله كان هذا الحظر.

وفيما يتعلق أولاً بمدى شيوع هذا الحظر، ثَمَّةَ شواهد تدل على أن الحظر لم يكن مُتَّبعًا لدى القبائل العربية جميعها، كما تدل على أنه لم يكن مطبقاً على جميع الحيوانات باختلاف أنواعها.

فهذا الحظر كان ـ على ما يبدو ـ مُتَّبعاً لدى القبائل البدوية دون القبائل المستوطنة، يتّضح ذلك من عبارة الميداني الاعتراضية: (والنساء لا يَحْلِبْنَ بالبادية)، مما يفيد أن الحظر كان مقصوراً على نساء البادية دون غيرهن. بل من المحتمل أن القبائل البدوية لم تكن تحظر جميعها على النساء حلب الماشية وأنَّ منها ماكان يسمح لَهُنَّ به.

ورغم عدم وجود شواهد في هذا الخصوص من العصر الجاهلي فإن من الممكن الاستعانة بالمعلومات المتاحة عن القبائل الرعوية المعاصرة، العربية وغير العربية، للمعاونة في استجلاء حقيقة الأمر.

وفيما يخص القبائل العربية المعاصرة ثمَّة شواهد تدل على أن منها ما يحظر العرف فيه على النّساء حلب الماشية، وأنَّ منها على العكس ما يفرض الحظر على الرجال.

فلدى القبائل العربية التي تقطن مناطق الأهوار في جنوب العراق والتي لا تَقْتني من الحيوانات سوى الجاموس، بسبب المستنقعات التي تحول دون تربية الإبل أو البقر أو الغنم، يجعل العرف حَلْبَ الجاموس عملاً مقصورًا على الرجال، ليس للنساء فيه نصيب[٢٢] وعن القبائل البدوية التي تعيش حول مدينة (مادبا) في شرق الأردن يقول العُزَيْزيُّ: ومن كرامة الإبل عندهم أنه لا يجوز للمرأة حلبها[٢٣]. ولدى قبائل القرا في ظفار (دولة عُمان) يُحْظَر على النّساء المساس

بضراع البقرة أو الناقة أو الماعز ، وإذا فعلت إحداهن ذالك ارتكبتْ مخالفة خطيرة. وعلى النقيض من القبائل السابقة يُعْتَبر قيام الرجال في شمال عُـمَان بحَلْبِ الأبقار من الأعمال المشينة[٢٤].

وهذا التفاوت في موقف القبائل العربية من حلب النساء للماشية، نجده أيضاً لدى القبائل الرعوية غير العربية. إذ أن منها مَنْ يجعل حلب الماشية عملاً من أعمال الرجال، ومنها مَنْ يجعل منه عملاً يدخل في اختصاص النِّساء.

ومن القبائل التي تجعل حلْب الماشية عملاً من أعمال الرجال أو الذكور بصفة عامة، ومن ثم تَسْتَبْعِدْ منه النساء : قبائل اللانْجُو (في أوغندة) والبوندو (في اتحاد جنوب إفريقية) والقبائل النِّيليَّة (في جنوب السودان).

فلدى اللانجو وهم قبائل رعوية تُرَبِّي الأبقار يقوم مالك البقرة بحلبها بنفسه، أو يقوم به أبناؤه نيابة عنه إن كان غائباً. فإن لم يكن له أبناء تولى الراعي حلبها. لكن ليس للمرأة مطلقاً القيام بذلك[٢٥].

ولدى البوندو يقْتصر الاهتمام البالغُ بالماشية على الرجال والصبيان فحسب، أما النساء فلكونهن يُمثِّلْن خطراً على الماشية ولا صلة لهن بها، فإنهن قليلاً ما يتحدثن عنها، ويتّجه اهتمامهن إلى حقولهن ومحاصيلهن أكثر منه إلى الماشية[٢٦].

كذلك تُقْصي القبائل النيلية ـ فيما عدا قبائل النوير ـ النّساءَ بعد البلوغ عن كل ما يتعلق بالماشية التي يتولى العناية بها الرجال والصبيان. ولدى الشيلوك (إحدى القبائل النّيلية) يقوم صغار الصبية وحدهم بِحَلْبِ الماشية[٢٧].

ومن القبائل التي تَجعل حلب الماشية عملاً مقصوراً على النساء قبائل الماساي (في كينيا وتنزانيا) وقبائل النوير (في جنوب السودان).

فلدى الماساي تَتولَّى النِّساء حلب الماشية قبيل شروق الشمس، قبل أن يأخذها الرجال والصبية إلى المرعى، ومرة أخرى عند عودتها بعد الغروب.

ولدى النوير يتولى الحلب النِّساء والفتياتُ والصبية الذين لم تُجْرَ لهم بعد شعائر البلوغ. فالرجال ممنوعون من الحلب إلا في الأسفار والغزوات حيث لايوجد نساء أو صبية. لكن هذه القاعدة تخفُّ وطْأتها مع تقدم السن[٢٨].

أما فيما يتصل بشمول الـحَظْر الحيوانات جميعها أو اقْتصاره على نوع منها دون غيره فثمة شواهد تدل على أن من القبائل ما يَمْتَدُّ الـحَظْر فيه إلى كل الحيوانات، وأن منها ما يقصر الحظر على نوع دون آخر.

فرغم أن الأخبار التي انتقلَتْ إلينا عن العصر الجاهلي تفيد أن الحظر كان عامًّا يشمل الإبل كما يشمل الشِّياه، فثمَّة شواهد نَستمدها من أعراف القبائل العربية المعاصرة تشير إلى احتمال وجود قبائل كانت تفرق بين الحيوانات الكبيرة والصغيرة فتقصر الحظر على الأولى دون الأخيرة.

فلدى القبائل الرعوية في جنوب العراق لا يَحْلِبُ الرجال الشِّياهَ أو الماعز، وإن كان من الممكن للرجل أن يمسك الشاة أو الماعز للمرأة لتحلِبها[٢٩]. وبينما العرف لدى قبائل القَرا على النِّساء المساس بضرع البقرة أو الناقة أو الماعز، يَسْمَح الـمهْرةُ وَبيْتٌ كثير للنِّساء بحلب الماعز فقط دون البقر أو النوق[٣٠].

وقد نتساءل الآن عن السبب في حرمان النِّساء من حلب الماشية وبخاصة الكبيرة منها لدى عدد كبير من القبائل الرعوية.

في اعتقادنا أن ثَمَّة سَبَبَيْنِ وراء هذا الحظر: أولهما تقسيم العمل بين الجنسين، وثانيهما: الخوفَ على الماشية من النساء.

ففي كل المجتمعات القبلية يسود تقسيم للأعمال بين الجنسين. فثَمَّةَ أعمال تدخل في اختصاص الرجال لا يجوز للنساء القيام بها وثمة أعمال تدخل في اختصاص النساء لا يجوز للرجال القيام بها. وَيُكَرِّسُ العرفُ هذا التَّقْسِيم للعمل بين الجنسين؛ فيجعل من إقدام أفراد الجنسين على القيام بعمل يدخل في اختصاص الجنس الآخر مدعاة للاحْتقَار ومجلبة للعار. وحيث أن الرجال هم عادة الذين يقومون برعي الحيوانات، وبخاصة الكبيرة منها، فهم أقرب إليها

وأوثق صلة بها من النّساء ويبدو من الطبيعي والمنطقي عندئذ جعل حلبها أَمْرًا يَخُصُّهُمْ دون النساء .

وقد كان العرف، لدى القبائل العربية قبل الإسلام ـ شأنهم في هذا شأن غيرهم من المجتَمعات القَبلية ـ يجري بتقسيم العمل بين الجنسين. فثمة أعمال للرجال لا شأن للنّساء بها، وثمة أعمال للنساء لا شأن للرجال بها. ومن يخالف مقتضيات العرف يُعَرِّضْ نفسه للاستهجان والاستنكار .

وثمة حادثة طريفة تدل على مدى الاهتمام باحترام مقتضيات التّقسيم العرفي للعمل عند العرب قبل الإسلام.

فقد رُوِي أن الهُذْلول بن كَعْب العَنْبَريَّ كان مُملَّكا في الجاهلية على سائر بني تَميم يأخذ منهم المِرْبَاعَ، ومع ذالك كان فيهم بِمَنْزِلةِ حاتِمٍ في طيِّءٍ كرماً وتواضعاً، ونزل به أضياف، فقام إلى الرَّحَى، فَبَصُرَتْ به زوجه فأنكرتْ ذالك وصَكَّتْ صَدْرَها، فقالِ الأبيات التّالية:

تَقُولُ وَصَكَّتْ صَدْرَها بِيَمِيْنِها أَبَعْلِيَ هَذَا بِالرَّحَى الـمُتَقَاعِسُ؟
فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَعْجلِيْ وتبيّنِيْ بَلائِيْ إذَا الْتَفَّتْ عَلَيَّ الفَوَارِسُ
لَعَمْرُ أَبِيْكِ الْخَيْر إنِّي لخادِمُ لِضَيْفِيْ وَإنِّيْ إنْ رَكِبْتُ لفَارِس[٣١]

ولدى القبائل العربية المعاصرة يسود أيضاً تقسيم تقليدي للعمل بين الجنسين. فلدى عرب الأهوار في جنوب العراق لن يقبل رجل إطلاقاً دَقَّ الحبوب أو طحنها، أو عمل أقْرَاص (الجَلَّة) من روث الجاموس من أجل الوقود، كما أنه لن يطبخ أو يجلب الماء إلَّا في حالة عدم وجود امرأة تقوم بذلك[٣٢]. ولدى بعض قبائل عمان لا يباح للمرأة حلب الماشية، كما لا يباح لها أن تطهو الطعام. فهذه الأشياء تعتبر من الأعمال المخصصة للرجل وحده، ويقتصر عمل المرأة على الرعي، ورعاية الماشية وجمع الحطب وجلب الماء ، إلى جانب صناعة الأوانِيْ وجمع التِّبْنِ، وعمل حَشِيَّاتٍ منه للنوم[٣٣].

أما السبب الثاني في منع النّساء من حلب الماشية فهو الخوف على الماشية من دم

الطمث. ففي المجتمعات القبلية يسود الاعتقاد في أن دم الطمث يَنْطوي على نجاسة مؤذية، وأن المرأة في دورتها الشهرية تكون من ثَـمَّ مصدرَ أذى لكل من يتصل بها عن قرب. ولا يَقْتَصِر هذا الأذى على البشر بل يمتد أيضاً إلى الحيوانات. ولهذا تُفْرَضُ على المرأة ـ أثناء فترة الطمث عِزلة كاملة. فالسماح للمرأة الطامث، في اعتقاد هذه المجتمعات، بلمس الماشية يَعْني موت الماشية حَتْـمًا. ويبدو طبيعياً، والأمر كذالك، أن يحظر العرف على المرأة الطامث حلب الماشية. ومَنْع المرأة، أثناء دورتها الشهرية، من حلب الماشية يؤدي في نهاية الأمر إلى منعها من حلبها إطلاقًا، أي سواء كانت طامِثاً أم غير طامث، وذالك من قبيل الاحتياط.

فالبوندو مثلاً يعتقدون أن النساء يُشكِّلن خطرًا على الماشية ولهذا يُستَبْعدن من كل ما يتعلق بها، كذلك تُقْصي القبائل النيلية ـ فيما عدا النوير ـ النساء بعد البلوغ، عن كل ما يتعلق بالماشية. فالأنثى قبل البلوغ ـ لا تشكل خطراً على الماشية، أما بعد البلوغ ـ وبسبب دورتها الشهرية ـ فتصبح خطراً عليها ولهذا تُقْصَى عن كل ما يتعلق بها.

ورغم عدم وجود شواهد تشير إلى الطمث باعْتباره السبب في منع النساء من حلب الماشية عند العرب قبل الإسلام فإننا لا نشك في أن الأمر كان كذالك في ضوء هذه المعلومات المستفادة من أعراف القبائل غير العربية المعاصرة.

د: محمود سلام زناتي
قسم القانون بكلية العلوم الإدارية ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض

الهوامش :

(★) انظر «العرب» س ٢٥ ص ١٩١ ـ ٢٠١ .

(١) «صحيح مسلم» بشرح النووي، دار الفكر العربي، ١٩٨١م.

(٢) «غريب الحديث»، تحقيق د. عبدالله الجبوري، بغداد مطبعة العاني، ١٩٧٧م.

(٣) Musil (Alois), The manners and customs of the Ruala bedouins in the Middle Euphrates, New York, American Geographical Society, 1929.

(٤) Burchardt (John Lewis), Notes on the Bedouins and the Wahabys, London 1831, Vol. 1, P. 267.

(٥) Tait, The Konkomba of Northern Ghana, Oxford University Press, 1964, P 98.
ولدى التروبرياند (في ميلانيزيا) كانت الأرملة، بعد دفن جثة زوجها، تدخل قَفَصاً صغيراً أُعِدَّ داخل بيتها، حيث تعيش في الظلام مدة حدادها، ممنوعة من الحديث بصوت عالٍ، ولا تأكل أو تشرب إلا ما يضعه أقارب الميت في فَمها، وكان هؤلاء يقولون رعايتها طيلة الوقت. وبعد أن تمضي فترة تتراوح من ستة شهور إلى سنتين، تبعاً لمركز الميت الاجتماعي، يُطلق سراحها. ويجري تطهيرها شعائرياً بصب الماء عليها، ودَهْنِها، وإلباسها قميصاً من العشب المزخرف على نحو خاص. ومنذ هذه اللحظة تصبح صالحة للزواج مرة أخرى:
Service, Profiles in Ethnology, New York, P. 256.
ولدى الأيبو (في جنوب شرق نيجيريا) عندما يموت الزوج تحْلق الزوجة أو الروحات شعورهن، ويلبس خِرقاً ممزقة طيلة سنة. ويُسمح لهن بالتردد على الأسواق فيما عدا السوق المحلية. ويمكنهن القيام بالزراعة لكنهن يحرصن على الذهاب إلى حقولهن بعد ذهاب الآخرين بقليل، لأن الرجال لا يرتاحون لمقابلة أرملة في الصباح الباكر، خوفاً من أن يحل بهم ماحل بزوجها:
Leith-Ross, African Women, London, P. 101.

(٦) Shapera, The Khoisan Peoples of South Africa, London 1951, P. 254.

(٧) دكتور جواد علي: «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» ج ٥ ص ٥٥٦ والمصادر المشار إليها فيه.

(٨) المرأة البدوية، عمان ١٩٧٤م، ص ٢٣٦.

(٩) المصدر المشار إليه، ص ٢٣٦.

(١٠) (عاتق بن غيث): «الأدب الشعبي في الحجاز» دار مكة ١٩٨٢م، ص ٢٥٧.

(١١) انظر كتابنا: «النظم القانونية الافريقية وتطورها» القاهرة مكتبة النهضة العربية، ١٩٦٦م، ص ١٨٦ و ٢٥٦.

(١٢) Seligman, Pagan tribes of Nilotic Sudan, London 1922, P.386.

(١٣) Van-Wing, Etudes Bakongo, 2ème Ed. 1959.

(١٤) Luiz, Tribes of Kerala, P. 16.

(١٥) Srivastava, The Gollongs, Shillong 1962, P. 104.

(١٦) Dubois, Hindu manners, customs and ceremonies third ed. Delhi, Oxford University Press, 1978, P.180.

(١٧) كريستنسن، «إيران في عهد الساسانيين»، ترجمة د. يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٥٧، ص ٣١٣.

(١٨) ديبوا، المصدر المشار إليه، ص ٧٠٨.

(١٩) معمر بن المثنى: كتاب «النقائض» (نقائض جرير والفرزدق) ليدن ١٩٠٥، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد، جـ ١، ص ٣٣٢.

(٢٠) (أبو الفضل أحمد): «مجمع الأمثال» تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة المطبعة الخيرية ١٣١٠هـ، جـ ٣ ص ٥١٩.

(٢١) أبو الفرج: كتاب «الأغاني» جـ ١٠ ص ١٦.

(٢٢) Thesiger, The Marsh Arabs, New York, Dutton 1964, P.58.

(٢٣) (روكس بن زائد): «من التاريخ الأردني» و«من حياة البادية» ١٩٦١م، ص ١٦٦.

(٢٤) توماس: «البلاد السعيدة» ترجمة محمد أمين عبدالله، سلطنة عمان ١٩٨١م ص ١١١.

(٢٥) Driberg, The Longo, London 1923, P. 91.

(٢٦) Hunter, Reaction to Conquest, London 1936, P. 70.

شعر الأحوص الأنصاري

لِتَوَسُّمِ مواقع المواضع المذكورة فيه

ـ ١ ـ

كان الدكتور عادل سليمان جمال قد تصدَّى لجمع شعر الأحوص ـ عبدالله بن محمد الأنصاري شاعر المدينة في العهد الأموي، وقدَّمَهُ من خلال رسالة نال بها درجة (الماجستير) من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٤م ثم نشرها سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) بمقدمة للدكتور شوقي ضيف قال فيها: (. . . أعاد عادل سليمان جمال الأحوص إلى الحياة، وبعث ديوانه من جديدٍ، وذلَّلَ مافيه من صعاب، وجعله مُيَسَّراً للقارئين).

وقد تابع عمله فعثر فيما نشر من المؤلفات بعد صدور الديوان، وفي مخطوطة كتاب «منتهى الطلب» على شعر أَخَلَّ به أولاً فأضافهُ وأعاد النشر في (طبعة مزيدة ومنقحة) صدرت هذا العام ـ ١٤١١هـ (١٩٩٠م).

والدكتور عادل ـ كما يصفه أُستاذه الدكتور شوقي ضيف ـ من أولئك الذين صَبُّوا عنايتهم على نشر الدواوين والمجاميع الشعرية القديمة، وممن كلَّف نفسه صنعة ديوان من الدواوين التي سقطت من يد الزمن، ولم يَعُدْ هناك سبيل إلى نشرها وبعثها من جديد، إلَّا أن تُجْمع أشعارها من بطون الكتب والمصادر والمراجع القديمة. انتهى.

---

(٢٧) Butt, The Nilotes of the Anglo-Egyptian Sudan and Uganda, Oxford University Press, 1952, P.37. ←

(٢٨) بط، المصدر المشار إليه، ص ٣٧.

(٢٩) بتسيجر، المصدر المشار إليه، ص ٥٨.

(٣٠) توماس، المصدر المشار إليه، ص ١١١.

(٣١) الأندلسي بن سعيد: «نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب» تحقيق د. نصرت عبدالرحمن، عُمان مكتبة الأقصى ١٩٨٢م، جـ ١، ص ٤٩٩.

(٣٢) تيسيجر، المصدر المشار إليه، ص ٥٨.

(٣٣) توماس، المصدر المشار إليه، ص ١٣٧.

وسبق للدكتور عادل أن نشر «ديوان حاتم الطائي» محققاً مدروساً سنة ١٣٩٧هـ ـ تقريباً ـ انظر «العرب» س ١٣ ص ٧٢ ، ٤٧٧ ، ٦٠١ ـ ثم أعاد نشره مزيدا ومنقحا هذا العام ـ ١٤١١هـ (١٩٩٠م) ـ انظر «العرب» س ٢٥ ص ٧١٦ ـ ولعل اتِّجَاه الدكتور عادل لتلك الوجهة الحميدة من جوانب إحياء التراث العربي يجعل القارئ يدرك أثر الحرقة والأسى حين يمرُّ بوصف ما اعتراه من تأثر لَـمَّا سُبق إلى نشر «شعر ابن ميادة» بعد أن جمعه وسوده، ولم يبق إلا الكتابة الأخيرة ليدفع به إلى المطبعة ـ مقدمة «شعر الأحوص» ـ ١١ ـ و«العرب» س ١٨ / ٤٣٠ .

وسيجد أثر ذلك ـ بل أشدَّ ـ في موقفه حيال عمل الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي حين أصدر «شعر الأحوص» ـ انظر «العرب» ٤/ ٩٤ ـ سنة ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م) أي بعد أن تقدم الأستاذ عادل به إلى الجامعة المصرية بِنَحْو خمس سنوات، فأحسَّ أنَّ الدكتور السامرائيَّ (عدا على عمله في صورته الأولى.. وادعاه لنفسه) . وكان من أثر هذا الإحساس أن تنازل الأستاذان الجليلان وتصاولا وتجاولا بعبارات من التهم والسباب، تزري بقدر من لا يرقى إلى منزلتيهما في العلم وسمو الأخلاق ـ انظر مجلة «الثقافة» المصرية ـ العدد العاشر سنة ١٩٧٧م ومجلة «كلية الآداب البغدادية» العدد الثامن عشر ـ ومجلة «المورد» العدد الرابع سنة ١٩٧٥م .

ماكان الأستاذ الدكتور السامرائيُّ ـ ومنزلته في العلم هي هي من عُلُوِّ المكانة ـ بحاجة إلى أن يُغير على جهد من كان ينظر إليه عند نشر رسالته بمنزلة أحد تلاميذه، وما كان شعر الأحوص بمنزلة من الخفاء، ومن جهل مصادره بالدرجة التي تحمل إلى التشبث بأوهى الأسباب وأضعفها لجمعه، بل ليس من المبالغة القول بأنه لو اتَّجه عددٌ من الباحثين إلى ذالك لما وُجِدَ فَرْقٌ مُمَيِّزٌ لما جمعه أَيُّ واحد منهم، ليصح له ادّعاء السبق والاختصاص، وهذه الجامعات على كثرتها وتشابه مناهجها في مختلف أقطار البلاد العربية، إنها لبادرة أملٍ إنْ صَحَّ أنها على درجة من التواصل والترابط، وتبادل المعلومات، بحيث يتسنَّى لِأَيِّ باحث أو دارس في

إحدى الكليات معرفة ما يتصدى له دارسو الكليات الأخرى من أبحاث ودراسات، وبهذا تَدْرَأُ بواعثَ الفوضَى والارتباك، والتضارب بين اتجاهات الباحثين في تلك الكليات.

ولاشك أن دراسة أية ناحية من نواحي حياتنا الفكرية ليست محجورة أو محصورة بل هي حق مشاع، وإنْ كان توحيد الجهود في جميع الأعمال العامة النفع من الأمور المحمودة، بل المطلوبة، إلا أن التنافس في القيام بها محمود أيضاً. ما لم يكن من بواعث التنافر والحسد، وإثارة العداوة بين هداة الأمة وقادتها من مثقفيها.

ولقد حاول زِعْنَفَةٌ من زعانف الأدب أثناء انعقاد الدورة التاسعة لاجتماع اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية في جدة. في ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٧٤هـ يناير سنة ١٩٥٥م برئاسة الدكتور طه حسين ـ حاول النيل من مكانة مصر الثقافية بالمقارنة بين قطرين عربيين عن تأثيرهما الفكري في العالم العربي، فما كان من الدكتور إلا أن توسط الحفل واقفاً وصوته الفخم الضخم يجلجل ببيت مفرد لم يزد عليه:

أَبَنِي حَنِيْفَةَ أَحْكِمُوا (سُفَهَاءَكُمْ) إنِّي أخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا

فقطع جَهِيْزَة تلك الزِّعْنِفَة ! ـ انظر كتاب «خواطر مجنَّحة» ـ ١٧ ـ للأستاذ محمد حسين زيدان ـ.

ويظهر أن الشاعر الأحوص محظوظٌ من حيث الاهتمام بدراسة شعره، والتأليف عنه، فمع كثرة من تناوله بالدراسة عرضاً أثناء الدراسات الشاملة في تاريخ الآداب العربية قديماً وحديثاً، من عهد ابن سَلاَّم والأصفهاني إلى زمن شوقي ضيف وطه حسين، فقد تصدَّى لإفراده بالتأليف في هذا العصر ثلاثة من الدارسين في ثلاثة أقطار مختلفة، آخرهم الأستاذ محمد علي سعد من بيروت، في مؤلف دعاه «الأحوص بن محمد الأنصاري ـ حياته وشعره» نال به درجة (الماجستير) في الآداب من الجامعة اللبنانية، ونشره سنة ١٩٨٢م.

وأثناء إقامتي في القاهرة ـ في شهر شوال من العام الماضي ـ أمتعني الدكتور عادِل إذْ هَيَّأَ لي مطالعة «شعر الأحوص» في طبعته الحديثة، ومع أن الطبيب حاول أن يحرمني ـ من بين ماحرمني من متع الحياة ـ أسماها وأعمقها أثراً في نفسي، وهي مُتْعَةُ القراءة ــ إلا أنني أخذْتُ منها بأوفر نصيب، فقد كنت ولا أزال ذَا وَلَع بقراءة الشعر العربي القديم، لما أُحِسُّ به من عمق ارتباطه بالحياة العربية، فأسْتَجْلي من خلال هذا الإحساس أخيلةَ عُمْقِ الصلة بين تلك الحياة القديمة وبين حياتنا الحاضرة، فَتُنْعِشُهَا، وتُمِدُّها بفيض من الحيوية والقوة.

وكانت لي وقفاتٌ قصيرةٌ أردتُّ من خلالها أن أُعَبِّرَ للدكتور الكريم عن تقديري لعمله تقدير المستفيد المستزيد، فقد وجدتُّ من رحابة صدره ـ حيال ما تحدثتُ به عن «ديوان حاتم الطائي» ما أدركت جانباً من سماحة نفسه، وسجاحة خلقه، بنشر ذالك الحديث دون تأثر أو امْتعاض، وما أردتُّ أوَّلاً وأخيراً إلا أن أُوْجِدَ صِلَةً يجب أن تقوى وتتصل ـ بيني وبين باحث كريم، معنيٍّ بدراسة ما لِأمتنا من تراث أصيل.

وسيرى ـ أدام الله له التوفيق ـ كما يرى غيره من القراء أنني في خلال تلك الوقفات القصيرة لا أتجاوز ناحيةً خاصَّةً من جوانب تلك الدراسة الشاملة، هي ما يتعلق بتحديد المواضع الواردة خلالها مما قد يكون لي من الصلة بها ما يبيح لي التوسع في الحديث عنها، وللأستاذ الكريم واسع العذر في خفاء بعضها. إذْ لَيْسَ ثَمَّ وَسيلة أمامَ أيِّ باحث لمعرفة أمكنة الشعر القديمة سوى مؤلفات العلماء الأقدمين كـ «معجم ما استعجم» للبكري و «معجم البلدان» للحموي وأمثالهما من المؤلفات التي لم تَعُدْ كافيةً لِتُمِدَّ الباحثين بالقول الفصل في تحديد تلك الأمكنة، وتعيين مواقعها، لأنها تنحو غالباً في التعريف بها أساليب كانتْ ذَاتَ جدْوَى في الأزمنة الغابرة، كتعريف الموضع بنسبته إلى ساكنيه من فروع القبائل المعروفة في تلك الأزمان، أو بتحديد صلته بأحد الطرق الرئيسة المسلوكة في ذالك العهد أو بتقدير المسافة بينه وبين مكان معروف بما كان متعارفاً في ذالك العصر كالفرسخ والميل، أما الآن فسكان البلاد الأقدمون زالوا عنها، وتعاقب سكناها

آخرون، فأصبح من فضول القول ـ إنْ لم يكن من لغوه ـ تعريف الموقع بساكنه اعتماداً على ماورد في إحدى المؤلفات، ومن أمثلة هذا:

١ ــ الأَبْرق: منزل من منازل بني عَمْرِو بن ربيعة (٢٠٦)
٢ ــ ذو الأثل: في بلاد تَيْـمِ الله بن ثعلبة (١٥٣)
٣ ــ بَيْشُ: جبل لبني هلال بن عامر (٩٢)
٤ ــ الجمد: جبل لبني نصر (١١٠)
٥ ــ حَصِير: جبل لغطفان (٢٥٥)
٦ ــ الرَّجِيْع: ماء للحيان (٢٠٠)
٧ ــ رُوَاوة: جبل لمزينة (١٠٩)
٨ ــ السَّفْح: مكان كانت به وقعة بين بكر وتميم (١٤١)
٩ ــ سَنَام: جبل لبني دارم (٢٣٧)
١٠ ــ السَّنَدُ: ماء معروف لبني سعد (١١٠)
١١ ــ فَلْج: من منازل بني العنبر (٢٣٦)
١٢ ــ اللِّوَى: واد من أودية بني سُلَيْمٍ (١٤٦)
١٣ ــ الْـمَلاَ: موضع من أرض كلب (١٤٦)

ومثل ما تَقدم ذكره من تحديد الموضع بقربه من آخر:

١ ــ بِرْكُ الغِمَاد: وراءَ مكة بخمس ليال (٩٢)
٢ ــ بَيْشُ: بين مكة ومصر (٩٢)
٣ ــ سَنَام: جبل بين البصرة واليمامة (٢٣٧)
٤ ــ الشبيكة: منزل بين البصرة واليمامة (٢٣٧)
٥ ــ فلج: واد بين البصرة وحِـمَى ضَرِيَّة (٢٣٦)

ومثل:

١ ــ سَرِفُ: على ٦ أميال وقيل ٧ وقيل: ٩ و١٢ (٢٠٠)
٢ ــ الرَّوْحَاء: من عمل الفرع على أربعين ميلاً (١٣٢)
٣ ــ مُزْجُ: غدير بينه وبين المدينة ثلاثون فرسخاً (١٠٦)

قد يقال بأنَّ الدارسَ لا يجد أمامه حين يحاول معرفة تلك الأماكن وأمثالها سوى تلك التعاريف الواردة عن أئمة الأدب واللغة القدماء ، وهم القدوة في ذالك، واطراحُ آرائهم إزْرَاءٌ بقدرهم، وهذا القول فيه بعض الحق، ولكن ما نُسب إلى أولئك الأئمة من ذالك مع قصور كثير منه قديماً أصبح معدومَ الفائدة في هذا العصر ، وهم ــ نضَّر الله أَرْوَاحَهُمْ ــ بَذَلُوا الوُسْعَ في البحث والدراسة، ثم قدَّمُوا ما استطاعوا تقديمه، مع اعترافهم بالعجز والتقصير، ومع حثِّهِمْ على مواصلة التعمق في استعمال كل الوسائل التي تمكن من بلوغ الحقائق أيًّا كانتْ، وفي أية ناحية من نواحي العلم والمعرفة.

وفي هذا العصر الذي زخر كل قطر من أَقْطَارِ الأمة بمختلف الجامعات ومعاهد الدراسات، وتيسرتْ جميعُ السبُل لنيل المعارف والعلوم بما أنتجته العقُول في مختلف الوسائل، وتنوعت اتجاهات البحوث والدراسات حتى شملت مختلف أوجه الحياة، أفما كان جَدِيرًا بمنْ يُعْنى بدراسة تراث الأمة من أساتيذ تلك الجامعات الاتِّجاهُ إلى الاهتمام بالتعمق في البحث في الجوانب الجغرافية من أدَبنا وتاريخنا القديم، بإيضاح معالم تلك الجوانب التي بدون إيضاحها تبقى كثير من نصوص ذالك الأدب مستغلقة الفهم، وقد يكون من أثر هذا الاستغلاق جهل خصائص البيئة ومميزاتها، وبدون معرفة هذه الخصائص تبقى معرفتنا ناقصة.

لقد أوغلَ بِـيَ الاستطرادُ بالتمثيل حتى أوشكتُ أَنْ أتجاوز القصدَ، إذْ وجدتُّ مجالَ القول ذا سعةٍ، حين رأيتُ كُلَّ من تَصَدَّى من الباحثين في عصرنا لتحقيق أيِّ نص قديم من شعر أو نثر ذي ارتباط بأحد المواضع، لا يتجاوز تحقيق مكانه ماورد عنه من تحديد في أحد تلك المؤلفات، ويرى أنه عثر على ضالَّتِهِ المنشودة بذالك، دون أن يكلف نفسه عناءَ محاولة إدراك مدَى انطباق نصوصها على ما يتناوله بحثه، ولا أستثني من هذا أَحَداً، وما أَرَدتُّ وأَيْـمِ الحقِّ ـ بهذا القول النَّيْلَ من أيِّ جهد يُبْذَل في سبيل إبراز خفايا تراث الأمة، أو إحياء ما درس من علومها ومعارفها، وإنما قصدتُّ أَنْ أَقِفَ من ذالك الـجُهْدِ ـ أيًّا كان مبلغه قوة أو ضعفاً ـ موقفَ المعترف لصاحبه بالفضل، وذالك بالمشاركة بتعميق نظرتي فيه، ولعل هذه المشاركة هي أوضح تعبير عن تقديري، له واهتمامي به.

وآمر آخر ـ أَجعله نُصْبَ عَيْنَيَّ فيما أنشره في هذه المجلة، وهو أنَّ جُلَّ قرائها يتوقون إلى معرفة الكثير عن بلادهم، وقَلَّ أَنْ يردَ اسمُ موضع في شعر قديم لا يكون من بينهم من تَشْتَدُّ رَغْبَتُهُ ليعرفَ عنه ما يُحسُّ أنه بحاجة إلى معرفته، من هنا فأنا لم أَبْسُطِ القولَ في كتابة هذه التعليقات إلَّا وأنا أُدرك أن المعنيين بتحقيق النصوص القديمة غَيْرُ مطالبين بالتوسع بتحديد مواقع ما يمر بهم من مواضع، إذْ لذالك مكانه في الأبحاث المخصصة له. وأُدْرِك مع هذا أَنَّ قراءَ ما أكتب من أهل هذه البلاد في هذه المجلة، بحاجة إلى المزيد من الأبحاث المتعلقة بالمواضع الواردة في الأخبار أو الأشعار، وأُدرك مع كل ذالك أنَّ شاعِرًا من أهل هذه البلاد يتوق كثير من مثقفي أبنائها إلى معرفة ما يُقَوِّي الارتباطَ بينهم وبين هذا الشاعر ، ولعل من أقوى الوسائل لذالك معرفة مرابع صباه، ومراتع لهوه في غدوه وروحاته، مما ورد في شعره من التغني بتلك المنازل والديار (والدَّارُ لَوْ كَلَّمَتْنَا ذَاتُ أَخْبَار) !

وسوف لا أتعرض للأماكن المعروفة كمكة والمدينة وحلب والشام.

وإنَّما أُحاول تحديدَ المواضع الواقعة في الجزيرة، مما يتكرر ذكره في الشعر القديم، أو مما هو مجهول لدى أكثر القراء ـ ما استطعتُ إلى ذالك سبيلاً ـ فهذا الجانب مع قوة صلته بالأدب العربي القديم لايزال في أَشَدِّ الحاجة إلى الدراسة والبحث.

وَقَفَاتٌ قَصِيْرَةٌ: ويحسنُ قبل الْبَدْءِ بما قصدتُهُ أن أَقِفَ وَقفَاتٍ قصيرة وقوف المستوضح المستزيد من الفائدة:

١ ــ ص ٢٤: في نسب الأحوص: (قيس بن عصيمة بن النُّعْمَانِ بن أُمَيَّة بن ضُبيعة بن مالك بن عوف).

(١) ــ (أُمَيَّة) هذا صوابه: (أَمَة) كما نص على ذالك ابنُ حبيب في «مختلف القبائل ومؤتلفها» ــ ٣٤١ نشر (دار اليمامة) ــ إذا قال: (وفي الأنصار أَمَةُ بن ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عوف) ــ حتى بلغ الأوس، وقال: (في قيس أمة بن بجالة بن مازن) ــ وساق النسب إلى ذبيان. ومثل هذا في «الإيناس» ــ ٧٥ نشر (دار اليمامة) ــ على أنَّ نسب الأحوص في «مختصر جمهرة النسب» مخطوطة مكتبة

راغب باشا ــ المتقنة الضبط ورد على هذا النحو ــ ص ١٧٣ ــ: الأحوص الشاعر وهو عبدالله بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ــ واسمه قيس ــ بن عِصْمة بن مالك بن أَمة بن ضُبَيْعة بن زيد. ومثل هذا في «الاشتقاق» ــ ٤٣٧ ــ.

(٢) ــ أَمَّا (عُصَيْمَةُ) فأكثر المصادر وأصحُّهَا وأقدمها تثبت (عِصْمَةَ).

٢ ــ ص ٩١: (وَقَدْ شَاقَها مِنْ نَظْرَةٍ طَرَّحَتْ بِهَا).

وشرح المحقق الكريم كلمة (طرح) بمعنى رمى وأبعد.

ألا يمكن أن تكون كلمة (طرحت) ــ بالراء ــ تصحيف (طوحت) بالواو، لاسيما وأن المصدر «معجم ما استعجم» لأبي عُبَيْدٍ على مافيه من تصحيف كثير في الأصل، فلا يؤمن أن يقع في الكلمة تطبيع (خطأ مطبعي).

٣ ــ ص ١٠٦:

(ولوْلاَ الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَكِ لَمْ تَجُبْ مَسَافَةَ مَابَيْنَ الْبُوَيْبِ ويَثْرِبِ)

تحت كاف الضمير كسرة (بَيْنَكِ) وهذا يُوْهِم بل يوضح أَنَّ الْمُخَاطَب امرأة، والبيت مفرد لا ارتباط له بما قبله ولا بما بعده، وأراه من قصيدة في مدح عبدالعزيز بن مروان أمير مصر الذي ذكر المحقق في المقدمة ــ ٥١ ــ أنه مدحه وتجشم الرحلة إليه على مشقة، فذكر قَطْعَهُ المسافةَ الطويلة بين مصر والمدينة لما بين الرجلين من صلة. والْبُوَيْبِ واقعٌ في الطريق إلى ذالك الممدوح.

٤ ــ ص ١١٤: ورد بيتُ كَعْب بن زُهير غير مستقيم الوزن هكذا:

تَخْدِيْ عَلَى يَسَرَاتٍ وهْيَ لاَحِقَةٌ بِأَرْبَعٍ وقَطْعُهُنَّ الأَرضَ تَحْلِيلُ

ونَصُّ البيتِ في شرح ابن الأنباري لقصيدة (بَانَتْ سُعَاد) تحقيق الدكتور محمود حسن زيني ـ ١٠٤ ـ:

تَخْدِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهْيَ لاَحِقَةٌ ذَوَابِلٍ، وَقْعُهُنَّ ٱلأَرْضَ تَحْلِيلُ

وبِحَذْف الواو يستقيم الوزن، ولعل زيادتها تطبيع.

٥ ــ ص ١٦٣ : في شرح البيت:

تَجْلُو بِقَادِمَتَيْ قُمْرِيَّةٍ بَرَدًا غُرًّا تَرَى فِي مَجَارِي ظَلْمِهِ أُشَرَا

قال المحقق الكريم: (استعار الرِّيْشَ هنا ليدي المرأة لما فيهما من نعومة وبضاضة).

ولما لا يكون المعنى أَنَّ صاحبته تجلو أسنَانَها بريشتين من ريش قوادم قُمْرِيَّة، وفي كتاب «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري وهو من مصادر المحقق الفاضل على ما أشار إلى ذالك ص ٣٤٤ ما هذا نصه: وَقَالُوا: أَجْوَدُ ماقيل في الثَّغْرِ من شعر المتقدمين قول جرير:

تُجْرِي السِّوَاكَ عَلَى أَغَرَّ كَأَنَّهُ بَرَدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُوْنِ غَمَامِ

وقالوا بيت النابغة:

تَجْلُو بِقَادِمَتِيْ حَمَامَةِ أَيْكَةٍ بَرَدًا أُسِفَّ لِثَاتُهُ بِالإِثْمِدِ
كَالأُقْحُوَانِ غَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيْهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

شبَّهَ الشَّفتين لرقتهما بقادمتي حمامة. كذا قال العسكري في كتابه ـ ١/٢٣٨ ط القدسي ـ ولكن الشرح المنسوب للأعلم لشعر النابغة جاء فيه مانصه ـ «ديوان النابغة» ط دار المعارف بمصر ٩٤ ـ: وقوله: (تَجْلُو بقادِمَتَيْ حمامةِ) يقول: إذا تَبَسَّمَتْ كَشَفَتْ عن أَسْنَانٍ كأَنَّها بَرَدٌ، لبياضها وصفائها. والقادمتان: الريشتان اللتان في مقدمتي الجناحين، يعني أن في شفيتها لَعَسًا وَحُوَّةً، وهو سُمْرَةٌ في الشفتين، وهما لَطيفتان بَرَّاقَتَانِ، فشبههما بالقادمتين لذالك، وأراد بالحمامة القِمْرِيَّة، وخص القادمتين لأنهما أَشدُّ سوادًا من سائر الرِّيش، وقيل: أراد بالقادمتَيْن إِصْبَعَيْهَا، يعني أنها تجلو أسنانها وتصقلها بالسواد، وشَبَّههما بالقادمتين لطولها. والقول الأول أصَح. انتهى، ولاأزال أرى أن قادمتي رِيش الحمام كانَتا مِمَّا يستعمل لجلاءِ الأسنان.

٦ ــ ص ١٦٥ : جاء في الحاشية هذا البيت:

(إلى قَاعِ السِّنَّقِيرِ إلى قَرارِ حِلالِ ذِي حَدَرِ)

قَولُ المحقق الفاضل في شرحه: (وحلال من نواحي اليمن).

لماذا لا يكون حلال هنا بمعنى (نزول) كما قال زهير:

لِحَيٍّ حِلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

وحَيٌّ حِلَالٌ: أي كثير، وأنشد الأصمعي:

أَقَوْمٌ يَبْعَثُونَ الْعِيْرَ نَجْدًا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ حَيٌّ حِلَالٌ؟

والْحِلال القوم المقيمون المتجاورون ــ انظر «لسان العرب» ــ حلل ــ.

٧ ــ ص ٢٤٦ : ورد البيت:

(فالآنَ لـمَّا حَلَّ ذُوْا الأَثْلِ دُوْنَهَا نَدِمْتَ، ولَمْ تَنْدَمْ هُنالِكَ مَنْدَمَا)

أخشى أن تكون كلمة (حَلَّ) هنا وقعت تطبيعًا فالمتبادر إلى الفهم (حال).

٨ ــ مما لم أره في الشعر المنسوب إلى الأحوص ثلاثة أبيات وردت في «خزانة الأدب» ١٩٢/٢ بهذا النص:

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ

بعد شرح البيت قال صاحب «الخزانة»: وهذا البيت أول أبيات ثلاثة نسبت للأحوص أوردها الدميري وابن أبي الأصبع في «تحرير التحبير» والبيتان الآخران هما:

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكِ فَخَبَّرُوْنِي هَنًا من ذاكِ تَكْرَهُهُ الْكِرَامُ

وَلَيْسَ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ بَأْسٌ إِذَا هُوَ لَمْ يُخَالِطْهُ الْحَرَامُ

٩ ــ ويبدو أن المحقق الكريم لم يُشرف على تصحيح تجارب الطبع (البروفات) ولهذا وقعت تطبيعات طفيفة، ومن أمثلتها: ـ

(١) في فهرس الأماكن: عدم ذكر أسماء مثل (أحجار المراء: ٢٧٣، الحِجْر: ٢٤٨، راهط: ٢٤٨).

(٢) وأخطاء في ضبط بعض الأسماء مثل كلمة: (حِبَّر: ١٣٠) حيث وضع على الحاء فتحة والباء شدة وفتحة، بل ورد ص ١٣٠: (حِبِّر ـ بتشديد الباء)

مطالعات في كتاب :

« التعريف بالأنساب والتنويه لذوي الأحساب »

(٢)

حول نسب عسير :

ولكن يبرز هنا سؤال حولَ ما لا يجد الباحثُ له مصدراً في غير هذا المؤلف من الكتب عن أنساب بعض القبائل، ومنها:

١ ــ **فَرَسَان** : فقد ورد عنها في كتاب الأشعريِّ هذا تفصيلٌ لا يجده الباحث فيما بين يديه من المؤلفات، ومن المؤسف أنَّ الأشعرِيَّ لم يُشِرْ إلى مصدره في ذالك، وهكذا يفعل في كثير من المعلومات المتعلقة بأنساب القبائل الأخرى، ولكن لقدمه ولكونه من أهل تِهَامَة التي استقَرَّت قبيلة فَرَسان في الجزر المعروفة بها أمام جازان مما يحمل على الثقة بما ذكر من أنساب تلك القبيلة، فقد يكون تلقَّى معلوماتِهِ عن بعض الفرسانيين أنفسهم.

٢ ــ **عسير** : ونَسَبَ الأَشْعَرِيُّ في هذا الكتاب عَسِيْراً إلى عَبْسِ بن سُحَارة بن غالب بن عبدالله بن عَكٍّ بن عدنان، فقال عن عَبس: له أربعة أولاد ثوبان ومالكَ أمهما هند بنت نَبْتِ بن نهشل أخت غافق وساعدة، وماتت عنده فتزوج

← والصواب هنا بتشديد الراء وكسر الباء والحاء .

والرُّوَيْثَة: ١٦٠ حيث وضع الاسم (الرَّوْثِيَّة) في هذا الصفحة وفي الفهرس.

(٣) أما الإحالة عند ذكر الأسماء إلى صفحات غير صحيحة فهي من الكثرة بمكان وما الغاية من هذا سوى لفت نظر المحقق الكريم عند إعادة طبع الديوان مرة أخرى ان شاء الله .

ولأعُدْ إلى ما أنا بسبيله.

(للحديث صلة) : حمد الجاسر

أختها صعبة بنت نَبْتٍ، فأولد منها ربيعة وعُسَيْرا. وقال في موضع آخر: وأما عُسَيْرُ بن عبس فإنما سُمِّيَ عُسَيْراً لأن أمه تمخضت به ثلاثة أيام وتَعَسَّرَتْ ولادتُهُ فسمي عُسَيْرَ، فأولدَ عُسَيْرُ الحارثَ وعَلْيَان وعُبَيْداً. إلى أن ذكر أن منهم: سَكَنَةُ الوادي ضَمَدٍ (ص ١١٦ المطبوعة).

وهذا القول في نسبة عسير ــ إن أُرِيْدَ به القبيلة المعروفة ــ لم أَرَه لغيره وهو يخالف ماذكر الهمداني وهو أقدم منه وأوثق، ومخطوطة الكتاب ليست على درجة من الصحة تحمل على الثقة بكل مافيها، واسم (عسير) تكرر فيها بضم العين (عُسَيْر) وهذا مما زيد في الشك.

والمعروف أنَّ عَسِيراً من قبائل الأزد ـ أَزْدِ شَنُوْءَةَ ـ وليسوا من عَكٍّ، وإن كان بعض النسابين ينسب عَكًّا إلى الأزد، خلافَ نسبة الأشعري لهم إلى عدنان، ووقوع الاختلاف في نسب عكٍّ أشار إليه قدماءُ علماء النسب، فقد نقل ابن هشام في «السيرة النبوية» ١/٨ عن ابن إسحاق قوله: فمن عدنان تفرقت القبائلُ من ولد إسماعيل، فولد عدنَانُ رَجُلَيْنِ مَعَدَّ بْنَ عدنَان، وعَكَّ بْنَ عدنان، قال ابن هشام: فصارت عَكٌّ في دار اليمن، وذالك أَنَّ عكًّا تزوج في الأَشْعَرِيْن، فأقام فيهم فصارت الدَّارُ واللغَةُ واحِدةً.

أما ابن الكلبي فقد جاء في مختصر كتابه «الجمهرة»: ـ مخطوطة راغب باشا في اصطنبول رقم ٩٩٠ ـ ص ٢١٤/٢٢٣ ـ: ولدَ عكٌّ بن عدنان بن عبدالله بن الأزد الشَّاهِدَ وصُحَاراً، وهو غالب، وسُبَيْعاً ـ درج ـ وقَرْناً، وقد دخل في الأزد. إلى آخر ماذكر.

والإشارة إلى الاخْتلاف في نسبة عَكٍّ إلى عدنان أو إلى الأزد لها صلة بالبحث في نسب قبيلة عَسِير، وهو بحث سبق أن دار النقاشُ فيه قبل أكثر من ثلاثين عاماً، فقد نشرتْ جريدة «اليمامة» (ع ١٦٨ تاريخ ١٢/١٠/١٣٧٨هـ) بحثاً للشيخ هاشم بن سعيد النعمي، حول اشتقاق اسم عَسير، وعن نسبِ القبيلة قال فيه: إنَّ بلاد عسير منسوبة إلى عسير بن عَبْسٍ أحد أولاد عَكٍّ بن عدنان، كما جاء في الرسالة المعروفة بـ «قَمْع المُتَجَرِّي» للمؤرخ حسن بن عبدالله الضمدِيِّ، من علماء (المخلاف السليماني) في القرن الثاني عشر الهجريّ، ونقل نَصَّ كلامه

في تلك الرسالة.

ثم نشرتْ جريدة «اليمامة» (ع ١٧١ تاريخ ١٣٧٨/١١/٩هـ) مقالاً لأمير بلاد عسير الشيخ تركي بن ماضي ـ رحمه الله ـ يتحدث فيه عن نسب عسير حديثاً مُسْتَمَدًّا من عدة مراجع، ومما يرويه الْخَلَفُ عن السلف، من أنَّ سكان هذه المقاطعة من عسير من الأزد، مشيراً إلى اختلاطِ بعض قبائل نِزَارِيَّةٍ في قبيلة عسير، وعَدَّ من تلك القبائل رُفَيْدَةَ وبَنِي مالك أهل تَمَنِّيَة، وبنو شَيْبَة أهل المسقى، وأَهْل القرعاء، وبنو أسامة من تِنْدِحَةَ، وقبيلة كَوْدٍ، وقال: إن هذه القبائل من عَنْزٍ، واستدلَّ على بعض ماذكر بقول الهمداني وابن حزم، وقال عن عسير: إنهم من أَزْدِ شَنُوْءَةَ، نسبة إلى الجبل المعروف بهذا الاسم، الواقع في بلاد بني مالكٍ، على نحو عشرين كيلاً من أَبْهَا، وأوضح بعض أنساب القبائل العسيرية وصلتها بالأزد.

وأشار إلى أنَّ عَكَّ بن عدنان الوارد في كلام المؤرخ الضمدِيِّ، ينتسب إلى عدنان بن عبدالله بن الأزد، واسترسل في الموضوع، واستشهد بقول الشيخ علي ابن حسين الحِفْظِيِّ، في قصيدته التي بعث بها إلى الإمام فيصل بن تُرْكي سنة ١٢٨٦هـ، ومنها في ذكر قبائل عسير:

وفيها لُيُوْثُ الْأَزْدِ مِنْ كُلِّ شِيْعَةٍ يُصَالُوْنَ نَارَ الْحَرْبِ ذَاتِ التَّوَقُّدِ

ومنها:

بِأَيْدِيْ رِجَالٍ مِنْ شَنُوْءَةَ جَدُّهُمْ حَذَا بِهِمُ مَجْداً إِلَى حَذْوِ فَرْقَدِ

وأضافت جريدة «اليمامة» تعليقاً على مقال الأمير تركي ماجاء في كتاب « الإكليل » من نسبة عسير إلى إراشة بن عَنْزِ بن وَائِلٍ، وهو يوافق ماذكره ابن الكلبي في «جمهرة النسب».

ثم عاد الشيخ هاشمُ بن سعيد النَّعْمِيُّ في جريدة « اليمامة » (ع ١٧٨ تاريخ ١٣٧٩/١/٦هـ) للموضوع ببحثٍ يُنْصَبُّ على منزلة الشيخ حسن بن أحمد بن عبدالله الضمدي في العلم، ونقل عنه أنه استوعب في رسالته طرفاً من بطون عكٍّ ابنِ عدنان، الذين نزحوا إلى اليمن، واتخذوا بلادَ الأشعريين دارَ إقامة، ومنهم

الزرانيق والمشارعة، وبنو العُجَيْل، والمعازبة، وبنو ذُؤَال، من ذؤال تفرعت بطون عَكٍّ، كصريف بن ذؤال الذي يُنسَبُ إليه بنو الغزالي، وبنو الهتار، وبنو الشرحي، وبنو مالك بن ذؤال، وبنو شَنُوْءَةَ مِنْ عَكٍّ، ثم قال المؤلفُ: ولم يكن بِنَشُوْءَةَ الذي يضاف إليه الأزد فيقال أزد شَنُوءَةَ، احترازًا من أزد السَّراة، وأَزْدِ عُمَان، وأَزْدِ دَبَا، فكل أولئك أولاد الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبَإِ بْنِ يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بنِ قحطان فالفرق واضح، إلى أن قال: ويلتقِي نسبُ عَسِيْرٍ وثَوْبَانَ في عبس بن شحارة(؟) بن غالب بن عبدالله بن عَكٍّ بن عدنان، وهو بالنون المهملة، وعك بن عُدْثَان، بالثاء المثلثة، هو من الأزد، ثم قال: وقد يغلط في ذالك من لا خبرة له في علم النسب فَتَيَقَّظْ، إلى أن جاء في بحثه مايشعر بأن قبائل مختلطة بعسير ترجع إلى أزْد شنوة من القحطانية ـ كذا قال الشيخ النعمي ـ.

وكان خاتمة النقاش في الموضوع كلمةٌ لأديب بلاد عسير الأستاذ عبدالله بن علي ابنِ حُمَيِّد ـ رحمه الله ـ بعنوان (تعقيب وإيضاح حول نسب عسير) استعرض فيها ما سبقتِ الإشارةُ إليه، وأضاف ماجاء في «السيرة النبوية» عن وفود صُرَدِ بن عبدالله الأزديِّ، إلى النبي ﷺ، في وفد من قومه وأن آثار منازِلِ صُرَدٍ، ومرابطَ خيله لاتزال موجودةً في وادِيْ حَمَرَة، الذي يبعد عن أبها بنحو عشرة أكيال، والْـمُصَاقِبُ لجبال شَنُوْءَةَ التي سكنها أزد شَنُوْءَة، وأشار إلى مدينة جَرَشٍ وآثارها، وذكر أَنَّ علماءَ النسب عددوا أسماء قبائل الأزد، وهي تتشابه مع أسماء بعض القبائل العدنانية، ومن هنا وقع الالتباس كما في (عدنان وعدثان).

وحاول الأستاذ ـ رحمه الله ـ أن يُوْهن قول الهمداني بأن في قبائل عسير من تَنَزَّرَ: (أنَّ عسيرًا يمانيَّةٌ تَنَزَّرَتْ) بل إنَّ راعي الغنم منهم حين يُسْأَل ممن أَنْتَ؟ يقول: من عسير، ثم ينسب عسيراً إلى قحطان.

وأورد من شِعْرٍ عاميٍّ للأمير أحمد بن محمد الجزار الـمَتْحَمِيِّ المتوفى في مطلع القرن الثاني عشر، جاء فيه نسبةُ عسيرٍ إلى قحطان، وأضاف: لا يوجد في قبائل عَسِيْرٍ مَنْ يُنْسَبُ إلى عدنان إلا قيس بن مسعود، وبنو زيد، وبنو جُوْنَةَ أو بنو

في «التعليقات والنوادر» للهجري

- ٧ -

حاتم بن مدرك الحبشي حاتم بن مدرك الحبشي

[بقية القصيدة المنشورة ص٢٥٦ من الجزء الماضي]

فَـمَا هِـيَ إلَّا نَـقْمَـةٌ تُـبْتَـلَى بِهَـا ... كَـمَا كُنْتَ بِالْأُوْلَى الَّتِي قَبْلَهَا تُبْلَى
فَلَيْتَ لَـنَـا عَـدْلاً فَيَحْكُـمَ بَيْنَنَـا ... وَأَهْـوَنُ مِـمَّا بَيْنَنَـا يَبْتَغِيْ عَـدْلاَ
لَـهُ رَبَـذِيٌّ مِـنْ قُـرَى قَـطَرِيَّـةٍ ... شَـدِيْـدٌ جَـدِيْـدٌ مُـدْمَجٌ مُحْكَمٌ فَتْـلاَ
فَيَنْـظُرَ أَسْـوَانَـا إِذَا كَـانَ غَـائِبـاً ... لِصَـاحِبِـهِ عَـيْبـاً وَأَقْبَحَـهُ فِـعْـلاَ
وَأَشْبَهَنَـا وَجْهـاً إِذَا كَـانَ بَـيْنَنَـا ... بَـوَجْـهِ الـظَّلُوْمِ ثُمَّ يُـوْجِعُـهُ غِسْـلاَ
وَيَـشْهَـدُنَـا آلُ الـزُّبَـيْرِ وَهَـاشِـمٍ ... وَآلُ أَبِـي بَكْـرٍ مَجَـالِسَ لاَ تُقْـلَى

← الجون، وسكان جبل صُلَب، فهاؤلاء يقال لهم بكر بن وائل، وقد اندمجوا في رجال أَلْمَعَ، وهم عَسِيْر تِهَامة، فأما إنهم من بكر بن وائل، نزحوا إلى هذه الأصقاع في حروب بكر مع تغلب، أو إنهم من نسل وائل بن حارثة بن عمرو ابن عامر.

وَفَنَّدَ الأستاذ ابن حُمَيِّدٍ القول بأن اشتقاق اسم عسير من وعورة الجبال التي يسكنونها.

ولا يتَّسِعُ المجال للاسترسال في الحديث عن نسب عسير بأكثر من هذا، وإنما الغاية الإشارة إلى أن ما ورد في كتاب الأشعري الذي بين أيدينا من نسبة تلك القبيلة إلى عَكٍّ ليس بين أيدي الباحثين ما يُؤَيِّدُهُ، لا من النصوص القديمة، ولا من الآراءِ والأقوال المعروفة بين النسابين في العهد الحاضر.

وليس النصُّ الوارد في الكتاب من الصحة بالدرجة التي تحمل على الاعتماد عليه، فمخطوطة الأصل مشحونة بالأخطاء، وكلمة (عسير) حيث ما وردت قد كتبت بصيغة تخالف النطق الصحيح لاسم القبيلة.

(للبحث صلة) : حمد الجاسر

وَيُجْلِسُ ذَلْفَاءَ الْمَلِيْحَةَ عِنْدَنَا ... وَجُمْلاً فَإِنَّ الله مَلَّحَ لِيْ جُمْلاَ
هِجَانَانِ قَالَ الله كُوْنَا فَكَانَتَا ... كَمَا قَالَ لاَتَدْرُوْنَ أَيُّهُمَا أَحْلَى
وَذَلْفَاءُ فِيْ غَيْرِ الْتِمَاسٍ لِعَيْبِهَا ... بِغَوْرٍ فَلَمْ تَسْكُنْ دِمَاثاً وَلاَ سَهلا
وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى بِالْبَيَاضِ فَأُعْطِيَتْ ... بَيَاضاً وَلَحْماً مَائِراً وَشَوىً خَدْلاَ
مَلاَ الْعَيْنَ رَيَّا الْحِجْلِ يَلْعَبُ سِمْطُهَا ... كَأَنَّ بِعَيْنَيْهَا وَلَمْ تَكْتَحِلْ كُحْلاَ
فَلاَ يَرْفَعُ الْجَلاَّدُ عَنْهُ سِيَاطَهُ ... بِمَحْضَرِهِمْ حَتَّى يَقُولُوا لَهُ: بَسْلاَ
وَحَتَّى يَرَى آلُ الزُّبَيْرِ وَهَاشِمٍ ... وَآلُ أَبِيْ بَكْرٍ عُقُوْبَتَهُ مَثْلاَ
وَيُقْدَرُ لِلْمَظْلُوْمِ أَنْ يُجْمِعَا لَهُ ... وَيُجْلَدُ أَسْوَاطاً أَشَدُّهُمَا بُخْلاَ

فأجابه عبدالله بن أبي صبح المزني :

أَلاَ حَيِّيَا الذَّلْفَا أَلاَ حَيِّيَا جُمْلاَ ... وَقَوْلاَ: تَغَنَّى حَاتِمٌ بِكُمَا جَهْلاَ

- وستأتي في شعره -.

٥٥ ــ حارث بن سبَّاع المطلي السُّلَمِي

أنشدني[١] لحارثِ بن سَبَّاعِ بن جُوَيْنٍ الْمَطْلِيِّ مِنْ عَمِيْرَةِ خُفَافٍ :

١ ـ لَعَمْرُكَ للثِّمَادُ ثِمَادُ (أُبْلَى) ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ (عَمْقٍ) مُحَيَّا[٢]
٢ ـ مَنَازِلُ كُلِّ أَبْيَضَ مَضْرَحِيٍّ ... كَرِيْمِ الْخَالِ سَادَ بِهَا صَبِيَّا
٣ ـ أَلَمْ تَأْتِ التَّكَاكَةَ قَدْ تَرَاهَا ... كَقَرْنِ الشَّمْسِ بَادِيَةً ضُحَيَّا[٣]
٤ ـ أَلَمْ تَرَ مَاسَقَاكَ الْقَوْمُ عَمْداً ... مِنَ التَّرْغِيْمِ لَمْ يَخْشَوْكَ شَيَّا

فأجابه ، وكان ابن شهاب قال :

١ ـ عَلَوْتُ مِنَ الصَّبَابَةِ رَأْسَ (أُبْلَى) ... فَمَا آنَسْتُ مِنْ (عَمْقَيْنِ) شَيَّا[٤]

---

(١) (٢٦١هـ). والمنشد : هو أبو المضاء سيار بن صخر الناصري أحد بني عتبة من خفاف سليم (٢٦٠هـ/ ٢٦٥هـ).

(٢) (في الأصل: أحب إليه عمق محيا). وفي الهامش: (أراد محيا من الحيا فخفف) وسيأتي ذكر المواضع في القسم المخصص لها.

(٣) في الهامش: (رجل تكيك لا رأي له، بيّنٌ التكاكة).

(٤) في الهامش: (عمق الزروع قرب الفرع).

في أربعة أبيات ترد عند ذكر ابن شهاب .

فردَّ عليه حارِثُ بن سَبَّاعٍ :

١ ـ لَعَمْرُكَ للثِّمَادُ ثِمَادُ (أُبْلَى) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ (عَمْقٍ) مُحَيَّا
٢ ـ مَنَازِل كُلِّ زِنْجِيٍّ بَطِينٍ يَعُدُّ لِطَلْعِهَا عَدَداً وَحَيَّا
٣ ـ إِذَا صَاحَتْ ضَفَادِعُهَا سُحَيْراً عَلَى خُضْرِ النِّجَالِ شَرِبْنَ رِيَّا

٥٦ ــ الحارثـــــــــي

وقال: أنشدني الحارثيُّ من حارِثَةِ جَدِيْلَةِ طَيِّءٍ يمدح فارعَ بنَ جميل بن زَوْلَان السندِيَّ مُرِّيٌّ[1]:

وَقَالَتْ مَعْ مَنَ[2] انْتَ فَإِنَّ قَلْبِي يَخَافُ عَلَيْكَ أَحْدَاثَ الزَّمَانِ
فَقُلْتُ: مَعَ ابْنِ زَوْلَانٍ جَمِيْلٍ فَتَى غَيْظٍ، وَفَرْعُ بني سِنَانِ
فَتَى يُغْلِيْ عَصِيْبَ اللَّحْمِ نِيًّا وَيُرْخِصُهُ عَلَى مَتْنِ الْخُوَانِ
وَأَكْثَرُ هَمِّهِ شَطَنٌ طِوَالٌ وَمَصْقُولٌ وَمَوَّارُ الْعِنَانِ

٥٧ ــ حُبَاب بن بُكَيْرٍ القُشَيْرِيُّ

حُبَابُ بن بُكَيْرٍ الْقُرِّي إلى سلمة بن قُشَيْر[1]:

صَدَعَ الظَّعَائِنُ قَلْبَكَ الْمَشْغُوفَا بِلِوَى (عُرَيْقَةَ) إِذْ أَرَدْنَ خُفُوْفَا
وَلَقَدْ أَقَمْنَ فَمَا قَضَيْتَ لُبَانَةً بِلِوَى (عُرَيْقَةَ) مَرْبَعاً وَمَصِيْفَا

---

(١) (٤٣٢م) ـ لعل القائل (الأشجعي) فهو أقرب مذكور
(٢) فوقها كلمة (صل)

(١) (١٣٤م) القُرِّي : قُرَّة بن هُبَيْرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير (٦١م) نسب أحدهم إلى كتاب الهجري «التعليقات والنوادر» أن هذا الشاعر (جاهلي مُقِلّ)!! انظر «شعراء بني قشير» ١/٣٢٦ مع أنه لم يرد في كتاب الهجري عنه سوى ماتقدم.

٥٩ ــ حَبَشُ بن سعيد النَّهْدِي

وقال: أنشدني[١] أَبُو عُمر الزُّهيريُّ، زُهَيْرُ نَهْدٍ، لحبش بن سعيد بن مجاهر[٢] الأزرقي، أَزْرق نهد، يقولها للمستنير الْعَتَكِي، والعَتِيك بن عمران بن عمرو بن عامر إلى مازن الأَسْد، وهم أهْلُ (وَحْفَةِ الْقَهْرِ) وهم إخوةُ الأَنْصار، وَجَرح يَدَهُ، وهي هاهنا تامة:

١ ـ يَاطُوْلَ لَيْلِكَ بِـ(النُّخَيْلِ) فَـ(بَاقِمٍ) ... فَصُـدُوْرِ (صَالَـةَ) فَالْمَسِيْـلِ الْأَجْـوَفِ
٢ ـ مَنَـعَ الرُّقَـادَ بِهِ الْهُمُـوْمُ فَحِشْوَتِي ... تَـصِـلُ الْأَنِـيْنَ بِـزَفْـرَةٍ وَتَـلَهُّـفِ
٣ ـ وَإِذَا مَلَلْتُ لِجَـانِبٍ عَنْ جَانِبٍ ... عَلَزَ[٣] الأَسَرِّ عَـلَى الْمناخِ الْأَجْنَفِ
٤ ـ أَرْعَى النُّجُـوْمَ كَـأَنَّنِي مُـتَكَـلِّفٌ ... بِـالْـغَـارِبَـاتِ وَبِـالـتَّـوَالِي الْخُـلَّفِ
٥ ـ وَغَـدَرْتَ بِيْ يَـامُسْتَنِـيْرُ وَلَمْ أَكُنْ ... لِأَخِي الْخِـلَالَةِ بِـالْغَـدُوْرِ الْمُقْـرِفِ
٦ ـ يَـا مُسْتَنِيْرُ لَـوَ أَنَّ مَـا آذَنْتَنِي ... وَاللَّيْـلُ فِي عُنُقِيْ وَعَضْبٌ مُـرْهَـفُ
٧ ـ لَـعَلِمْتَ أَيَّ فَـتًى تَـرُوْعُ وَإِنَّـمَا ... عِنْـدَ الْكَـرِيْهَـةِ تُبْتَـلَى أَوْ تَعْـرِفُ
٨ ـ لَوْ كُنْتَ حِيْنَ رَأَيْتَ حُسْنَ صَنِيْعَتِي ... وَرَأَيْـتَ حُسْنَ تَجَـاوُزِي وَتَـعَـفُّـفِـيْ
٩ ـ جَـازَيْتَنِـيْ بِجَـزَاءِ مَـا أَوْلَيْتُكُـمْ ... وَحَمِـدْتَّ رَبَّـكَ بِـالنَّـزِيْـعِ الْمُنْصِفِ
١٠ ـ إِذَا لَرُحْتَ وَشَعْبُ قَوْمِكَ سَالِمٌ ... وَالْحَـرْبُ سَابِـغُ ذَيْلِهَـا لَمْ يُكْشَفِ
١١ ـ لَكِنْ نَبَتْ بِكَ نَخْوَةٌ وَعَـدَاوَةٌ ... فَـجَـمَـعْـتَ بَـيْنَ عَـدَاوَةٍ وَتَـكَـلُّفِ
١٢ ـ يَـا مُسْتَنِـيْرُ لَتَشْـرَبَنَّ بِغِبِّـهَـا ... نَغَـراً تَـدُرُّ بِـهِ الْعَتُـوْمُ وَتَعْـطِفُ
١٣ ـ لَهْفِي بِـقِلَّتِنَـا وَكَثْـرَةِ جَمْـعِكُـمْ ... يَـوْمَ (الْـبِرَاقِ) وَأَنَّـنَـا لَمْ نَضْـعُـفِ
١٤ ـ وَدَعَا أَبُو الْحَجَّاجِ: إِنَّ لَنَا غَدًا ... وَلَـكَ الْعَشِيَّةَ فَـابْـرِ نَبْلَكَ وَارْصِفِ
١٥ ـ فَسَلِ الْقَبَائِلَ هَلْ وَفَى لَكَ وَعْدُنَا ... يَـوْمـاً بِـ(رَهْنَـةَ) وَالْأَسِنَّـةُ تَـرْعُفُ
١٦ ـ وَسَلِ الْقَبَائِـلَ هَلْ شَفَيْنَـا غِلَّنَا ... مِنْكُمْ وَنَضْـحُ دِمَـائِنَـا لَمْ يَقْـرَفِ

---

(١) (٣٩٤م) أبو عمر الزهيري ورد: (أبو عمرو الزهيري) في (٢هـ) و(٣٢٠م) كما ورد في هامش «معجم الشعراء» ـ ٣١٦ تحقيق كرنكو قال الهجري في نوادره: أنشدني أبو عمرو النهدي للفضيل بن صبح العتكي ـ وأورد له رجزاً. وورد في (١٤هـ) و(٧١هـ) و(٣١٧م) و(٣٢٢م) أبو عمر ولا أستبعد أن يكون الصواب (أبو عمرو).

(٢) في «أنساب البلبيسي»: مجاهد ـ في رسم الأزرقي.

(٣) في الأصل: (علن).

١٧ ـ أَضْرَاكَ خَوْضُكَ فِي دِمَاءِ مُرَمِّضٍ ... كَفًّا تُشَلِّلُهَا وَنَفْساً تُدْنِفُ[1]

١٨ ـ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْحِمَامُ لِوَقْتِهِ ... وَجَرَتْ بِنَصْرِهِمُ[2] الْجَوَارِيْ الْعُيَّفُ

١٩ ـ نَزَرَتْكَ نَفْسُكَ فَابْتُلِيْتَ بِحَرِّنَا ... وَالذَّنْبُ مُعْتَلِقٌ بِجِيْدِ الْمُسْرِفِ

٢٠ ـ نَفْسِي فِدَاءُ عِصَابَةٍ سَارَتْ لَكُمْ ... لَمْ يَرْقُبُوا الْحَمَقَ الصَّرِيْحَ الْمُرْدِف

٢١ ـ بَاتُوا وَبَاتَ دَلِيْلُهُمْ يَهْوِي بِهِمْ ... وَهْمٌ يَجُوْبُ بِهِ الْبِلَادَ وَيَعْسِفُ

٢٢ ـ يَهْوِي بِأَبْيَضَ مَخْضَةٍ أَعْرَاقُهُ ... عَارِيْ الْعِظَامِ مِنَ الْبَضِيْعِ مُخَفَّفُ

٢٣ ـ حَتَّى إِذَا وَضَحَ الصَّبَاحُ وَوَاجَهُوا ... خِيَراً[3] تُعَلَّلُ بِالْغِنَاءِ وَتَعْزِفُ

٢٤ ـ تَرَكُوْا مُنَازَلَةَ الْخِطَابِ وَإِنَّنَا ... عِنْدَ الْقَسَامِ بِمِثْلِهَا لَا نُحْسَفُ

٢٥ ـ صَبَحُوْا الْعَتِيْكَ عَلَى تَنَادِي دَارِهَا[4] ... بَعْدَ الصَّرِيْحِ وَجَمْعِهَا الْمُسْتَكْثِفِ

٢٦ ـ رَجْرَاجَةٍ ظَهَرَ الْقَتَامُ لِزَزِّهَا ... وَأَبَتْ نُجُوْمُ نَهَارِهَا لَا تَكْسِفِ

٢٧ ـ نِعْمَ السَّحَابَةُ أَوْشَمَتْ فِيْ أَرْضِكُمْ ... نَزَلَتْ بِحَاشِيَةِ الْجَمِيْعِ الْمُوْلِفِ

٢٨ ـ لِابْنَيْ عُدَيَّةَ حِيْنَ أَشْعِلَ فِيْهِمَا ... مِثْلُ الشَّقِيْقَةِ فِي الْقَنِيْفِ الْمُشْعِفِ

٢٩ ـ مَطَرَتْ فَأَسْبَلَ حِيْنَ أَسْبَلَ وَدْقُهَا ... بِالْمَشْرَفِيَّةِ وَالتِّرَاسِ الرُّجَّفِ

٣٠ ـ بِالْبَيْضِ مُخْلَصَةَ الصِّقَالِ كَأَنَّهَا ... لَمْعُ الْبَوَارِقِ فِي الْحَبِيِّ الْأَكْلَفِ

٣١ ـ كَانَتْ مَوَارِثَ مِنْ جُدُوْدِ جُدُوْدِنَا ... مِنْ عَهْدِ أَسْعَدَ فِي الزَّمَانِ الْمُرْجِفِ

٣٢ ـ نَشْفِيْ بِهَا حَنَقَ النُّفُوْسِ وَنَقْتَضِي ... خَسَفَ الذُّحُوْلِ بِهَا إِذَا لَمْ نُنْصَفِ

٣٣ ـ وَتَنَازَلَتْ أَبْطَالُنَا وَأُسُوْدُكُمْ ... زَحْفَ الْجِمَالِ إِلَى الْجِمَالِ الرُّسَّفِ

٣٤ ـ فَهُنَاكَ بَانَ بَلَاؤُنَا وَبَلَاؤُكُمْ ... وَبَدَا الْعَزِيْزُ مِنَ الذَّلِيْلِ الْأَضْعَفِ

٣٥ ـ وَنَجَا الْمُنِيْرُ وَلَا أَلُوْمُ نَجَاءَهُ ... فِيْ يَافِعٍ شَمَمٍ بَعِيْدِ الْمُشْرَفِ

٣٦ ـ حَتَّى إِذَا سَكَتَ الْوَغَا وَتَجَاوَبَتْ ... بِالنَّوْحِ بَاكِيَةٌ وَأُخْرَى تَهْتِفُ

٣٧ ـ وَنَظَرْتَ بِالْبَصَرِ الْخَسِيْسِ إِلَيْهِمُ ... وَعَلِمْتَ أَنَّ حِسَابَهَا لَمْ يُخْلِفِ

٣٨ ـ وَرَدَدتَّ بِالْكَفِّ الْعَدُوْلِ لِأُخْتِهَا ... وَهُنَاكَ ذُقْتَ نَدَامَةَ ابنِ الْمُخْطِفِ

٣٩ ـ فَرَجَعْتَ تَنْظُرُ هَلْ تَجَلَّى غَمْرُهَا ... وَالنَّقْعُ يَظْهَرُ فِي الْعَجَاجِ الْمُعْصِفِ

---

(١) في الهامش: (مرمض من نهد. دَنَفت وأدنفها جارحها).

(٢) قد يكون الصواب (بنصركم).

(٣) في الهامش: (خِيَرُ قَوْمٍ: خِيَار). (٤) لعلها: (تنائي دارها).

٤٠ ـ لَيْتَ الْمَقَابِرَ يَوْمَ (ذَات قُتَايِدٍ) جُلِيَتْ فَتَنْظُرَ نَظْرَةً يَايُوْسَفُ[1]

٤١ ـ فَتَقَرَّ عَيْنُكَ مِنْ خَلِيْلِكَ طَارِقٍ وَبَنِي أَبِيْهِ وَيُوْسَفَ بْنِ مُطَرِّفِ

٤٢ ـ حَتَّى تَرَى وأُسُوْدُ قَوْمِكَ تَقْتَضِيْ بِالْمَشْرَفِيَّةِ وَالْقِسِيِّ الْعُطَّفِ

٤٣ ـ مَاشِئْتَ مِنْ بَطَلٍ يَجُوْدُ بِنَفْسِهِ قَعْصاً وَمُنْعَفِرِ الْجَبِيْنِ مُسَيَّفِ

٤٤ ـ قَسَمَ الْمُشَطَّبُ شَعْبَ هَامَةِ رَاسِهِ كَفِضَاضِ هَيْضِ الْعُلَّفِ[2]

٤٥ ـ وَمُقَيَّدٍ قَصَرَ الْمَشَاقِصُ خَطْوَهُ يَقْطُوْ كَمَا يَقْطُوْ الْحَسِيْرُ الْمُزْحِفِ

٤٦ ـ مِلْ آنَ حَدِّثْ مَا أَرَدتَّ مُحَلَّلاً إِنْ شِئْتَ فَاصْدُقْهُمْ وَإِلاَّ فَاخْصِفِ[3]

٤٧ ـ وَظَنَنْتَ أَنَّكَ سَوْفَ تَجْعَلُ صَابَتِي لَهْواً تَعِلُّ بِهِ الرِّفَاقَ وَتُوْجِفُ

٤٨ ـ كَذَبَتْكَ مُخْبِرَةُ الْحَلاَءِ وَإِنَّمَا تُنْبِيْكَ ظِنَّتَهَا بِـ(ذَاتِ الْأَجْرُفِ)

٤٩ ـ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا الطُّلاَبَةَ لَمْ تَذُقْ نَوْماً وَضَاقَ بِذَرْعِكَ الْمُتَصَرَّفُ

٥٠ ـ وَمَلِلْتَ بَاقِيَةَ الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا لَيْسَ الْخَبِيْرُ بِنَا كَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ

٥١ ـ فَاصْبِرْ فَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ وَصَرَّحَتْ كُحْلٌ وَبَانَ مِنَ الْخَفَاءِ الْمُخْتَفِي

٥٢ ـ وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ قَدْ نَشِبْتَ بِشَوْكَةٍ حَجْنَاءَ مِنْ شَوْكِ الْقَتَادِ اللُّفَّفِ

٥٣ ـ وَنَصَبْتَ كُفَّةَ عَاثِرٍ فَوَطِيْتَهَا وَشَدَدْتَّ جُرَّتَهَا بِحَبْلٍ مُحْصَفِ

٥٤ ـ تُمْشِي بِكَفِّكَ وَسْطَ قَوْمِكَ سَالِماً وَبَنَانُ كَفِّي فِي الرِّدَاءِ مُلَفَّفُ

٥٥ ـ قَوْلِيْ إِذَا كَذِبٌ وَقَوْلُكَ صَادِقٌ وَبَنُو أَبِيْكَ إِذَا أَعَزُّ وَأَشْرَفُ

٥٦ ـ كَلاَّ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِلٰهِهِ وَالطَّالِعَاتِ بِهِمْ غَدَاةَ الْمَوْقِفِ

٥٧ ـ لاَزَالَ كَرُّكَ فِي الطِّرَادِ وَكَرُّهُمْ عَيْنٌ مَوَدِّيَةٌ وأُخْرَى تَذْرِفُ

٥٨ ـ حَتَّى تُرَاعَ مِنَ الصَّبَاحِ بِغَارَةٍ تَشْفِيْ أَوَائِلُهَا صُدُوْرَ الْحُسَّفِ

٥٩ ـ يُوْفُوْنَ دَيْنَكَ بِالْقَضَاءِ وَإِنَّمَا قَدْرُ الْقَضَاءِ بِقَدْرِ دَيْنِ الْمُسْلِفِ

٦٠ ـ إِنِّيْ حَلَفْتُ لَتَبْشَمَنَّ بِغِبِّهَا وَلَتَبْشَمَنَّ بِهَا وَإِنْ لَمْ أَحْلِفِ

٦١ ـ يَانَفْسُ لَسْتُ بِقَائِلٍ لِبَنِيْ أَبِي حُكْماً وَإِنْ جَارَ الْقَضَاءُ وأَسْرَفُوا

٦٢ ـ حَتَّى يَعُوْدَ الْمُسْتَنِيْرُ كَمَا بَدَا كُلٌّ يُعَانِقُ عَظْمَ كَفٍّ أَجْدَفِ

٦٣ ـ حِيْنَئِذٍ يَفِقُ القضا يسْتَوى[4] وَتَقَرُّ عَيْنُ الطَّالِبِ الْمُسْتَأْسِفِ

---

(١) في الهامش: (فتح السين لغة نهد).

(٢) كذا ويستقيم بإضافة (فتطايرت). (٣) في الهامش: (اكذب).

(٤) كذا ولعله (يقف القضاء ويستوي).

٦٤ ـ لولا لِنَأْخُذَ منْكُمُ مُتَحَيِّراً[1] تَدْعُو قَرَائِبُهُ بِجَدْعِ الْأَنفِ
٦٥ ـ صَعْبَ الظُّلَامَةِ مَاجِدًا فِي قَوْمِهِ مِمَّنْ تَلُوْذُ بِهِ الْحُرُوْبُ وَتَعْطِفُ
٦٦ ـ لَقَدِ اعْتَبَطْنَا مِنْكُمُ ذَا ثَرْوَةٍ ضَخْمَ الدَّسِيْعَةِ آمِناً لَمْ يُقْرِفِ
٦٧ ـ لكِنْ نُؤَخِّرُهَا لِنَجْعَلَ حَرَّهَا بِأَخِي الْجَزِيْرَةِ وَالنَّوَارِ[2] الْمُطْنِفِ
٦٨ ـ حَتَّى تَقُولَ عَوَاذِلٍ لِعَوَاذِلٍ يَالَلرِّجَالِ لِطَعْنَةٍ لَمْ تَشْطِفِ
٦٩ ـ إن[3] تَرَوْهَا كَالَّذِي أَخْبَرْتُكُمْ حَذْوَ الْمُمَثَّلِ نَعْلَهُ لَمْ تَخْصِفِ
٧٠ ـ فَاسْتَيْقِنُوا أَنِّي لِحَصَّاءِ الْقَفَا سَوْدَاءَ غَانِيَةٍ لِعَبْدٍ أَغْلَفِ
٧١ ـ إِنْ لَمْ أَرُعْكَ بِهَا كَأَنَّ حَرِيْقَهَا لَهَبٌ تُثَقِّبُهُ شَمَالٌ حَرْجَفُ
٧٢ ـ فَعَدِمْتُنِي وَعَدِمْتُ مَنْ أَدْعُو بِهِ وَلَقِيْتُ عَاجِلَةَ الْمَنَايَا الْحُتَّفِ
٧٣ ـ أَنْ سَوْفَ تُوْشِكُ أَنْ تُلَاقِيَ عُصْبَةً غُشْمَ اللِّقَاءِ بِكُلِّ عَضْبٍ مُرْهَفِ
٧٤ ـ وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ قد بُلِيْتَ بِمَعْشَرٍ قُدُمٍ عَلَى قَتْلِ الْكَمِيِّ الْمُتْرَفِ
٧٥ ـ لَا يَحْفِلُوْنَ إِذَا أَحَلَّ بِقَتْلِهِ مَاكَانَ مِنْهُ بِرَهْوَةٍ وَتَعَطْرُفِ
٧٦ ـ أَبْنَاءُ كُلِّ كَرِيْمَةٍ مَرْبُوْبَةٍ لَمْ تَسْقِ قَيْمَهَا بِكَأْسِ الْقَرْقَفِ
٧٧ ـ كَتَمُوْا الضَّمِيْرَ فَلَا يَبُوْحُ بِسِرِّهِمْ خَبَرُ الصَّبِيِّ وَلَا الْعَجُوْزُ الْهَفْهَفُ
٧٨ ـ لايسترون بنا الْعَنَا بِدِمَائِهِمْ[4] قَوَدَ الْعَنُوْدِ إِلَى الْفَصِيْلِ الْمُخْلِفِ
٧٩ ـ فَهُمُ الْمُنِيَّةُ فَانْتَظِرْ لِمَنَائِهَا إِنَّ الْمَنِيَّةَ غَائِبٌ لَا يُخْلِفُ

٦٠ ــ حبيب بن كبير العامري

وأنشدني[1] لحبيب بن كبير العامري عامر عكرمة:

١ ــ وَأُنبِئْتُ جُمْلًا بِالْغِنَى قَدْ تَبَجَّحَت كِلَانَا إِذًا والله يَاجُمْلُ بَاجِحِ
٢ ــ فَمَا بَأْسُ أَنْ نَغْنَى وَتَغْنَيْ وَيَنْقَضِي بَقَايَا الْهَوَى وَالْعَهْدُ يَاجُمْلُ صَالِحِ
٣ ــ وَلَوْ يَعْلَمِ الْوَاشِونَ مَاذَاتِ بَيننا وَلَمْ يَنْمِ مَا نَلْقَى مِنَ النَّاسِ كَاشِحُ[2]

(١) لعله. (متخيراً). (٢) كذا (النوار).
(٣) لعلها: (إن لم تروها). (٤) كذا.
(١) (٤٤٩هـ) المنشد: رحال بن عمرو من بني عامر عكرمة، وهم فصحاء.
(٢) فوق كلمة ذات (بكسر التاء).

وله أيضاً :

١ ـ لَنَـا إِخْـوَةٌ عَنَّـا تَحِيْـدُ وَتَنْتَحِي وَقَدْ عَصَبَتْنَا الْحَرْبُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

بفتح الصاد من عَصَب يَعْصَبُ وهي اللغة، ومن غيرها يَعْصِب، ومن العَصْب العَصِيب.

٢ ـ تَـرَى حِيْنَ تَلْقَاهَا رِجَـالاً كَثِيْرَةً شَرَاحِبَـةً مِثْـلَ الْجِمَـالِ الْمَصَـاعِبِ
٣ ـ فَـإِنْ نَحْنُ قُلْنَا وَازِرُوْنَـا تَعَلَّلُوْا عَلَيْنَـا بِعِـلاَّتِ الضُّـرُوْبِ الْمُـوَارِبِ
٤ ـ وَقَـالُوْا لَنَـا: إِنَّـا نَخَـافُ وَنَتَّقِيْ مُحَـاذَرَةً أَنْ يَحْـطِبَ الشَّرَّ حَـاطِبُ
٥ ـ وكيف التوقِّي أي بني العم بعدما جَلاَ الشَّكُّ وَالْعَمْيَاءَ عَنْكَ التَّحَـارُبُ
٦ ـ تَجَمَّـعَ أَلْفَافُ الْقَبَـائِلِ كُلِّهَـا لِبَـارِقَـةٍ مَـا الْخَـالُ مِنْهَـا بِكَـاذِبِ
٧ ـ بَنِي عَمِّنَا ذُوْدُوا الْعُدَى عَن رِقَابِكُمْ وَلاَ تُحْجِـرُوْا مِثْلَ انْحِجَـارِ الثَّعَـالِبِ
٨ ـ وَلاَ يَكُ جَدْوَاكُمْ إِذَا الْحَرْبُ شُبِّبَتْ بِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْـلَ نَارِ الْجُبَـاحِبِ
٩ ـ فَلَمْ يَمْنَعِ الأَقْوَامُ يَوْماً حَـرِيْمَهُمْ بِمِثْـلِ التَّـوَاسِيْ وَالسُّيُـوفِ الْقَـوَاضِبِ
١٠ ـ وَبَـذْلِهِمُ فِيْ الْحَرْبِ كُـلَّ مُهَنَّدٍ حَـلِيٍّ نَـوَاحِيْـهِ حُسَـامِ الْمَضَـارِبِ
١١ ـ وَلَنْ يَقْطَعَ الآجَالَ أَنْ تَرِدُوْا بِهَا مَـدَارِ الصَّـوَادِي لِلسِّمَـالِ النَّـوَاضِبِ
١٢ ـ بَنِيْ عَمِّنَـا إِنَّ الْحَيَـاةَ مُعَـارَةٌ لِـوَقْتٍ وَإِنَّ الْمَـوْتَ لاَبُـدَّ وَاجِبُ

٦١ ـ حبيب بن زيد

حبيب بن زيد[1]:

١ ـ وَكُنَّـا ظَنَنـا أَنَّ جُمْـلاً هِيَ الْمُنَى حَيَـاءً وَدِيْنـاً ثُمَّ قَـدْ عِيْبَ دِيْنُهَـا
٢ ـ وَكُنَّـا ظَنَنَّـا أَنَّهَا مَـاءُ مُـزْنَـةٍ مِنَ الْمُزْنِ لم تَـطْنَفْ لِشَيْءٍ يَشِيْنُهَـا

٣ ـ طَنَفَ يَطْنَفُ، مثل: دنا يدنو، فمعناه أنها لم تَدْنُ من أُمٍّ رِيبةٍ.

(١) (١٥٩م). لا أستبعد أن (زيد) هنا هي (يزيد) في اسم الشاعر بعد هذا، وأن أحد الاسمين خطأ من الناسخ، وما أكثر خَطأه

٦٢ ــ حبيب بن يزيد القشيري

وأنشدني لحبيب بن يزيد أحدِ بني معاوية بن قشير صاحب جُمْلٍ[١]:

١ ـ أَرَانِيَ مِنْ جُمْلٍ كَرَاجِي نَخِيْلَةٍ ... حَيَاهَا لِقَوْمٍ نَازِحِيْنَ حُرُوْبِ
٢ ـ أَبِيْ صِبْيَةٍ تَأْوِيْ عَلَيْهِ شَوَارِفٌ ... خُشُوْلٌ كِرَاءٍ كُلُّهُنَّ شَسُوْبُ
٣ ـ إِذَا مَاتَضَاغَوَا فَابْتَغَى الدَّرَّ لَمْ يَكُنْ ... لَهُمْ بِأَنَاضِيِّ الشَّقِيِّ حَلُوْبُ[٢]
٤ ـ فَوَجْدِيْ بِجُمْلٍ وَجْدُ ذَاكَ بِبَارِقٍ ... مُخِيْلٍ تَلَقَّتْهُ صَبَاً وَجَنُوْبُ
٥ ـ يَرَى بَرْقَهَا يَأْتَجُّ[٣] وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ ... فَشَبَّ إِلَيْهِ مِنْ هَوَاهُ شَبُوْبُ
٦ ـ تُهَارُ[٤] بِهِ أَرْضٌ وَكَانَ لِغَيْرِهَا ... وَإِنَّ الَّتِي هُرَّتْ بِهِ لَجَدُوْبُ

وأنشدني لحبيب بن يزيد أحدِ بني معاوية بن قُشير[٥]:

١ ـ وَلَمَّا رَأَيْتُ الْهَاتِفِيْنَ وَرُفِّعَتْ ... إِلَى اللهِ بَيْنَ (الأَخْشَبَيْنِ) السَّوَالِفُ
٢ ـ دَعَوْتُ بِأَنْ يَاذَا الْمَعَارِجِ وَالْعُلَى ... أَرَى كُلَّ ذِيْ بَثٍّ بِكَ الْيَوْمَ هَاتِفُ
٣ ـ أَثِبْنِيْ بِإِحْسَانٍ جَمَالٍ[٦] فَإِنَّنِي ... لَكَ الْيَوْمَ عَانٍ فِيْ الْعِبَادَةِ كَالِفُ

وله أيضاً[٧]:

١ ـ إِنِّي بُلِيْتُ بِجُمْلٍ وَهْيَ نَاشِئَةٌ ... ثُمَّ ابْتُلِيْتُ بِجُمْلٍ أُمَّ صِبْيَانِ
٢ ـ إِنْ تَمَنَّيْتُ مِمَّا قَدْ لَقِيْتُ بِهَا ... حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنَّ النَّاسَ عُمْيَانُ
٣ ـ تَعْمَى قُلُوبُهُمْ عَنَّا وَأَعْيُنُهُمْ ... وَأَنَّهُمْ بَعْدَ مَا يَعْمَوْنَ صُمَّانُ
٤ ـ حَتَّى أُكَلِّمَ جُمْلاً لَا يُنَغِّصُنِيْ ... تَكْلِيْمَهَا آخِرَ الْأَيَّامِ إِنْسَانُ
٥ ـ حَتَّى أُدَاوِيَ قَلْباً هَائِماً صَدِياً ... كَمَا يُدَاوَى بِبَرْدِ الْمَاءِ حَرَّانُ

حبيب بن يزيد، أحد بني معاوية بن قشير[٨]:

---

(١) (٥٢م) وهناك صاحب آخر لجمل هو عبدالله بن عاصم العائذي ـ سيأتي ـ.
(٢) (مهازيل وحليب جمل نضو) من الهامش.
(٣) تحت كلمة: يأتج. (يضيء ويستوقد).
(٤) تحت كلمة: تُهَار: (تُغْبَطُ).
(٥) (٦٣م) (٦) كذا (جمال) وقد تكون (جَمَاكَ) (٧) (٦٣م). (٨) (٧٩م).

١ ـ يَـقُـوْلُ عَـلِيٌّ وَالْمَـطِيُّ كَـأَنَّـهُ ... بِنَا يَوْمَ (بَـرْقَاءِ[1] الـدُّخُولِ) جَهَـامُ
٢ ـ قَطَعْتَ الْقُوَى مِنْ حَبْلِ جُمْلٍ فَأَصْبَحَتْ ... كَـأَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا عَلَيْـكَ ذِمَـام
٣ ـ وَكَيْفَ وَطُولُ النَّأْيِ يَـزْرَعُ حُبَّهَا ... كَـمَا زَرَعَتْ حَـرْثَ الْمُـرِقِّ رِهَـامُ[2]
٤ ـ يَـزِيْـدُ كَـمَا زَادَ الْهِـلَالُ رَأَيْتَـهُ ... عَـلَى خَـيْرِ قَـدْرٍ طَـالِعـاً لِتَمَـامِ

ولحبيب بن يزيد[3]:

١ ـ قَضَتْكَ جَدِيْدَ الصَّرْمِ جُمْلٌ وَلَمْ تَكُنْ ... إِذَا دَايَـنَتْ يُـقْضَى وَفَـاءً غَـرِيْمُـهَـا
٢ ـ كَتَمْتُ هَوَى جُمْلٍ لِيَخْفَى فَبَيَّنَتْ ... بِـهِ لِلْعِـدَا عَـيْنٌ طَـوِيْـلٌ سُجُـومُهَـا
٣ ـ كَشَنَّـةِ مُلْتَـاحٍ إِنِ الْـمَاءُ بَلَّهَـا ... أَرَشَّتْ بِمَـا فِيْهَـا عَلَيْـهِ هُـزُوْمُهَـا
٤ ـ رَعَى طَرْفَهَا الْوَاشُوْنَ حَتَّى تَبَيَّنُـوا ... هَوَاهَا وَقَدْ يَقْضِي عَلَى النَّفْسِ شُوْمُها

حبيب بن يزيد صاحب جمل[4]:

١ ـ تَعَـرَّضَ نِسْوَةٌ بِقُصُـوْرِ (حَجْرٍ) ... مَـلِيْـحَـاتُ الـتَّـخَـلُّبِ وَالـدَّلَالِ
٢ ـ وَقُلْنَ الْعَـامِـرِيُّ قَضَى لِجُـمْـلٍ ... أَرَاهُ اللهَ كَـفَّـهُ فِي غِـلَالِ
٣ ـ أَلَـيْسَ اللهَ يَـعْـلَمُ أَنَّ قَـلْبِـي ... لِـقَـصْـمَاءِ الـثَّـنِـيَّـةِ غَـيْرُ قَـالِ
٤ ـ لَـرَبَّـاتُ الشِّمَـالِ أَوَدُّ عِنْـدِيْ ... وَأَحْـلَى مِـنْ مُـزَعْـفَـرَةِ الـسِّـبَـالِ

حبيب بن يزيد المعاوي قُشَيْري[5]:

١ ـ أَرَى (الرَّيْبَ) أَمْسَى مِنْ جُبَيْلٍ وَبَيْهَسٍ ... وَأَحْمَـدَ مُـغْـبَرَّ الْجَـوَانِبِ خَـالِيَـا
٢ ـ لَقَدْ كَانَ عَمِّي بَيْهَسٌ وَابْنُ عَمِّهِ ... شِفَـاءً لِمَنْ يَبْغِيْ مِنَ الذُّلِّ شَـافِيَا
٣ ـ فَتًى لَا يَرَى خِذْلَانَ جَارِهِ رِفْعَةً ... إِذَا بَلَغَتْ نَفْسُ الْجَبَـانِ الـتَّرَاقِـيَـا
٤ ـ وَلَا يُمْكِنُ الْحُجَّـازَ مِنْـهُ لِـعِـزَّةٍ ... إِذَا الْقَـوْمُ هَـزُّوْا لِلطِّعَـانِ الْعَـوَالِيَـا
٥ ـ وَكُنْتُ كَذِيْ نَبْلٍ جِيَاد رَمَى بِهَا ... فَلَمْ يَبق إِلَّا فِي الْجَفِـيْرِ الـتَّـوَالِيَـا
٦ ـ كَفَى حَزَناً أَنِّيْ إِذَا جِئْتُ لَا أَرَى ... عَـلَى ثُـلَلِ الْأَطْـوَاءِ إِلَّا الْمَـوَالِيَـا
٧ ـ قُعُـوْداً عَلَيْهَـا يَنْفِضُـوْنَ لِحَـاهُمُ ... كَـمَا نَفَضَتْ خَيْـلٌ جِيَـادٌ مَحَـالِيَـا

---

(١) في الهامش: (برقاء بئر بالعارض نجدية).
(٢) في الهامش: (رقيق الزرع). (٣) (٧٩م). (٤) (٨٩م). (٥) (١٤٦م).

حبيب بن يزيد[1]:

١ ـ تَزَوَّحْتُ مِنْ أَهْلِ (الْأُطَيَّاء) مُمْسِياً ... وَفِي الْقَلْبِ مِنْ أَهْلِ (الْأُطَيَّاءِ) هَاجِسُ[2]
٢ ـ وَفِيْهِمْ عُدًى لَوْ يَقْدِرُوْنَ احْتَسَوْا دَمِي ... وَوَدُّوْا بِأَنْ قَدْ غَيَّبَتْنِي الرَّوَامِسُ
٣ ـ فلا عُدِمُوا[3] مِثْلِي إِذَا الْخَيْلُ أَحْدَقَتْ ... وَقَدْ ضَبَحَتْ بَيْنَ الْأَكُفِّ الْمَقَاوِسُ
٤ ـ فَثَمَّ يُفَدُّوْنِي بِجَدِّ أَبِيْهِمُ ... وَأَضْرِبُ قَبْلَ الذَّمْرِ والرِّيْقُ يَابِسُ

وأنشدني أبو لاحق مُدْرِكُ بن حُنْدجٍ اللَّبِيْدِيُّ، لصاحب جُمْلٍ، وهو أَتَمُّ روايةً من أُمِّ قُرَيْدٍ الزهيرية من جُشَم[4]:

١ ـ وَمَازَالَ فِيْنَا مُنْذُ أَدْرَكَ عِلْمُنَا ... لِسَاكِنِ خَيْمَاتِ (الْعُذَيْبِ) قَتِيْلُ
٢ ـ خَلِيْلَيَّ إِنْ حَانَتْ وَفَاتِيَ فَاطْلُبَا ... دَمِيْ عِنْدَ جُمْلٍ وَاطْلُبَا بِجَمِيْلِ
٣ ـ وَلَا تَأْخُذَا بِي أَيِّماً تَظْلِمَانِهَا ... فَإِنَّ الْأَيَامَى لَسْنَ لِي بِتُبُولِ
٤ ـ وَلَكِنْ خُذَا بِيْ ذَاتَ بَعْلٍ مَحَلُّهَا ... أَرَاكُ وَخَيْمٌ بِـ(الْعُذَيب) ظَلِيْلُ

وروى أبو لاحقٍ بعدَ هذا البيت: ومازال فينا ـ وروته أم قريد أَوَّلَ المقطوعة، وروى أبو سليمان هذه الأبيات وقال: لا أدري أَهِي فيها أم لا:

٥ ـ سَأَلْتُكَهَا يَارَبِّ سِرًّا وَمُعْلِناً ... فَأَحْوَجُ ذِيْ بَثٍّ وَغَيْرُ مَسُوْلِ[5]
٦ ـ فَإِنْ تُعْطِنِيْ جُمْلاً أُثِبْكَ عِبَادَةً ... وَأُصْرِمْ لِجُمْلٍ حَبْلَ كُلِّ خَلِيْلِ
٧ ـ وإِنْ تَكِ[6] الْأُخْرَى فَلَا تَحْرِمَنِّي ... تَعَزِّيَ صَبْرٍ عَنْ جَمَالِ جَمِيْلِ

ولا أدري هذه الأولى أم لا، قال: وأنشدني أيضاً:

٨ ـ لَعَمْرُكَ مَا اسْتِخْبَارِيَ الرِّيْحُ كُلَّمَا ... جَرَتْ مَوْهِناً مِنْ نَحْوِكُمْ بِقَلِيْلِ
٩ ـ وَإِنَّ ارْتِفَاقِيْ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ ... إِذَا مَا نَبَا بِي مَضْجَعِيْ لَطَوِيْلُ

---

(١) (١٧١م). (٢) في الهامش: (بئار مطوبات في الريب).
(٣) في الهامش: (عُدِموا فعلَ لم يسم فاعله).
(٤) (٢٨٣م) ليس في الأصل ما ينص على أن هذه القصيدة لحبيب بن يزيد ولكنها منسوبة لصاحب جمل، وجمل لها صاحبان أحدهما حبيب بن يزيد هذا، والثاني: هو عبدالله بن عاصم العائذي العقيلي، الذي أورد له الهجري بيتين من الشعر يظهر أنهما من رواية عقيلي من قومه، ومهما يكن فقد أشار الهجري عند ذكر العائذي العقيلي الاختلاف في صاحب جمل.
وأرى هذه الأبيات أشبه بشعر حبيب بن يزيد.
ويظهر أن في الأصل نقصاً مادام وُصف الشعر بالتمام ولم يورد سوى أبيات، ومافي الأصل بعدها كلام في اللغة، لا صلة له بهذا الشعر.
(٥) كذا (وغير) ولعل الصواب: (وخير). (٦) يستقيم الوزن: (وإِنْ تكن الأخرى).

ما اتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

ـ ٧٠ ـ

٣٠٠ ـ بَابُ خُدَد ، وَحَدَد[١]

أَمَّا الْأَوَّلُ ـ: بِضَمِّ الْخَاءِ وَبِدَالَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ: ـ مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ سُلَيْمٍ ، وَعَيْنٌ بِهَجَرٍ[٢].

وَأَمَّا الثَّانِي ـ: بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْبَاقِيْ نَحْوَ الْأَوَّلِ ـ: جَبَلٌ مُطِلٌّ عَلَى تَيْمَاءَ، يَهْتَدِيْ بِهِ الْمُسَافِرُ[٣].

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ بِنَصِّهِ.

(٢) قَالَ نَصْرٌ : أَمَّا بِضَمِّ الْخَاءِ: مِنْ دِيَارِ سُلَيْمٍ الَّتِي يُشْرِفُ عَلَيْهَا حَضَنُ، يُذْكَرُ مَعَ جِلْذَانَ مِنَ الطَّائِفِ، وأيضاً: عَيْنٌ بِهَجَر وَتَقَدَّمَ ـ فِي حَرْفِ الْجِيْمِ الْبَاب الـ (١٧٦) قَوْلُهُ: الْخُدُودُ صُقْعٌ نَجْدِيٌّ قُرْبَ الطَّائِفِ، وأَظُنُّهُ الْخُدَدَ، وَقِيْلَ: خُدَاد. وَلَمْ يَرِدْ يَاقُوتُ على القَوْلِ ـ بِضَمِّ أَوَّلِه وَفَتْحِ ثَانِيْهِ كَأَنَّهُ جَمْعُ خُدَّةٍ وَهُوَ الشَّقُّ فِي الْأَرْضِ ـ: وَهُوَ مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي سُلَيْمٍ، وخُدَدُ أَيْضاً عَيْنٌ بِهَجَر. انتهى. أَمَّا الَّذِيْ فِي دِيَارِ بَنِي سُلَيْمٍ فَيُفْهَمُ مِنْ كَلَامِ نَصْرٍ أَنَّهُ يَقَعُ فِي جَنُوبِهَا وَلَكِنَّ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ الْمُشْرِفَةِ عَلَى حَضَنٍ بَعِيْدَةٌ عَنْ بِلَادِ سُلَيْمٍ ، وفِي بِلَادِ سُلَيْمٍ فِي تِهَامَةَ قَرْيَةٌ لَهُمْ تُدْعَى الْخُدَدَ فِي وَادِي سَايَة ـ انظر «العرب» س ٧ ص ٥٨٠ ـ وفي كتب الْمَسَالِك فِي وَصْفِ أَحَدِ طُرُقِ مَكَّةَ إِلَى الْيَمَنِ يَرِدُ ذِكْرُ خُدَدٍ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ ـ ولَا يُعْرَفُ الآن، أَمَّا الْعَيْنُ الَّتِي فِي هَجَرٍ «الْأَحْسَاءِ» فَمِنْ أَشْهَرِ عُيُونِ تِلْكَ الْجِهَة، ويُنْطَقُ اسْمُهَا الآن (الخُدُود) وتَقَدَّمَ نَحْوُ هذا فِي حَرْفِ الْجِيْمِ (بَاب جَدُوْدٍ وَجَرُودٍ).

(٣) نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ إِلَّا كَلِمة (يَهْتَدِيْ به) مُصَحَّفَةٌ فِي كِتَابِهِ (يَبْتَدِئُ به) وَأَضَافَ: (ويُصَحَّفُ بِالْجِيْمِ) وعِنْدَ يَاقُوت: حَدَدُ جَبَلٌ مُطِلٌّ عَلَى تَيْمَاءَ ، وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيْتِ: حَدَدُ أَرْضٌ لِكَلْبٍ عَنِ ابْنِ الْكَلْبِي قَالَهُ فِي شَرْحِ قَوْلِ النَّابِغَةِ:

سَاقَ الرُّفَيْدَاتِ مِنْ جَوْشٍ وَمِنْ حَدَدٍ ... وَمَاشَ مِنْ رَهْطِ رِبْعِيٍّ وَحَجَّارِ

وَحَدَدُ الْجَبَلُ الْمُشْرِفُ عَلَى تَيْمَاءَ يُرَى منها رأي العَيْنِ ويُعْرَفُ الآنَ بِاسْمِ (جَبَل غُنَيْم) تَسْمِيَةً حَدِيْثَةً ـ وانظُرْ عَنْهُ كتاب «في شمال غَرْبِ الْجَزِيْرَةِ»

٣٠١ ــ بابُ خُرْمَان، وجُذْمَان، وجِرْمَاز[١]

أَمَّا الْأَوَّلُ: بِضَمِّ الْـخَاءِ وَسُكُوْنِ الرَّاءِ ـ: خُرْمَانُ جَبَلٌ عَلَى ثمانية أَمْيالٍ مِنَ الْبُقْعَة الَّتِي يُحْرِمُ مِنْهَا أَكْثَرُ حَاجِّ الْعِرَاقِ، وَعَلَيْهِ عَلَمٌ وَمَنْظَرَةٌ كَانَ يُوْقَدُ عَلَيْهَا لِهِدَايَةِ الْـمُسَافِرِيْنَ، وَمِنْهُ يَعْدِلُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَنْ طَرِيْقِ أَهْلِ الْكُوفَةِ[٢].

وَأَمَّا الثَّانِي: ـ أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَضْمُومَةٌ ثُمَّ ذالٌ مُعْجَمَةٌ سَاكِنَةٌ ـ: مَوْضِعٌ بِالْـمَدِيْنَةِ، كَانَ أَحَدَ آطَامِهِمْ سُمِّيَ بِهِ لِأَنَّ تُبَعاً كَانَ قَطَعَ نَخْلَهُ مِنْ أَنْصَافِهَا لَـمَّا غَزَا يَثْرِبَ[٣].

وَأَمَّا الثَّالِثُ: بِكَسْرِ الْـجِيْمِ بَعْدَهَا رَاءٌ سَاكِنَةٌ وَآخِرُه زَايٌ[٤]:

بِنَاءٌ عَظِيْم وكَانَ عِنْدَ أَبْيَضِ الْـمَدَائِنِ، فَعَفَى أَثَرُهُ.

---

(١) عِنْد نَصْرٍ: ـ في حَرْفِ الْجِيم ـ: بَابُ الْجِرْمَازِ، وخُرْمَانَ، وجُذْمَانَ.

(٢) خُرْمَانُ قَالَ نَصْرٌ: وأُمُّ خُرْمَانَ جَبَلٌ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْعُمْرَةِ الَّتِيْ يُحْرِمُ مِنْهَا أَكْثَرُ حَاجِّ الْعِرَاقِ، وَعَلَيْهِ عَلَمٌ وَمَنْظَرَةٌ، وَكَانَ يُوْقَدُ عَلَيْهَا لِهِدَايَةِ الْـمُسَافِرِيْنَ، وعِنْدَهُ بِرْكَةُ أَوْطَاس، وَمِنْهَا يَعْدِلُ أَهْلُ الْبَصْرَةِ عن طَرِيْقِ الْكُوْفَةِ. انتهى وعِنْدَ يَاقُوْتٍ نَصُّ كَلَامِ الْـحَازِمِيِّ سِوَى (الْبُقْعَةِ) فَهِيَ عِنْدَهُ (الْعُمْرَةِ) كَمَا فِي كِتَابِ نَصْرٍ. ومَا أَرَى (الْعُمْرَةَ) إِلَّا تَصْحِيْفَ (الْغُمْرَةِ) ـ بِالْغَيْنِ الْـمُعْجَمَة ـ اسْمَ مَوْضِعِ إِحْرَامِ حاجِّ الْكُوفَةِ، كَمَا فِي كِتَابِ «بِلَادِ الْعَرَب» ـ ٣٧٦ ـ: أَهْلُ الكُوفَة يُحْرِمُونَ بِغُمْرَة، وأَهْلُ الْبَصْرَةِ بِوَجْرَةَ، وهُمَا يَتَرَاءَانِ، وبَيْنَهُمَا نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخَ، بَيْنَهُمَا جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ الْكُرَاعُ، ويَجْتَمِعُ طَرِيْقُ الْبَصْرَةِ وَالْكُوْفَةِ بِأُمِّ خُرْمَانَ. انتهى ونَقَلَ يَاقُوتُ عَنْ ابْنِ السِّكِّيْتِ عَنْ أَبِي مَهْدِيٍّ: أُمُّ خُرْمَانَ مُلْتَقَى حَاجِّ الْبَصْرَةِ وَحَاجِّ الْكُوفَة، وهِيَ بِرْكَةٌ إِلى جَنْبِهَا أَكَمَةٌ حَمْرَاءُ عَلَى رَأْسِهَا مَوْقِد. انتهى. وَلَا تَزَالُ الْبِرْكَةُ مَعْرُوفَةً، وَقَدْ رُمِّمَ قَصْرُهَا، وَأُصْلِحَتْ البركَةُ وتقع في الشمال الشرقيِّ مِنْ بَلْدَةِ عُشَيْرَةَ بنحو ١٥٠ كيلاً (بِقُرْبِ خَطِّ الطول: ٤٥/٤٠° وخطِّ الْعَرْضِ: ١٤/٣٢°).

وأضافَ يَاقُوت: خُرْمَانُ كذا ضَبَطَهُ الْـحَازِمِيُّ وَقَالَ: حَائِطُ خُرْمَانَ بِمَكَّة، عِنْدَ صَفِيِّ السِّبَاب. وَلَا أَدْرِي مَصْدَرَ يَاقُوتٍ إِذْ لَيْسَ هَذَا فِي كِتَابِ الْـحَازِمِيِّ، ولكنَّهُ صَحِيْحٌ، وَمَوْقِعُ ذالِك الحائِطِ يُعْرَفُ الآنَ بِالْـخُرْمَانِيَّةِ فِي مَحَلَّةِ الْـمَعَابِدَةِ.

(٣) جُذْمَانُ: قَالَ نَصْرٌ: وأَمَّا بِضَمِّ الْـجِيْمِ ودَالٍ سَاكِنَةٍ مُعْجَمَةٍ وآخِرُهُ نُوْنٌ: ثُمَّ نَصُّ قَافِي كِتَابِ الْـحَازِمِيِّ وَلَـمْ يَزِدْ يَاقُوْتُ سِوَى شاهِدٍ مِنْ شِعْرِ قَيْسِ بْنِ الْـخَطِيْم:

كَـأَنَّ رُؤُوْسَ الْـخَـزْرَجِـيِّـيْنَ إِذْ بَـدَتْ ... كَتَائِبُنَا تَبْرِي مَعَ الصُّبْحِ ـ حَنْـظَلُ

فَـلَا تَقْـرَبُـوا جُـذْمَـانَ إِنَّ حَـمَـامَـهُ ... وَجَـنَّـتَـهُ تَـأْذَى بِـكُـمْ فَـتَـحَـمَّـلُوا

(حَمَامَهُ) كَذَا في «ديوان قَيْس» و«معجم البلدان» وأَرَاهَا (جمامَهُ) بِالْـجِيْمِ ـ وَفِي «المغانم» و«وفاء»: (جِرَارَهُ).

وَذَكَرَ السُّمْهُودِيُّ فِي «وَفَاءِ الْوَفَا» أنه من حُصُونِ الأَوْس، وأَنَّ تُبَّعاً أَمَرَ بِحَرْقِ نَخْلِ أُحَيْحَةِ بْنِ الْـحُلَاحِ لما تَحَصَّنَ بِحِصْنِهِ ـ يَعْنِي جُذْمَانَ ـ.

(٤) الْـجِرْمَازُ عِنْدَ نَصْرٍ ـ نَصُّ ما أَوْرَدَ الْـحازِمِيُّ، وكَذَا يَاقُوت.

٣٠٢ ــ بَابُ خَرَابٍ، وجُرَابٍ، وجُرَافٍ، وَحِدَابٍ[١]

أَمَّا الْأَوَّلُ ـ: بِفَتْحِ الْخَاءِ ـ: خَرَابُ الْمُعْتَصِمِ مَوْضِعٌ كَانَ بِبَغْدَادَ، إِلَيْهِ يُنْسَبُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ الْبَغْدَادِيُّ وَيُعْرَفُ بِالْخَرَابِيِّ، حَدَّثَ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ إِسْحَاقَ الْمُسَيَّبِي وَغَيْرِهِ، وَحَدَّثَ عَنْهُ أَبُو بَكْرِ بْنِ مُجَاهِدٍ، وأَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ الْمُنَادِي[٢].

وَأَمَّا الثَّانِي ـ: أَوَّلُهُ جِيمٌ مَضْمُومَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوُ الْأَوَّل ـ: اسْمُ بِئْرٍ كَانَتْ بِمَكَّةَ قَدِيماً، قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ وأَنْشَدَ الشَّاعِرُ:

سَقَى اللهُ أَمْوَاهاً عَرَفْتُ مَكَانَهَا جُرَاباً وَمَلْكُوماً وبذَّرَ وَالْغَمْرَا[٣]

وَأَمَّا الثَّالِثُ ـ: آخِرُهُ [فَاءٌ] والْبَاقِي نَحْوَ مَا قَبْلَهُ ـ: ذُوْ جُرَافٍ، وَادٍ يُفْرِغُ فِي السُّلَيِّ[٤].

وَأَمَّا الرَّابِعُ ـ: أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ بَعْدَهَا دَالٌ مُهْمَلَةٌ وَآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ، فِيْ شِعْرِ جَرِيْرٍ:

فَقَدْ جُرِّدَتْ يَوْمَ الْحِدَابِ نِسَاؤُهُمْ فَسَاءَتْ مَجَالِيْهَا وَقَلَّتْ مُهُوْرُهَا

قَالَ أَبُو عُبَيْدَة: الْحِدَابُ: مَوْضِعٌ بِحَزْنِ بَنِي يَرْبُوْعٍ وَكَانَتْ فِيْهِ وَقْعَةٌ لِبَكْرِ بْنِ

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ فِي حَرْفِ الْجِيْم ـ: (بَابُ جُرَاد، وجِدَاد، وَحِدَاد، وجُراب، وجُرَاف).

(٢) لَمْ يَذْكُرْهُ نَصْرٌ فِي الْبَابِ المذكُورِ. وَلَمْ يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَى مَافِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ غَيْرَ مَنْسُوبٍ.

(٣) جُرَابُ قَالَ نَصْرٌ: وَأَمَّا بِضَمِّ الْجِيْمِ وَرَاءٍ مَفْتُوْحَةٍ وَآخِرُهُ بَاء مُوَحَّدةٌ: مَاءٌ حِجَازِيٌّ، وَلَمْ يَزِدْ، وعِنْدَ يَاقُوتٍ: جُرَابُ اسْمُ مَاءٍ، وقِيْلَ بِئْرٌ بِمَكَّةَ قَدِيْمَة، قَالَ الشَّاعِرُ ـ وَأَوْرَدَ الْبَيْتَ ـ وَلَمْ أَرَ فِي تاريخي مَكَّةَ لِلْفَاكِهِيِّ والأَزْرَقِيِّ ذِكْراً لِبِئْرِ جُراب، ولكن فيهما بِئْرِ أَبِي جُرَاب، وما أَرَاهَا المذكُورَة هنا.

(٣) جُرَافُ ـ عِنْدَ نَصْرٍ: وَأَمَّا بَدَلُ الْبَاءِ فَاءٌ: ذُو جُرَافٍ وَادٍ يُفْرِغُ فِي السُّلَيِّ. وَلَمْ يَزِدْ يَاقُوتُ عَلَى هذَا. وأَصْلُهُ فِي كِتَاب «بِلَادِ الْعَرَب» ـ ٣٠٢ ـ فِي وَصْفِ الطَّرِيْقِ مِنْ حَجْرٍ إِلَى الْبَصْرَةِ ـ بِاخْتِصَارٍ ـ: ثُمَّ تَرْكَبُ الْقُفَّ فَتَأْخُذُ عَلَى وَادٍ يُقَالُ له ذُو جُرَافٍ وَهُوَ يَفْرِغُ فِي السُّلَيِّ فَتَجْزَعُهُ عَرْضاً، ثُمَّ تَجْزَعُ أَنْفَ الْحَرْمَلِيَّةِ ـ وَهِيَ رَمْلَةٌ، ثُمَّ تَجْزَعُ وَادِي بَنْبَانَ، وَهُوَ وَادٍ يُفْرِغُ فِي رِيَاضٍ يُقَالُ لَهَا السُّلَيُّ ـ إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ ـ والسُّلَيُّ مَعْرُوفٌ، والرَّمْلَةُ تُدْعَى رَمْلَةَ بَنْبَانَ، وجُرَاف يُدْعَى الآن (أَبَا الجِرْفان) وَكُلُّ هذِهِ المواضِع بَلَغَهَا عُمْرَانُ مَدِيْنَةِ الرِّياض (حَجْرٍ قَدِيْماً).

وَائِلٍ عَلَى بَنِي سَلِيْطٍ فَسَبَوْا نِسَاءَهُمْ(٥).

(٥) جِدَابُ لَمْ يذْكُرْهُ نَصْرٌ فِي هَذا الْبَاب، وَفِي «معجم البلدان» جِدَابُ بِالْكَسْرِ وآخِرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وهو جمع حدب، وَهِيَ الْأَكَمَةُ، وقِيْلَ الْحَدَبُ حُدُوْرٌ فِي صَبَبٍ. وَجِدَابُ مَوْضِعٌ فِي حَزْنِ بَنِي يرْبوع، كَانَتْ فِيْهِ وَقْعَةٌ لِبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ عَلَى بَنِي سَلِيْطٍ، فَسَبَوْا نِسَاءَهُمْ فَأَدْرَكَتْهُمْ بَنُو رِيَاحٍ وَبَنُو يَرْبُوعٍ فَاسْتَنْقَذُوْا مِنْهُمْ نِسَاءَهُمْ، وجَمِيع مَاكَانَ فِي أَيْدِيْهِمْ مِنَ السَّبْيِ. قَالَ جَرِيْرٌ ـ الْبَيْت، ولاَ أَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُوْنَ (الْجِدَابُ) هُنَا وَصْفاً لا عَلَماً، جَمْعَ حَدَبٍ، وهِيَ الآكَامُ.

وَمِمَّا زَادَ نَصْرٌ:

١ ـ جُرَادُ ـ بِضَمِّ الْجِيْمِ ويَلِيْهَا رَاءٌ وآخِرُهُ دَالٌ مُهْمَلَتَانِ: رَمْلَةٌ عَرِيْضَةٌ بَيْنَ الْبَصْرَةِ والْيَمَامَةِ فِي دِيَارِ بني تَمِيْمٍ، بَيْنَ حَائِلٍ والْمَرُّوْتِ، وقِيْلَ: فِي دِيَارِ بَنِي عَامِرٍ، وَقِيْلَ: أَرْضٌ بَيْنَ عُلْيَا تَمِيْمٍ وسُفْلَى قَيْسٍ، وقيل: جَبَلٌ. انتهى وللحازميّ فِي حَرْفِ الجِيْمِ (بابُ جُرَادٍ، وحُدَادٍ) وتَقَدَّمَ، أَمَّا يَاقُوْتُ فَأَوْرَدَ نَصَّ كَلاَمِ نَصْرٍ مَنْسُوباً إليه ولكِنَّهُ قَالَ قبله: جُرَادُ ـ بِالضَّمِّ بِوَزْنِ غُرَابٍ ـ: مَاءٌ عِنْدَ الْمَرُّوْتِ، كانَتْ وَقْعَةُ الكُلاَبِ الثانية، قَالَ جَرِيْرٌ:

وَلَقَدْ عَرَكْنَ بِآلِ كَعْبٍ عَرْكَةً ... بِلوَى جُرَادَ، فَلَمْ يَدَعْنَ عَمِيْدَا
إِلَّا قَتِيْلاً قَدْ سَلَبْنَا بَزَّهُ ... تَقَعُ النُّسُوْرُ عَلَيْهِ أَوْ مَصْفُوْدَا

وَفِي الْحَدِيْثِ أَنَّ حُصَيْنَ بْنَ مُشَمِّتٍ وَفَدَ عَلَى النبي ﷺ فَبَايَعَهُ عَلَى الإِسْلاَمِ، وَصَدَّقَ إِلَيْهِ مَالَهُ، فَأَقْطَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِيَاهاً عِدَّةً مِنْهَا جُرَادُ، ومِنْهَا السُّدَيْرَة والثُّمَادُ، والْأُصَيْهِبُ... وَقَالَ ابنُ مُقْبِلٍ:

لِلْمَازِنِيَّةِ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ ... مِمَّا رَأَتْ أَوْدُ فَالْمِقْرَاةُ فَالْجُرَعُ
مِنْهَا بِنَعْفِ خُفَافٍ والْقَبَائِضِ مِنْ ... وَادِيْ جُفَافٍ مَرًا دُنْيَا وَمُسْتَمَعُ

أَرَادَ مَرْأً دِنِيًّا فَخَفَّفَ الْهَمْزَةَ. انتهى. قَدْ يُسَمَّى الْمَاءُ بِاسْمِ ما يَقَعُ بِقُرْبِهِ مِنَ الْمواضِعِ، وَادٍ أَوْ جَبَلٍ أَوْ مَكَانٍ، ومِنْ ذَالِكَ جُرَادُ ـ الْوَارِدُ فِي الْحَدِيْثِ، فَاسْمُ جُرَادٍ يَقَعُ عَلَى رَمْلَةٍ عَظِيْمَةٍ، وَاقِعَةٍ غَرْبَ الْمَرُّوْتِ الْمِنْطَقَةِ الَّتِي فِيْهَا الْمِيَاهُ المذكُورَةُ، كَمَا أَوْضَحَ ذَالِكَ صَاحِبُ كِتَابِ «بِلاَدِ الْعَرَبِ» ـ ٣٦٧ ـ فَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْمَرُّوتَ وَمِيَاهَهُ تِلْكَ قَالَ: فَإِذَا جُزْتَ أَهْوَى فَمِنْ وَرَائِهَا مُوَيْهَةٌ يُقَالُ لَهَا الأَسْوَدَةُ، ثُمَّ تَجُوْزُ فَتَعْبُرُ رَمْلَةً يُقَالُ لَهَا جُرَاد، وَهِيَ رَمْلَةٌ عَظِيْمَةٌ، فَإِذَا جُزْتَ جُرَادَ فِي مَكَانٍ مِنْ حَايِلٍ يُقَالُ لَهَا الْهَلْبَاء ـ إِلَى آخِرِ مَا ذَكَرَ ـ وَرَمْلَةُ جُرَادٍ تُعْرَفُ الآنَ بِاسْمِ نُفُوْدِ السِّرِّ ـ النُّفُوْدُ جِبَالُ الرَّمْلِ الْمُسْتَطِيْلَة، وَكَذَا هَذِهِ الرَّمْلَة ـ والْهَلْبَاءُ تُعْرَفُ الآنَ بِاسْمِ حَدْبَاءِ قِذْلَةَ. والْمِنْطَقَةُ وَاقِعَةٌ بَيْنَ إِقْلِيْمِ الْوَشْمِ شَرْقاً، وإِقْلِيْمِ السِّرِّ غَرْباً.
٢ ـ جِدَادُ قَالَ نَصْرٌ: وَأَمَّا بِكَسْرِ الْجِيْمِ وبِدَالَيْنِ: مَوْضِعٌ أَحْسَبُهُ بَيْنَ بَادِيَةِ الْكُوْفَةِ والشَّامِ. انتهى وتَقَدَّمَ كَلاَمُ الْحازِمِيِّ، والْعَجِيْبُ أَنَّ صَاحِبَ «مُعْجَم البلدان» أَوْرَدَ كَلاَمَ نَصْرٍ بِنَصِّهِ غَيْرَ مَنْسُوبٍ إِلَيْهِ، فَحَسِبَ الْمَوْضِعَ كَمَا حَسِب!!

٣ ـ خِدَادُ ـ قَالَ نَصْرٌ: وأَمَّا بِكَسْرِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَدَالَيْنِ: جَاءَ فِي الشِّعْرِ، وأُرَيْدَ ـ فِيْمَا أَظُنُّ ـ الْمُخَدَّدَ ـ مَوْضِعٌ ذُوْ نَخْلٍ. وعِنْدَ يَاقُوْتٍ: لَعَلَّهُ مِنَ الْخَدِّ وَهُوَ الشَّقُّ فِي الْأَرْضِ قَالَ أَبُو دُوَاد يَصِفُ خُمُولاً:

تَرْقَى وَيَرْفَعُهَا السَّرَابُ كَأَنَّهَا ... مِنْ عُمَّ مَوْثِبَ أَوْ ضِنَاكِ خِدَادِ

كعب بن مشهور المُخبّلي
لا المُخَبّل القيسي

لفت نظري ما قرأت في «مجلة مجمع اللغة العربية» بدمشق المجلد الـ (٦٠) ص ٣٠٢ أثناء تتبعي لما كتب عن «نوادر الهجري» في بحث ممتع لأستاذنا الجليل أحمد راتب النفاخ عند ذكر قصيدة لكعب بن مشهور المُخَبَّلي، وردت في الجزء المطبوع من «نوادر الهجري» وأشار الأستاذ صبحي البصام في مجلة المجمع إلى أن أحد أبياتها ورد في «الأغاني» للمخبل السعدي، فقد علق الأستاذ أحمد بما نصه: (هذا ما قاله الأستاذ، كأنه يرى المخبل القيسي واسمه كعب شاعراً آخر غير الذي أنشد له الهجري ما أنشد وهُوَ هُوَ، فما كعب بن مشهور المُخَبَّلي إلاَّ تَحْرِيْفَ كَعْبٍ المشهور بالْمُخَبَّلِ). انتهى.

وَدَفعني هذا إلى البحث عن كعب المشهور بالمُخَبَّل، ومع أنني رأيتُ الآمِدِيَّ في كتابه «المؤتلف والمختلف» عَدَّ من يُطْلق عليه لقب المخبل بين ثُمَالِيٍّ وَسَعْدِيٍّ وقُرَيْعِي، ثم أضاف اسم كعب المخبل، وقال: إنه أعرابي لا يَعْرِفُ نَسَبَهُ[١].

وجاء صاحب كتاب «معجم الشعراء» فقال: كعب هو المخبل القيسى، حجازي إسلامي[٢]. وأورد له ثلاثة أبيات من الشعر من قصيدتين مختلفتين، وقَبْل الآمدِيِّ والمرزبانيِّ ترجم صاحب «الأغاني»[٣] مَنْ سَمَّاهُ المخبل القيسي ترجمة موجزة مع إيراد خبر وقوعه في هوى ابنة عم له تدعى مَيْلاء أخت لامرأته، ثم هربه إلى الشام حياءً من إخوتها. وعودته بعد ذلك، في قصة لاشك أنها مصنوعة مع إيراد مقطوعات من الشعر نسبها الهجريُّ لكعب بن مشهور المخبلي.

ويأتي ابن حجر في «الإصابة» في الكلام على المخبل السعدي فيقول[٤]: وفي الشعراء أيضاً المخبل العبدي(؟) اسمه كعب بن عبدالله العبسي(؟)، ذكر له أبو الفرج في «الأغاني» ووكيع في «غرر الأخبار» قصةً طويلة مع زوجته أم عمرٍو وأختِها سلا[٥]، وإياهما عنى بقوله في الأبيات المشهورة:

مِنَ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دَيْنِي عَلَيْهِمَا ... مَلِيَّانِ لَوْ شَاءآ لَقَدْ قَضَيَانِي
خَلِيْلَيَّ أَمَّا أُمُّ عَمْرٍو فَمِنْهُمَا ... وَأَمَّا عَنِ الْأُخْرَى فَلَا تَسْلَانِي

ويأتي صاحب كتاب «تزيين الأسواق في أخبار العشاق» فيورد فصلاً بعنوان «أخبار كعب وصاحبته ميلا) يستهله بقوله: هو أبو خثعم كعب بن مالك أو عبدالله أو خثعم ابن لابي(؟) بن رباح بن ضمرة، طائِيٌّ من عرب الحجاز يعرف بالمخبل[٦]. إلى آخر ما ذكر من قصة غرامه بميلاء أخت زوجته أُمِّ عَمْرٍو، وهربه إلى الشام، وعودته منها ووفاته سَاعَة أن علم بموت صاحبته ودفنهما متجاورين، ويورد من أشعاره أبياتاً أولها:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ مِنْ بَارِحِ الْهَوَى إِلَى الشَّمِّ مِنْ أَعْلَامِ مَيْلَاءَ نَاظِرُ؟

وقصيدة مطلعها:

خَلِيْلَيَّ قَدْ رُضْتُ الْأُمُوْرَ وَقِسْتُهَا بِنَفْسِي وَبِالْفِتْيَانِ كُلَّ مَكَانِ

اتضح لي مما تقدم أمران:

١ ــ أن جميع الأشعار الواردة في الكتب التي تقدم ذكرها يمكن إرجاعها إلى شاعر واحد لما بينها من الاتفاق في كثير من الأبيات والتشابه من وجه آخر.

٢ ــ أن الباحث لا يجد في المصادر المذكورة ما يُعَوِّلُ عليه لمعرفة ما يوضح جوانب لابد من معرفتها عن كعب المخبل القيسي فصاحب « الأغاني » ـ وأكثر من جاء بعده يرجع إليه ـ سماه كعباً وقال: بأنه رجل من قيس، وأن منزله ومنزل أهله في الحجاز، وأنه رمى بنفسه نحو الشام حياءً حين وقع في غرام أخت زوجته.

ويأتي الآمدي فيصرح بجهله بنسبه، ولم يأت المرزبانيُّ بشيءٍ أكثر مما ذكر صاحب «الأغاني» في النسب ولا في التعريف بشيء من أحوال الرجل.

أما صاحب «الإصابة» فَيُغْرِب حين يقول: وفي الشعراء المخبل العبدي اسمه كعب بن عبدالله العبسي. ويحيل إلى «الأغاني» وإلى كتاب آخر للقاضي وكيع (محمد بن خلف بن حيان).

ومن الممكن أن يقال بأن كلمة (العبسي) مصحفة عن (القيسي) ولكن ماذا يقال عن كلمة (المخبل العبدي) ومثل هذا يقال عما أورد داود الأنطاكي في «تزيين الأسواق» وتقدم كلامه.

وهذان الأمران يحملان على الجزم بأن كعبًا المخبل لايزال مجهولاً.

ولكن كعب بن مشهور المخبلي قد أوضح الهجريُّ من جوانب حياته ما يحمل على الجزم بأنه هو صاحب الشعر الذي تقدمت الإشارة إليه، إذْ جاء في كتابه مانصه: كعب بن مشهور الْـمُخَبَّلي من جَلِيْحَةِ خثعم صاحب ميلاء وتغرب بمصر[٧].

وهو يورد ذكره في مواضع من كتابه فيكتفي بنسبته إلى قبيلته خثعم كأن يقول: كعب بن مشهور الخثعمي أحد بني الْـمُخَبَّل[٨].

وقد يورده منسوباً إلى جَلِيْحةَ الفرع المعروف من أكلب من خَثْعَم مضيفاً: صاحب أم عمرو. ويسميه[٩].

وفي كتاب «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب رواة الآثار» لِلرُّشَاطِـيِّ[١٠]: المخبل في خثعم، ذكر الهجريُّ كعبَ بن مشهور الْـمُخَبَّلِي من بني الْـمُخَبَّلِ من جَلِيْحَةِ من خثعم.

وفي كتاب الهجري له مقطوعات من الشعر نحو مئة واثنين وثلاثين بيتاً ومنها ما يتفق مع كثير من الشعر الوارد في «الأغاني» وفي غيره من الكتب التي سبقت الإشارة إليها.

وسيرد شعره في محله من (الشعر والشعراء في نوادر الهجري).

حمد الجاسر

الحواشي:

(١) : ٢٧١ تحقيق عبدالستار فراج. (٢) : ٢٣٥ من تحقيقه أيضًا.
(٣) : ٢٣/٥١٠ . (٤) : رقم ٨٣٨١ . (٥) : الصواب (ميلاء).
(٦) : (١٧٠). (٧) : (٣٩٤) المخطوطة الهندية من «التعليقات والنوادر».
(٨) : (١٣٠ و٣١٥) من المخطوطة المصرية و(٦١ و٩٨ و٣٩٤) من المخطوطة الهندية «نوادر الهجري».
(٩) : (٤٤٣) من المخطوطة المصرية «نوادر الهجري». (١٠) : المخطوطة التونسية.

حول كتاب «المعجم الجغرافي المختصر»:

قـــرى القـــوز

كتب الأخ الكريم غازي بن أحمد بن علي الفقيه رسالة مطولة حول ملاحظاته على كتاب «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» المختصر الذي طالعه الأخ متقصياً عما يتعلق ببلدة القوز التابعة لمنطقة القنفذة من إمارة منطقة مكة المكرمة، وهاهو خلاصة ما لاحظه الأخ الكريم:

وقد خرجت من تتبع مؤلفكم بالملاحظات التالية، ولقد بادرت بكتابتها نظراً لرغبتكم التي اطلعت عليها ضمن صفحات «المعجم» منها:

١ ــ ذكرتم أن القرى التابعة (للقوز) يبلغ تعدادها (٧٥ قرية) ولم أجد سوى (٧٤ قرية) بما فيها البلدة الرئيسة القوز. ولقد أضفت في البيان المرفق مسميات لقرى لم يرد ذكرها في المؤلف فأرجو إضافتها وهي (شَيْعْ وحَدَب).

٢ ــ لاحظت ورود أسماء حارات قديمة كتبت على أنها قرى تتبع للقوز ومنها (الدار العليا والدار الوسطى) والحقيقة أنها حارات قديمة ضمن البلدة الرئيسة القوز ولعل السبب يعود لجهل من زودكم بتلك المعلومات.

٣ ــ ذكرتم أن في القوز مورد ماء واحد والحقيقة أنه يوجد خمسة موارد ماء قديمة ولقد ذكرتها لكم في البيان المرفق لإدراجها ضمن مؤلفكم.

٤ ــ وجدت ضمن القرى التي ذُكرت أنها تتبع القوز مسميات لقرى لم يثبت لي أنها تتبع القوز كما أن أسماءَها غريبة عن نطاق البيئة المحيطة بالقوز ولعل خطأ قد حدث عند الجمع أثناء الطبع وتأكيداً على ما أقول فقد جاوز عمري الآن الخامسة والثلاثين وإنني لم أسمع بتلك التسميات وقد بحثت عنها جاهداً فتبين لي أن بعضاً من تلك القرى تتبع مراكز وإمارات غير القوز ومثالاً على ذالك:

١ ــ شامانة المساعيد. ٢ ــ الهاجرية.

٥ ــ من خلال اطلاعي على كامل القرى التي تتبع منطقة القنفذة بصورة عامة وجدت أخطاءً كثيرة ـ ولكنني أرجأت الحديث عنها لكي يتم الاتصال من قبلكم بمراكز وإمارات المنطقة الفرعية من جديد لتجديد معلوماتكم عن المنطقة لاسيما وأن جميع قرى المنطقة الآن مليئة بالمدارس والمتعلمين متمنياً أن توفقوا في العثور على من يزودكم بصحيح المعلومات عن المنطقة وقراها لتدوينها في «المعجم».

(★) وهذا بيان يوضح أسماء القرى التي تتبع القوز فعلاً مع ذكر القبيلة التي تسكن كل قرية وكتابتها بالشكل الصحيح(★):

اسم القرية في «المعجم»	اسمها الصحيح	القبيلة التي تسكنها
١ ـ أبو جرار	أبو جُرَارْ	بني يعلى
٢ ـ أبو الرَّخَم	أبو الرُّخَم	بني يعلى
٣ ـ أبو قرين	أبو قُرَين	فقهاء بني يعلى
٤ ـ أم القضا	أم القَضَاه	بني يعلى
٥ ـ الثلاثاء	ثُلاثاء يَبَه	نواشره وعذَقَّة
٦ ـ جبيع	جَبِيْعْ	نواشرة قُحْمَان
٧ ـ الجرد	الـجَرَدْ	شَوَاردَه
٨ ـ الـحجف	الـحَجْفْ	خَوالِده قَوازِيَة
٩ ـ الحدبة	الحَدَبَه	مَقَاعِدَة
١٠ ـ الحويرس	الحُوَيْرِسْ	بني يعلى
١١ ـ حبيل	الحَبِيْلْ	مَقَاعِدَة من قرى القوز لَا القنفذة.
١٢ ـ دار الأشراف	دار الأشْرَاف	دَوَاحِجَة قَوَازِيَة ليست قرية بل حارة.
١٣ ـ الدار العليا ١٤ ـ الدار الوسطى		بعض حارات القوز القديمة وليستا قريتان قوازية.
١٥ ـ الدجرية	الدِّجْرِيّة	بني يعلى

١٦ ـ الدعاشيش		تتبع للقوز وليس للقنفذة كما ذكر في ص (٥٧٥) من «المعجم»
١٧ ـ بني سحار	بن سْحَاره	بني يعلى
١٨ ـ السرير	السِّـرْ	نواشرة
١٩ ـ السمرة	السُّمَرَه	يتبع للقوز وليس للقنفذة ويسكنها سُمَرَه قوازية
٢٠ ـ شعبة الكجمان	شعبة الكُجْمان	مَرَاحِبَه
٢١ ـ الصهوة	الصَّهْوَة	عُمور قوازية
٢٢ ـ الضيقة	الضَّيْقَه	نواشره
٢٣ ـ قحزه	قَحْزَه	شوارده
٢٤ ـ القحمانية	القُحْمَانْ	قُحْمان نواشرة وذكر أن بها إمارة وهذا غير صحيح.
٢٥ ـ القضب	القَضَبْ	عمور قوازية ونواشرة.
٢٦ ـ قنبور	قَنْبُور	فقهاء مقاعِدَة ونواشرة.
٢٧ ـ القوز	القوز (قوز أبي العير)	قوازية اسم صحيح
٢٨ ـ كباد	كِيَادْ	بني يعلى
٢٩ ـ الكدسة	الكِدسَة	بني يعلى
٣٠ ـ المحسنية	المِحْسِنّية	محاسنة نواشرة، مورد ماء
٣١ ـ المدارسة	المداوِسَة	بني يعلى
٣٢ ـ المدرج	المِدْرِجْ	فقهاء بني يعلى وفقهاء عقالية ونواشره (إحدى حارات القوز).
٣٣ ـ المساعدة	المَسَاعِرَة	بني يعلى
٣٤ ـ مشرف	مِشْرِف	عمور قوازية
٣٥ ـ المظلف	المَظْلَفْ	عمور قوازية ونواشرة
٣٦ ـ المناديل	المَناديل	اشراف قوازية
٣٧ ـ المنكسر	المِنْكَسَرْ	بني يعلى
٣٨ ـ المنقره	المَنْقَره	بني يعلى

٣٩ ـ المواجده	المَواجِده	بني يعلى	
٤٠ ـ الطينه	الطِّينه	نواشره	
٤١ ـ عريجه	عِريْجَه	عمور قوازية	
٤٢ ـ أم البعر	أم البعر	بني يعلى	أسماء مندثرة
٤٣ ـ أم الثور	أم الثور	بني يعلى	
٤٤ ـ أم الضان	أم الضأن	بني يعلى	
٤٥ ـ البكارية	البكادية	بني يعلى	
٤٦ ـ الحبانة	الحبانه	بني يعلى	
٤٧ ـ الجنيته	الخبيته	بني يعلى	
٤٨ ـ دار الزيلعى	دار الزيلعى	بني يعلى	
٤٩ ـ السودة	السواده	بني يعلى	
٥٠ ـ المسليم	أم سليم	بني يعلى	
٥١ ـ المناعة	المناعه	بني يعلى	
٥٢ ـ عسيله	عسيله (وهي غير عسيلة التي تتبع مركز دوقة	بني يعلى	
٥٣ ـ الفارعة	فارعة النورية السفلى والعليا	سَادة بني يعلى	

(★) قرى لم نعثر لها على علاقة بإمارة مركز القوز وقد تكون تتبع مراكز أخرى.

١ ـ أبو العزم ص ١٦٥.

٢ ـ أحد المشايخ ص ١٧٨ كما أن أحد المشعل المذكور في نفس الصفحة هي أحد المشقَلْ وتتبع لقبيلة بني زيد بها مركز.

٣ ـ أم العيب ص ٢٢٨.

٤ ـ أم النور ص ٢٣٩.

٥ ـ الباطن ص ٢٥٣.

٦ ـ البطارية ص ٢٨١.

٧ ـ الجدة ص ٣٥٦.

٨ ـ الجلية ص ٣٧٨.

٩ ـ الحاجب ص ٣٩٩.

١٠ ـ دار صاخت ص ٥٦٠.

١١ ـ الساعد ص ٥٥٨.

١٢ ـ شامانه المساعيد ص ٧٦٣.
١٣ ـ القحمانية ص ١١٧٣.
من قرى مركز دوقة
١٤ ـ قلقه ص ١١٧٨.
١٥ ـ قنحره ص ١١٨٧.
١٦ ـ الكندرة ص ١٢٢١.
١٧ ـ المبدا ص ١٢٥١.
١٨ ـ المندا ص ١٤٢٧.
١٩ ـ الهاجرية ص ١٥٢٧. ثبت لي من ثقات أنها من قرى مركز دوقه.

(★) قرى ذكرت في «المعجم» أنها من قرى القنفذة، والصحيح أنها من قرى مركز القوز وهي:

١ ـ الدعاشيش	مراحبة
٢ ـ السمره	قوازية
٣ ـ الحبيل	مقاعدة

(★) قرى لم يذكرها «المعجم» وتتبع القوز وهي:

١ ـ شَيْع	عمور قوازية
٢ ـ حَدَبْ (المغاوي)	نواشرة

(★) موارد ماء لم يذكرها «المعجم» وأتمنى إيرادها مستقبلاً وهي:

١ ـ بئر السوق. بئران عميقتان جداً وهلاليتان قديمتان كانتا
٢ ـ البئر القيميَّة: موردان هامان للقوز وأهلها.
٣ ـ أم الدَّوَارِجْ مورد ماء للنواشرة.
٤ ـ قَطِيْطة مورد ماء للمقاعدة.
٥ ـ العُذَيْقيَّة مورد ماء للعذقة.

وبعد أستاذي الجليل: إن القوز حالياً تُعدُّ حاضرة منطقة القنفذة الأولى في هذا العهد الزاهر وهي المعروفة قديماً بقوز أبي العير وتقع على الضفة الشمالية لوادي يبه ويمر بها الآن الطريق الساحلي الذي يربط جدة بجازان ولقد نالت قسطها من التطور الكبير ولا ينقصها الآن من جميع المرافق سوى (الهاتف) وهي

تبعد عن القنفذة بثلاثين كيلاً فقط ، وتقع في الجنوب الشرقي منها.

ملاحظة أخيرة: وجدت أن معظم القرى التي ذُكِرت وهي تتبع القوز أغلبها هي قرى قبيلة (بني يعلى) وهي القبيلة التي تسكن في الناحية الغربية للقوز بمحاذاة شاطيء البحر الأحمر وعند مصب وادي يبه مما أدركت معه بأن مصدر تلك المعلومات قد يكون أحد أبناء تلك القبيلة مما جعله يخطئ في مسميات قرى القوز الأخرى أو يتجاهل بعضها.

وختاماً: آمل أن أكون قد مددت يد المساعدة لشخصكم الكريم في تصويب بعض ما شاب مؤلفكم.

القنفذة ـ القوز ـ متوسطة ثلاثاء يبه: غازي بن أحمد بن علي الفقيه

«**العرب**»: للكاتب الكريم أجزل الشكر وأطيبه، ومنه ومن أمثاله من القراء يستزاد ويستفاد فيما يتعلق ببلادنا، وفي التنبيه على ما يقع في المؤلفات عنها من أخطاء أو نقص.

إمَـارة الحـاج

بينما أنا أتصفح مجلة « المورد » ـ المجلد التاسع العدد الرابع سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ـ في وقت كنت قد سئمت منه من معالجة بحث موضوع حاولت تحقيقه، إذْ وقع نظري على عنوان بحث للدكتور بدري محمد فهد، في كلية الآداب جامعة محمد بن عبدالله، في فاس عن (تاريخ أمراء الحج) فيما بين صفحتي ١٧٩/٢٠١ ، فرأيته وفقه الله أفرغ جهده فاستخلص من مصادر كثيرة معلومات قيمة، أَضْفَتْ على الموضوع الذي عالجه من الإمتاع وإكمال الفائدة ما تمنيت معه أنه اطلع على كتابين يبدو أن عدم رواجهما في ذالك القطر الكريم من بلادنا الحبيبة (المغرب) لم ينتشر ، هما كتاب «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة » الذي قمت بتحقيقه ونشره في ثلاث مجلدات ضخام، بلغت صفحاتها (٢٣١٤) عن أصل مخطوط في خزانة الكتب العامة في

مدينة (فاس) في المغرب بعد أن كان الأستاذ محب الدين الخطيب ـ رحمه الله ـ قد نشر الكتاب على أصل ناقص في مجلد.

وهذا الكتاب ألفه الشيخ عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاري الجزيري في آخر القرن العاشر الهجري.

والكتاب الثاني هو «حسن الصفا والابتهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج» ومؤلفه أحمد الرشيدي ويفهم أنه من أهل القرن الثاني عشر الهجري، حيث أرخ في كتابه إلى سنة ١١٩٧ ، وقد حَقَّقَتْ هذا الكتاب، بل نشرته الدكتورة ليلى عبداللطيف أحمد ، مدرسة التاريخ الحديث بكلية الدراسات الإنسانية، فرع البنات، جامعة الأزهر ، وقامت مكتبة الخانجي بمصر بطبعه سنة ١٩٨٠م، في ٢٦٠ من الصفحات. وفي مجلة «العرب» ـ س ١٧ ص ٩٢٩ ـ تعليق على عمل الدكتورة ليلى عبداللطيف أحمد، يحسن الرجوع إليه، كما فاتها ترجمة المؤلف وهو أحمد بن عبدالرزاق الرشيدي، ولد برشيد، وتوفي فيها سنة ١٠٩٦ ، ولهذا الكتاب مختصر في مكتبة الحرم المكي ـ رقم ٢/١٢ تاريخ دهلوي ـ.

ولو تَسَنَّى للدكتور الكريم الاطلاع على هذين الكتابين مع ما ذُيِّلَ به الأخير لاستكمل بحثه، وأجزل للباحث يده الكريمة، زاده الله قوة وتوفيقاً.

رغوان وحضر

كانت «العرب» استوضحت من الأستاذ فراج بن شافي الملحم عن حضر الوارد في قول أعشى باهلة يرثي المنتشر الباهلي الفاتك الجاهلي المشهور:

وأقبل الخيل من تثليث مصغية أو ضم أعينها رَغْوَانُ أو حضر

فكتب إلى «العرب»: لا يوجد في الوقت الحاضر ما يسمى باسم (حضر أو حصر) وإنما يوجد واد صغير قرب منهل رغوان يسمى (ابن الخضر) وربما كان الاسم (الخضر) وأضيف كلمة (ابن) فيما بعد وهو وادٍ يقع في وسطه منهل (قُرَّى) الذي تكرر ذكره في الشعر القديم كقول الطفيل:

غَشِيتُ بقُرَّى فَرْطَ حَوْلٍ مُكَمَّلٍ رُسُومَ ديارٍ مِنْ سُعَادَ بِمَنْزِلِ

وقول جعفر بن عُلْبَة الحارثي:

أَلَهفِي بِقُرَّى سَحْبَلٍ حين أَجْلَبَتْ علينا الوَلَايَا والعَدُوُّ المُبَاسِلُ

أَمَّا رغوان فهو منهل قديم ويعرف الآن باسم (الحمضة) قرية ذات مركز حكومي، أهلها آل مُسَفِّرٍ - بضم الميم وفتح السين وكسر الفاء المشددة بعدها راء - وهم من آل مسعود من آل الْجَمَلِ من الجحادر من قحطان (مَذْحِج) ويبعد عن مدينة تثليث بنحو ستين كيلاً تقريباً، وكلا الموضعين في وادي تثليث.

و « **العرب** » تقدم للأستاذ الكريم الشكر الجم على ما أتحف به قراءها.

شاعر باهلي

لم يرد ذكره في كتاب «باهلة»

لما أورد صاحب «خزانة الأدب» - ٥٣٤/٩ - شعراً منسوباً إلى عَبِيْدِ بن الْأبرص لـمَّا أراد المنذر بن ماءِ السماء قَتْلَه، قال له بعض الحاضرين: ما أَشدَّ جزعَك للموت! فقال:

لا غَرْوَ من عِيْشَةٍ نَافِدَهْ وَهَلْ غَيْرُ ما مِيْتَةٍ وَاحِدَهْ
فَأَبْلِغْ بَنِيَّ وأَعمامَهُمْ بِأَنَّ الْمَنَايَا هِيَ الرَّاصِدَهْ
لَهَا مُدَّةٌ فَنُفُوْسُ الْعِبَادِ إِلَيْهَا، وإن كَرِهَتْ، قَاصِدَهْ
فَلَا تَجْزَعُوا لِحِمَامٍ دَنَا فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَهْ

ووقع في شعر سِماك بن عمرو الباهلي أيضاً، وهو أَوَّل من قال: (لا أَطْلُبُ أَثَراً بَعْدَ عَيْنْ) وهو جاهليٌّ أيضاً، قال لـمَّا خيِّر بَيْنَ أَنْ يُقْتَلَ هُوَ أَوْ أَخوهُ مَالِكٌ، فَقَتَلُوهُ دُوْنَ أَخيه، من أبيات:

فَأُقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكاً لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَهْ
بِرَأْسِ سَبِيْلٍ عَلَى مَرْقَبٍ وَيَوْماً عَلَى طُرُقٍ وارِدَهْ
فَأُمَّ سِمَاكٍ فَلَا تَجْزَعِيْ فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَهْ

هذا ماذكره صاحب «الخزانة» وهو صريح في نسبة الشعر إلى سِمَاك بن عمرو الباهلي ولكن بمراجعة كتب الأمثال اتضحت هذه الأمور :ـ

(١) اختلف في قائل (لا أَطْلُبُ أَثَراً بَعْدَ عَيْنٍ) فأبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ قال في كتاب «الأمثال» ـ ٢٤٨ ـ: وأمَّا قولهم: لا أَطْلُب أَثراً بَعْدَ عَيْنٍ، فإنه لمالك بن عمرو العاملي، وأشار إلى خبره، ولكن محقق هذا الكتاب الدكتور عبدالمجيد قطامش ـ الأستاذ المساعد في جامعة الملك عبدالعزيز ، والذي نشر الكتاب مركز البحث العلمي في تلك الجامعة ـ قال في الحاشية[٥]: (ك: مالك ابن عمرو الباهلي وهو تصحيف). وهو يشير بحرف (ك) إلى نسخة (كوبريللي) التي ذكر أن تاريخ نسخها يرجع إلى القرن السادس الهجري.

ولكن الميداني في «مجمع الأمثال» ـ ١/ ٢٢٥ طبعة الحلبي ـ قال ما نصه: (تَطْلُب أثر بَعْدَ عَيْنٍ) العَيْنُ المعاينة، يُضْرَبُ لمن ترك شيئاً يراه ثم تبع أَثَرَهُ بعد فوت عينه، قال الباهلي: أول من قال ذالك مالك بن عمرو العاملي، وفي كتاب أبي عبيد: مالك بن عمرو الباهلي). انتهى.

وإذن فصحة الكلمة في كتاب أبي عبيد (الباهلي) وتصرف الدكتور عبدالمجيد أو حكمه بأنها تصحيف، غير صحيح، ومن الصعب اتضاح وجه الصواب دون معرفة الأصل الذي اعتمد عليه أبو عبيد .

وهاهي القصة كما أوردها الميداني حيث قال في شرح المثل: (ذالك أن بعض ملوك غَسَّان كان يطلب في عَامِلَةَ ذَحْلاً ، فأخذ منهم رجلين يقال لهما: مالك وسِمَاك ابنا عمرو ، فاحتبسهما عنده زماناً ، ثم دعاهما فقال لهما: إني قاتلٌ أَحَدَكُمَا، فأيكما أقتل ؟ فجعل كلُّ واحد منهما يقول: اقتلني مكان أخي، فلما رأى ذالك قتلَ سِمَاكاً وخلَّى سبيل مالك ، فقال سِمَاك حين ظَنَّ انه مقتول:

أَلَا من شَجَتْ ليلةٌ عامِدَهْ كما أبدا ليلَةٌ واحِدَهْ
فأَبْلِغْ قُضَاعَةَ إن جِئْتَهمْ وخُصَّ سَرَاةِ بَنِي ساعِدَهْ

وأبْـلِغْ نِـزَاراً عـلى نَـأْيِهـا بِـأَنَّ الرِّمَـاحَ هِيَ الْعَـائِـدَهْ
وأقْـسِـمُ لَـوْ قَـتَـلُوا مَـالِـكـاً لَـكُـنْـتُ لَهُـمْ حَـيَّـةً رَاصِـدَهْ
بِـرَأْسِ سَبِيْـلٍ عَـلَى مَـرْقَبٍ وَيَـوْمـاً عَـلَى طُـرُقٍ وَارِدَهْ
فـأُمَّ سِـمَـاكٍ فَـلاَ تَجْـزَعِـيْ فَـلِلْمَـوْتِ مَـا تَـلِدُ الْـوَالِـدَهْ

وانصرف مالكٌ إلى قومه، فلبث فيهم زماناً، ثم إنَّ رَكْباً مَرُّوْا وأَحَدُهُمْ يتغنَّى بهذا البيت:

وَأَقْسِمُ لـو قَـتَـلُوا مَـالِـكـاً لَـكُـنْـتُ لَهُـمْ حَـيَّـةً رَاصِـدَهْ

فسمعت بذالك أُمُّ سِمَاك، فقالت: يا مالك، قَبَّحَ اللّهُ الحياةَ بعد سِمَاكٍ! اخْرُجْ في الطلب بأخيك. فخرج في الطلب، فلقِيَ قَاتلَ أخيه يسير في ناسٍ من قومه، فقال: من أحَسَّ لي الـجَمَل الأحمر؟ فقالوا له وعرفوه: يا مالك لك مِئَةٌ من الإبل فَكُفَّ، فقال: لا أَطْلُب أَثراً بَعْدَ عَيْنٍ، فذهبتَ مَثَلاً، ثم حمل على قاتل أخيه فقتله، وقال في ذالك:

يـارَاكِبـاً بَـلِّغـاً ولا تَـدَعَّـا بَنِي قُمَيْرٍ وإِنْ هُمُ جَزِعُـوا
فَلْيَجِدُوا مِثْلَ مَا وَجَدْتُ فَقدْ كُنْتُ حَزِيْناً قد مَسَّنِي وَجَعُ
لا أَسْمَعُ اللَّهْوَ في الْـحَدِيْثِ ولا ينفعني في الفِرَاشِ مُضْطَجَعُ
لا وَجْد ثَكْلَى كما وَجَدْتُ وَلاَ وَجْـد عَجُولٍ أَضَلَّهَـا رُبَـعُ
ولا كـبـيـرٍ أضَـلَّ نَـاقَـتَـهُ يـوم تَوَافَى الْـحَجِيْجُ واجْتَمَعُوا
يَنْظُرُ في أَوْجُهِ الرِّكَابِ فَلاَ يَعْرِفُ شيئاً وَالْوَجْهُ ملتمِعُ
جَلَّلْتُهُ صَارِمَ الْحَدِيْدَة كَالْمِـ ـلْح وفِيْـهِ سَفَـاسِـقُ، لُـمَعُ
بَـيْنَ ضُمَيْرٍ وبَـابِ جِلِّق في أثـوابِـهِ مـن دِمَـائِـهِ دُفَـعُ
أضْـرِبُـهُ بَـادِيـاً نَـوَاجِـذُه يَدْعُو صَدَاهُ وَالرَّأْسُ مُنْصَدِعُ
بَنِي قُمَيْرٍ قَتَلْتُ سَيِّدَكُمْ فَـالْيَـوْمَ لاَ رَنَّـةٌ ولا جَـزَعُ
فَـالْيَوْم قُمْنَـاً عَلَى السَّوَاءِ فَإِنْ تَجْرُوا فَدَهْرِيْ ودَهْرُكُمْ جَذَعُ

حمد الجاسر

آل يحيا في المجمعة من الوهبة من تميم

ورد في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ص ٩٠٣ ما نصه: (آل يحيا في المجمعة أيضاً من تميم). وحيث أنه لم يذكر الفرع التميمي الذي تنتسب إليه هذه الأسرة فقد لفت النظر إلى هذا الأستاذ الكريم أحمد بن حمد اليحيا بما ملخصه: آل يحيا من أسرة الوهبة التي كان مقرها قديماً بلدة أُشَيْقر في الوشم، ومنه تفرقت في أسَرٍ انتشرت في نجد وفي غيره من مناطق المملكة وخارجها، فقبل مئتي عام تقريباً انتقل فرعان من آل يحيا أحدهما إلى منطقة القصيم وهم أسرة آل يحيا الكبيرة المشهورة في مدينة بريدة، وجدهم لقبه (فُلَيَّان) وعرف بعض أفرادها بالعلم والنشاط التجاري. أما الفرع الثاني فقد اتجه إلى منطقة سُدَير حيث استوطن بلدة الحصون، وتولوا إمارتها ولايزالون إلى عهدنا، ومن هاؤلاء انتقل أحد أبناء الأسرة إلى بلدة البِيْر، وهو عبدالله جد عبدالله بن إبراهيم آل يحيا وإخوانه المقيمين الآن في الرياض، كما انتقل من الحصون إلى مدينة الكويت من الأسرة نفسها ناصر بن إبراهيم آل يحيا، لقب هناك بالنجدي ولصق اللقب بابنائه في الكويت وهم أسرة كبيرة هناك.

أما حمد بن يحيا بن حمد جد آل يحيا الذين استوطنوا مدينة المجمعة فقد انتقل إليها من بلدة الحصون لوجود أسر من الوهبة في هذه البلدة، وقد امتهن الزراعة في المجمعة، فملك نخلاً يسمى (الدهيشية)، ولكن جميع أفراد هذه الأسرة انتقلوا في أواخر القرن الماضي منها إلى جهات أخرى في المملكة واستقر أغلبهم في مدينة الرياض، ويشغل بعضهم الآن وظائف في الدولة وأعمالاً في التجارة وغيرها. وبالنسبة لبعض أسر آل يحيا ممن بقي في الموطن الأصلي وهو أشيقر فقد رحل أناس منهم إلى الرياض في آخر القرن الماضي، ومنهم من انتقل إلى المنطقة الجنوبية أبها ونواحيها وهو محمد آل يحيا وأبناؤه ممن لايزال معروفاً في تلك المدينة.

وآل يحيا المذكورون من الوهبة منسوبون إلى يحيا بن محمد بن يوسف بن علي بن أحمد بن ريِّس بن راجح بن عساكر بن بسام بن عقبة بن ريّس بن زاخر بن محمد ابن عَلَوِي بن وُهَيب. الجد الذي تنتسب إليه الوهبة. وبقية النسب معروف ورد ذكره في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» ص ٨٦٩ الطبعة الثانية.

حول كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة»

بعث إليَّ الأخ الشيخ محمد العثمان القاضي بملاحظات قيمة حول كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» منها:

١ ــ ص ٢٢٤ : الدبَّه والذبيب: إطلاق هذين الاسمين على الأسرتين من قبيل التنابز بالألقاب الذي نهى الله عنه.

٢ ــ ص ٢٣٨ : عن الشيخ صالح العثمان القاضي، المتوفى سنة ١٣٥٠هـ. صواب الوفاة سنة ١٣٥١هـ.

٣ ــ ص ٣٢٥ : عن آل السبيعي الذين في عنيزة.
قال الأستاذ القاضي: ومنهم في مكة والرياض محمد وعبدالله آل إبراهيم السبيعي من أهل الفضل، وفعل الخير.

٤ ــ ص ٣٩٨ : الشريان في عنيزة ثم في بريدة.
لا حاجة لكلمة (ثم) فمنهم من هو في عنيزة ومنهم من هو في بريدة.

٥ ــ ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ : تكرر آل شهوان الفضول في الصفحتين.

٦ ــ ص ٤٧١ : آل طيار في الزلفي والغاط من بني خالد.
قال الشيخ محمد العثمان: الطيار بالزلفي جعافرة، وليسوا كما ذكرتم خوالد، وقد ذكرت في «منهاج الطلب» بأنهم جعافرة واتصل بي الدكتور عبدالله الطيار عميد فرع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، فقال: نحن جعافرة، ولا نعلم لماذا جعلنا فلان خوالد. هذا نص كلامه لي.

٧ ــ ص ٦٨٧ : (الكفالا) صوابها (الكغالا) ـ بالغين لا بالفاء ـ وهم يرجعون للصيخان، والصيخان يرى جدِّي بأنهم خوالد، والشيخ ابن عودان يقول أنهم من فداغمة تميم، وأنا ذكرتهم في تميم، وفي بني خالد، وذكرت القولين ولم أجزم وهم يقولون إننا خوالد.

٨ ــ ص ٨٠٨ : (الْـمَلُّوحِـي): الملاليح: ذكرتم في الطبعة الأولى والثانية بأنهم من تميم والصحيح المقطوع به أنهم فُضُوْلٌ، وهم ممن قام على عبدالرحمن الشريف بشأن كتابه عن منطقة عنيزة، وعبدالرحمن الـمَلُّوحي ـ رحمه الله ـ نحن أخْوال أولاده، وتباحثت مع إبراهيم، وقال: إن فلانًا جعلنا من تميم ونحن فضول، على أن الزامل ذكروا أنهم سبعان والصحيح أنهم فضول.

٩ ــ ص ٩١٩ : ذكرتم في المصادر (ق) أوراق وجدت عند الشيخ صالح العثمان القاضي.

يقول الشيخ محمد العثمان: إن هذه الأوراق هي من تاريخ الشيخ صالح أخذها سليمان العبيد، وعندي أول التاريخ وآخره، وحين طلبته منه ادعى أنه تلف أثناء حادثة الحرم في المحرم سنة ١٤٠٠هـ.

والعبودي صور جانباً منه فليست أوراقاً، بل تاريخه، وكنت نبهتكم على هذا سابقاً.

هذه ملاحظات الشيخ محمد العثمان القاضي، فله الشكر الْـجَمّ. ومنه ومن أمثاله يُسْتَزَاد، ويُسْتفاد.

معيشـر وبهـاج

جاء في مجلة «العرب» س ٢٦ ص ٢٨٠ عن معيشر: قرية كبيرة ومزارع تقع شرق الوادي وتبعد عن تبالة (٤) أكيال شمالاً.

والصواب: تبعد عن قرية تبالة بـ(٤٠) كيلاً.

كما ورد في ص ٢٨١ عن بهاج: يقع على جهة الجرف الشمالي من وادي رنية.

والصواب: يقع على جهة الحرف الشمالي من وادي بيشة.

نبـه على هذا الأخ محمد بن جرمان السعدي، فشكر الله له.

* « **معجم المعاجم** »:

ولإخوتنا وأحبابنا في مغرب بلادنا جهود مشكورة في سبيل خدمة الثقافة العربية عامَّةً، وما يتَّصل بلغة كتاب الله الكريم بصفة خاصَّة، وليس المقام مقام الإفاضة بذكر فضلهم، والإشادة بجليل أعمالهم، فهي من السعة فوق ذالك، وإنما دعت المناسبة التي أتاحها لي ما أفضل به علي أخي الأستاذ الحبيب اللمسي من فيض غزير من المؤلفات القيمة ـ حقًّا ـ مما تنشره (دار الغرب الإسلامي) من نفائس التراث ـ تلك المناسبة الطيبة إلى اتخاذ الحديث عن أحد تلك المؤلفات مدخَلاً لما قد يُقَوِّي الآصرة، ويوثق عرى المحبة، ويَشُدُّ أسباب الصلة بين قراء هذه المجلة وبين إخوتهم وأساتيذهم في تلك الأقطار العزيزة من مغرب بلاد الأمة الإسلامية، ولم يقع الاختيار على هذا المؤلف مما أفضل به الأستاذ اللمسي من منشوراته التي ليس بينها سوى المختار القيِّم، ولكن لطرافته في موضوعه، ولإيجازه في مباحثه، فصادف هوى في نفس امرئ سئم من كثرة نصائح الأطباء له بالاقلال من المطالعة والبحث والكتابة، وأنَّى له في اتّباع تلك النصائح وهو لا يرى الحياة، بل لا يحسُّ بطعمها إلا بانغماسه بين ما يهوى الاستفادة منه من الكتب.

هذا الكتاب الطريف الخفيف بالنسبة لي هو كتاب « معجم المعاجم» تعريف بنحو ألف ونصف ألف من المعاجم العربية التراثية ـ تأليف أحمد الشرقاوي إقبال ـ من منشورات (الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر) أهداه مؤلفه (إلى الدكتور محمد حجّي، تقديراً لسعيه المشكور في خدمة الكتاب المغربي) والناشر (دار الغرب الإسلامي لصاحبها الحبيب اللمسي في بيروت) سنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) وهو لا يزيد على ٣٩٢ صفحة، جيد الطباعة، واضح الحروف، فهو سهل المطالعة، لا يعترض قارئَهُ ماهو بحاجة إلى إعمال الفكر لفهمه، ومن هنا تتضح خفته بالنسبة لي ولأمثالي ممن هم بحاجة إلى إراحة

أذهانهم بما يفيدهم.

والكتاب على نمط «كشف الظنون» وذيوله، وأمثاله من المؤلفات التي خُصِّصَتْ لوصف المؤلفات ومحاولة حصرها، إلا أنه تناول جانباً من تلك المؤلفات هو (المعاجم) وأبان عن نهجه ـ بعد أن تحدث في مقدمة ضافية عما حظي به المسلمون من كثرة التأليف، مما لم تحظ به أمة غيرهم، وعن جهود طائفة من المستشرقين حيال المعجم العربي كشفًا ودراسة ونشراً وتحقيقاً، وسمَّى بعض مشاهيرهم، وذكر من الشرقيينْ آخرين جروا على آثارهم، مع ذكر ما حققه هاؤلاء وأولئك من المؤلفات ـ وقال ـ المقدمة (ز) ـ: ومنذ ربع قرن مضى تعلق هَمِّي بالمعجم العربي، فانشغلت فيه، إحصاءً ودراسةً سولتُ لنفسي معها أنْ أُعَرِّفَ بالمعاجم العربية، منسوبة ومخطوطة ومطبوعة، فطاوعتها في التسويل. فكانت هذه الفهرسة).

ومع أن المؤلف الكريم حاول أن يحصر تلك (الفهرسة) كما سمَّاها في تسع مجموعات أوضحها مفصَّلة، إلا أنها بَدَت متداخلة في الموضوعات، وله العذر في ذالك فكثير من المؤلفات يحار الباحث في الموضوع الذي يخصصه لذكره لتَعرضه لمباحث مختلفة. وقد أوضح مصادره في هذا الكتاب. وهي على كثرتها وتنوع موضوعاتها تبرز ما يتصف به من سعة الإطلاع، وأشار إلى قصر عمله على المعاجم التراثية، دون سواها، وأنه تَجَوَّز في كلمة (معجم) فأوقعها على كتاب احتوى مفرداتٍ مشروحة لُغَوِيًّا.

والواقع أنَّ الجهد الذي بذله الأستاذ خلال ربع قرن من الزمان كان جُهْداً نافِعاً، ذَا أثَرٍ طيِّبٍ في خدمة الثقافة العربية، وما هذه الكلمة الموجزة عن مؤلفه المفيد بالموفية بما هو جدير به من إبراز محاسنه، وبيان مدى حاجة المعنيين بهذا الجانب الثقافي الشامل إلى الاستفادة منه.

ولعلَّ من أبرز ميزات هذا الكتاب التي تسهل الاستفادة منه: الفهرس الشامل لأسماء ما ورد فيه من المؤلفات، مرتباً على الحروف، وآخر بأسماء الأعلام، وقبلهما الفهرس العام للموضوعات.

ولا أرى غضاضةً في أن أَقِف مع الأستاذ الكريم وقفات قصيرة، موقف المقدر لعلمه المعترف بفضله، لأُدَلِّلَ على مبلغ اهتمامي بهذا الكتاب بالاستفادة منه، وأن أُوْجِدَ بيني وبين مؤلفه من وشائج الصِّلَة ما يُقَوِّي ما بيننا من أخوة وتعارف.

١ ــ ص (ب) في المقدمة ـ عدَّ الأستاذ بين المستشرقين الانجليز (فريتس كْرِنْكُو) والمعروف أن هذا المستشرق ألمانيٌّ، وُلِدَ في قرية (شُوْنْبِرْج) بشمالي ألمانيا، واسمه (فْريتس) ألماني معناه (سالم) ولهذا كان يسمي نفسه (سالم الكرنكوي) وكان يتعصب للعرب على سائر الأمم الاسلامية «الأعلام» للزركلي، ويقال إنه أعلن إسلامه، وتاريخ ولادته سنة ١٢٨٩هـ ووفاته سنة ١٣٧٢هـ وما كل قارئ يعرف التاريخ الميلادي.

٢ ــ ص : (د) المقدمة: ـ (محمد بن العربي بن محمد بن أبي شنب (١٨٦٩/١٩٢٩م) حَقَّقَ تَحْبِير الموشّين، فيما يقال بالسِّيْن والشين»... وطبع التحقيق بالجزائر سنة ١٣٢٧هـ).

كان من اليسير للأستاذ الفاضل وضع التاريخ الهجري ـ مع التاريخ الميلادي ـ إذْ كثير من القراء لا يعرفون إلا الأول، ولكيلا يقع اختلاف كما حدث بالنسبة للمترجم ولطبع تحقيقه، وابن أبي شنب ولد سنة ١٢٨٦هـ وتوفي سنة ١٣٤٧هـ وليس هذا هو المقصود بالوقفة هنا، ولكنه أمر رأيتُ المناسبة تدعو إلى إيضاحه عند ذكر تحقيق ابن أبي شنب لرسالة «تحبير المُوشِّين» إذ كلمة (تحقيق) كثيراً ماكانت حَجَرَ عثرة دُوْنَ دراسة كثير من كتب التراث، وخاصَّةً عندما تُقْرَنُ بِعَلَمٍ من أعلام العلم والثقافة كابن أبي شنب الذي كانت له عناية بالمخطوطات، فقد أَلَّف فهرساً لما كان موجوداً منها في عهده في جَامِعَي الجزائر الكبير والصغير، والغريب في الأمْر أن من بين مخطوطات تلك الرسالة التي حققها نسخة في (المكتبة الوطنية في الجزائر) قد تكون من بين مخطوطات الجامعين قديماً ثم نقلت للمكتبة، وأغرب من هذا أن ابن أبي شنب لم يرجع إلى هذه المخطوطة، كما يَتَّضِحُ هذا من مقابلة مطبوعته بهذه المخطوطة، إذ فيها زيادات لم تَرِدْ بتلك ـ أوضحت بعضها في رحلات «البحث عن التراث» ـ ص ٢٢ إلى ٢٥ ـ.

ومثل هذا وقع للأستاذ السيد محبّ الدين الخطيب، فقد بعث إليه الشيخ محمد حسين نصيف بمخطوطة ناقصة من كتاب «الدرر الفرائد المنظمة، في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» ليتولَّى تحقيقه وطبعه، ونشره على نفقة الشيخ محمد نصيف وآخرين معه، ولكنه ـ رحمه الله ـ لم يكلف نفسه عناء البحث عما للكتاب من مخطوطات، مكتفياً بمخطوطة (مكتبة الأزهر) التي هي أصل للمخطوطة المبعوثة إليه، مع أنَّ في (دار الكتب المصرية) نسخة أكمل من الثنتين، وفي (خزانة الكتب) بمدينة فاس نسخة رابعة أوفى من الثلاث، وعن الأربع نشرت الكتاب ـ ولا أقول حققته ـ في ثلاثة مجلدات ضخام، بينما طبعة الأستاذ محب الدين في مجلد، وما أردت بهذا إلا إيضاح أن مجرد قيام عالم مشهور بتحقيق كتاب ينبغي أن لا يكون حائلاً دون التثبت من أنَّ ذالك التحقيق سار على الطريقة المثلى من حيث الاعتماد على أقدم الأصول وأصحها.

٣ ــ ص : «النوادر والتعليقات المفيدة» لأبي علي هارون بن زكرياء الهجري، المتوفى قريباً من سنة ٣٠٠هـ والناظر في بقاياه المخطوطة يتردد في أن يصنفه في كتب اللغة، أو كتب الاختيارات الأدبية).

كلمة (تقريباً) خَفَّفَتْ أثر تحديد الوفاة بسنة ٣٠٠ إذ الهجري ـ كما اتضح لي ـ توفي بعد ذالك استنتاجاً من روايته عن أناس تأخرت وفياتهم بعد تلك السنة، كما أوضحت ذالك في مقدمة كتاب لي سيصدر عن كتاب «التعليقات والنوادر» وهو اسم الكتاب ـ كما في طرتي القطعتين المخطوطتين اللتين وصلتا إلينا منه وإحداهما في (دار الكتب المصرية) والأخرى في (مكتبة الجمعية الآسيوية) في كلكتة في الهند، أي «التعليقات والنوادر» لا العكس، والخُلْفُ سَهْلٌ.

والكتاب على نمط كتاب «الأمالي» للقالي. إلا أنه أكثر منه عناية بالشعر حيث ضَـمَّ منه ومن الرجز ـ في القطعتين فقط ـ أكثر من سبعة آلاف بيت وأمَّا قول المؤلف الفاضل (بقاياه المخطوطة) فإنه تفتح الأمل أن هناك من الكتاب غير القطعتين المذكورتين، فليته أوْضح عن مصدره عن بقايا ذالك الكتاب.

٤ ــ ويُكَلِّفُ المؤلفَ الكَرِيْـمَ شَطَطاً مَنْ يرومُ منه في هذا المؤلف الموجز أن

يكون مُسْتَوْفياً لجميع ما خُصِّص له من المؤلفات حينما لا يجد بَيْنَ ماذكر مَثَلاً لَا حَصْراً :

١ ــ «معجم البلدان» وقد رجع المؤلف إلى مقدمته مرات في كلامه على معاجم الأمكنة، كما رجع إلى كتاب «معجم الأدباء» ـ ولم أر له ذكراً .

٢ ــ كتاب «التقفية» لليمان بن أبي اليمان البندنيجي المتوفَّى سنة ٢٨٤ (أربع وثمانين ومئتين) وهو من أوائل معجمات اللغة المرتَبة على حروف الهجاء على نمط «الصحاح» وقد حقق الكتاب الدكتور خليل إبراهيم العطية، ونشرته (وزارة الأوقاف العراقية) سنة (١٣٩٦هـ) ١٩٧٦ فجاء في ٨٠٠ صفحة، ومؤلفات أخرى، فلم يكن الاستيفاءُ هَدَفَ المؤلف الكريم بل اكتفى بأن أمَدَّ الْقَارِيَّ بأَشْهَرِ ما تَضُمُّهُ الْـخِزَانَةُ الْعَرَبِيَّة مِنْ نفائس المؤلفات، وما عُرف لأئمة اللغة والأدب منْ تصانيف، مما حفَلت بذكره كتب التراجم والتواريخ، فجمع ما تفرق، وقَرَّبَ ما بَعُدَ فأجاد وأفاد.

وأَمَّا بعد: فما رُمْتُ وراء هذه الوقفات القصيرة سوى التعبير عما أحمل من وُدٍّ وتقدير لأولئك الإخوة الأحبة، في ذالك الجزء الغالي من وطننا لما يبذلونه ـ وما بذلوه ـ من جهود هي فوق الإشادة بها، ولِأُحَيِّيَ من خلال هذه الفرصة السانحة الأستاذ الجليل الدكتور محمد حجّي، وإخوته من أساتيذنا كالأستاذ محمد إبراهيم الكتّاني، والأستاذ عبدالله مَنُّون، والأستاذ عبدالقادر زمَّامة ولِأُبْدِي لمؤلف هذا الكتاب ولناشره الصديق الأستاذ الحبيب اللمسي جانباً من حرصي دائماً على الاستفادة والاستزادة من أمثال هذه المؤلفات القيّمة، وذالك بِالْـحِرْصِ بأن تكون خَيْر ما يُرَامُ مِنْهَا صحَّةً واستيفاءً، ووفرة إفادة ـ والله الموفق .

*** «حول مصادر التاريخ الحضرمي»:**

قلَّ أن تتحَدَّث المجلة عن الكتبِ الحديثة، ولكن الحديث عن هذا الكتابِ له بواعث منها: أنَّ ما أُلِّفَ في موضوعه نَادِرٌ جِدًّا ومنها: أن الكتاب يَتعلَّقُ بتاريخ جزء عزيز علينا من وطننا، لايزال كثير من المثقفين بيننا يجهلون من أحواله ما لاينبغي جهله. ومنها: أنَّ الاهتمام بالكتابة عن ذالك الجزء أتت من قبل باحث

من أبعد الناس عنه من حيث الارتباط المنبعث من صلة عاطفة وداد وقُرْبَى، فكان لذالك أثر من حيث تأنيب الضمير، لما يحدث منا من قصور نحو ما يكون الأبعدون عنَّا أسرع إلى الاهتمام به مما نحن مطالبون بالقيام به قبل غيرنا. حَقًّا أنَّ العلم كما يقال (لا وطن له) وأنه من الأمور التي يجب أن تكون مشاعة دون اختصاص أي أحد بشيء منها، وأنه لا أثر للعواطف فيه، ولكن كل هذا لا يعفينا مما علينا من واجباتٍ نحو أمتنا وبلادنا، ولا يُمَهِّدُ لنا الأعذارَ عن قصورنا في أداءِ تلك الواجبات. ومنها: أنه مَرَّ بي ـ خلال تَصَفُّحِ الكتاب ـ مااستغربتُ وقوعه من باحث اعتدتُّ أن أجدَ لدى أمثاله مايَتَحَلَّى به كل عالم محقق من الإنصاف والتَّجرُّد من كل غاية لاتمت إلى الحقيقة، مع الحرص على إيضاح أدلَّة آرائه ـ ولكن لم يتضح لي خلال ذالك التصفح السريع إلَّا ماحملني على إطالة التفكير أثناء مايعرضه المؤلف من بعض الآراء التي لايسندها إلى أدلة وبراهين واضحة.

لقد أتحفني الأستاذ هادون العطاس بنسخة مصورة من كتاب «حول مصادر التاريخ الحضرمي» ـ مقالات للأستاذ الدكتور (سارجنت) ترجمة الدكتور سعيد عبدالخير النوبان، ونشرته (جامعة عدن) وليس في النسخة التي وصلت إلي تاريخ النشر، ولا بيان مكان الطبع، والكتاب يقع في ١٤١ من الصفحات، قدَّمَهُ معربه بقوله: (بين دَفَّتَيْ هذا السفر خمسة أبحاث علمية، نشرها جميعاً أستاذ جليل، وعلم بارز، ومؤرخ لامع، وهب جُلَّ حياته: (الأكاديمية) ومازال متنقِّلاً بين تاريخ وحضارة اليمن ـ قديماً وحديثاً، مقدماً ما يَقع بين يدين من مادَّة للقراء، مُحلِّلاً لها، ومُسْتَنْبِطاً منها ما يَقْتَنِعُ بفائدته كي ينتفع به الآخرون ـ ذالك الأستاذ هو آر بي سارجنت (R.B Serjenat).

ومادة الكتاب بحوث أربعة هي:

١ ــ مادة تاريخية عن جنوب الجزيرة من ص ٧ ــ ٧٦.

٢ ــ المؤرخون وكتابة التاريخ الحضرمي من ص ٧٧ ــ ١٠٥.

٣ ــ سادة حضرموت من ص ١٠٥ ـ ١١٩.

٤ ــ ميناء عدن والشحر، في القرون الوسطى من ص ١٢٠ ـ ١٤١.

ومن هذه البحوث ما نشره (سرجنت) في مجلة (مدرسة الدراسات الشرقية

والأفريقية) وهما البحثان الأول والثاني أما البحث الثالث فمحاضرة ألقاها في تلك المدرسة، كما ألقى البحث الرابع في ندوة (حول التَّاريخ البحري) في مدينة بروكسل.

ما للقارئ وللتعمق في الأسباب والدوافع التي حَدَتْ بالأستاذ (سرجنت) إلى الاهتمام بما يتعلق بجنوب الجزيرة من تاريخ ودراسة عامَّة، سواء كان كغيره من بعض الباحثين الغربيين الذي يَتَّجِهُونَ ويقومون بالأبحاث والدراسات العلمية، حُبًّا للعلم، وفي سبيل العلم وَحْدَهُ ـ أو كان كبعض من كانت لهم من وراء تلك الاتجاهات مآرب أخرى، فالأستاذ (سرجنت) كما أوضح في مقدمة أول تلك الأبحاث ـ ص ٧ ـ: كان يقوم بجولات في نواحي حضرموت على زمالة علمية من دائرة البحوث بـ (وزارة المستعمرات)!! ومهما تكن الأسبابُ فقد زالتْ بزوال بواعثها. وبقي ماينبغي الانتفاع به والاستفادة منه، و(كُل البقل ولاتسأل عن المبقلة).

إن كل مَعْنِيٍّ بتاريخ حضرموت سيجد في البحثين الأولين ما لا غنى له عنه من حيث عرضٍ لأهَمِّ المؤلفات الحضرميَّة بتعمُّقٍ وتحليل لمحتوياتها، كما سيدرك من خلال دراسته البحث الثالث عمق تأثير العادات والتقاليد في سير الحياة الاجتماعية في ذالك القطر، وكيف تسيطر بعض الأفكار التي لا تخضع إلا للعواطف على النفوس، ولا داعي للتوسع في القول.

ومن غريب ما مَرَّ بي ـ أثناء تصفح هذا الكتاب ـ ص ٨ ـ: (كما أغار الوهابيون في عام ١٨٠٩/١٢٢٤ وتحت قيادة نجد بن قملا (؟) النجدي الوهابي على الوادي الرئيسي ليخلصوا حضرموت من الإلحاد ـ كما يقولون ـ ولقد كان هَـمُّ الوهابيين تحطيم أضرحة الأولياء، فرمَوْا خزائن مليئة بالكتب في الآبار حيثما ذهبوا، وقد فعلوا فعلة كهذه عندما دخلوا اليمن أيضاً، وضاعت نتيجة لذالك آلاف المجلدات في تِرِيْم وعينات وغيرها من المدن) إلى آخر ماذكر (سرجنت) نفسه إذ هذا من استنتاجه هو، ولم يُشِرْ إلى أي مصدر تاريخيٍّ، بخلاف ماكان معهوداً من كثيرٍ من أمثاله، وخاصَّةً ممن لم تكن آراؤهم وأقوالهم منبعثة عن عواطف وأهواء. ليس من شكٍّ في أنَّ الـجُهَّال ـ مِنْ أيِّ جنس وفي أيَّة بقعة من بقاع العالم ـ ليس لديهم من احترام كتب العلم ماقد يحجزهم عن إهمالها، بل الاستهانة بها، وخاصَّةً عندما يسمعون ممن يُوجِّههم عدم جدواها إذا كانت من الكتب التي تحوي من الأفكار ما يخالف معتقداتهم، ولكن مما يُلاحظ ـ لعدم

صحة ماذكر (سرجنت):

★ـ لم يذكر مؤرخو الدعوة السلفيَّة أن جيوشها الغازية غَزَتْ بلاد حضرموت. فَضْلاً عن أن تتوغل فيها حتى تبلغ (تريم) و(عينات)، كما لم أرَ فيما اطلعت عليه من مؤلفات الآخرين من ذكر ذالك، ولكن الدولة السعودية لـمَّا قويتْ، وامتدَّ نفوذُها في جميع نواحي الجزيرة، أبدى كثيرٌ من حكام الأقاليم ورؤساء العشائر الخضوع لتلك الدولة، لأسباب مختلفة، فمنهم المنقاد للدعوة السلفية عن اقتناعٍ وفهمٍ وطواعية، ومنهم من كان انقياده خضوعاً ورهبة، ومنهم من له مطامع أخرى، وكان من بين المظهرين للولاء صاحب وادي خبٍّ من أودية جبل برَط، الواقع في الشمال الشرقي من صنعاء على مسافة خمس مراحل، وسكانه من همدان، وكان حكم المنصور صاحب صنعاء على درجة من الضَّعْفِ بحيث كان لا يتجاوز نفوذه صنعاء نفسها، فما كان من صاحب وَادي خبٍّ ويدعى ابن قَمْلاَ إلاَّ أن أظهر الطاعة للإمام سعود بن عبدالعزيز ـ قال مؤلف سيرة المنصور «درر نحور الحور» في ذكر حوادث سنة ١٢١٩: وفيها جاءت الأخبار بصلاح حال ابن قملا، صاحب وادي خبٍّ، ودخوله تحت طاعة صاحب نجد، وأنه بعث إلى حضرموت رُسُلاً يدعوهم إلى الدين، وأفْصَحَ في كتبه أن ذالك عن أمر صاحب الشرق سعود بن عبدالعزيز، فأجابته الأطراف. انتهى إذَنْ (ابن قملا) لم يكن نَجْدِيًّا كما زعم (سرجنت)، ولم تكُنْ هناك غارةٌ من الوهابيين، ولا تحطيم أضرحة، ولا رمي خزائن مملوءة بالكتب، ولكن الرَّجُلَ أظهر الطاعة، وبدافعٍ من نفسه أرسل دعاةً ـ وعلى فرض حدوث شيء مما ذُكِر فمن عدم الإنصاف نسبته إلى النجديين، وإن كانوا يَرَوْنَ وجوبَ هدْمِ القباب المبنيَّة على القبور، امتثالاً لأمر الرسول ﷺ بذالك، إلاَّ أنَّهُمْ لا يجيزون إعدام كتب العلم النافعة، وما يقع من الجهَّال المنتسبين إليهم لا يصح تعميمه وشموله، فعلماؤهم لا يقرون ذالك، ولا يرضونه.

وبعد: فَإِنْ تَسَرُّعَ الأستاذ (سرجنت) أو هفوته بِنسبة تلك الفعلة إلى النجديين لا تؤثر فيما يمكن أن يستفاد من أبحاثه هذه، فهي قد أبرزت جوانب من تاريخ تلك البلاد الكريمة، وما لعلمائها وأدبائها من أيادي في هذا المجال مما لا يسع المعني بتاريخ الأمة العربية جهله، وقديماً قيل:

لا تَـرْجُ شَيْئـاً كَـامِـلاً نَفْعُـهُ فَالسَّيْلُ وَهْوَ الْغَيْثُ فِيْهِ الْغُثَـاءْ

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
المكتبة
KING FAISAL CENTER FOR RESEARCH AND ISLAMIC STUDIES